الرأي العام

في القرن الثالث الهجري ١٩٨ - ٢٩٥ هـ ٨١٣ - ٩٠٧ م

د. عادل محيي الدين الالوسي



دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٨٧



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة الشؤون الثقافية العامة
العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

الرأي العام

في القرن الثالث الهجري

١٩٨ ـ ٢٩٥ هـ ٨١٣ ـ ٩٠٧ ـ م

د . عادل محي الدين الالوسي

الطبعة الاولى ١٩٨٧ .

المقدمة

لايعدو بحث (الرأي العام في القرن الثالث الهجري) إلا ان يكون محاولة متواضعة للكشف عن نواح مهملة من تاريخنا ، تتعلق بالجماعة والامة ، اومانسميه بالرأي العام بالاصطلاح العصري ، اغفلتها دراسات المحدثين ، وحفلت كتب التراث التاريخية والادبية والفقهية بشواهد ووقائع عليها ، فما من حدث او عمل الا وله ردود فعل او مواقف معينة تحددها المصالح العامة والخاصة .

وينبغي ان نؤكد منذ البداية ، ان المجتمع العربي ـ الاسلامي ، لم ينفك خلال قرون عديدة عن مناقشة وبحث اخطر المسائل التي تدخل ضمن دائرة المعرفة الانسانية ، وهذه الاحداث والمسائل سواء أكانت سياسية او دينية او اجتماعية ، تمدنا بنماذج عديدة تساعدنا على فهم اتجاهات ومواقف الرأي العام الاسلامي .

يشمل البحث قرنا من الزمن ، هو القرن الثالث الهجري ابتداء بخلافة المأمون وانتهاء بخلافة المكتفي بالله (١٩٨ ـ ٢٩٥ هـ / ٨١٣ ـ ٩٠٧ م) وهي حقبة من اخطر حقب التاريخ الاسلامي ، زاخرة بالاحداث والتناقضات والسلبيات . كما انه يكاد يقتصر على بغداد باعتبارها حاضرة الدولة العباسية وشريحة غنية بالاحداث وجامعة لكل شاردة وواردة .

يقع البحث في خمسة فصول ، خصصت الفصل الاول منه لدراسة مفهوم الرأي العام ، عرضت فيه مختلف الآراء والتعريفات لاشهر المفكرين الاجانب والعرب ، ولم ابخل في هذا المجال من صياغة تعريف عولت عليه ولم انسب لنفسي صفة الانفراد به .

وقد ظهر لي من خلال هذا الاستعراض ان كل الآراء سواء ما كان منها ماديا او مثاليا ، تتفق على ان الرأي العام ظاهرة تلازم كل المجتمعات المكتظة بالسكان ،

وان هذه الظاهرة تعتمد الفرد اساسا لقيامها ، فمن اتحاد رأي الفرد مع الآخرين المحيطين به ينشأ الرأي العام ، ويصبح قوة مؤثرة في مجرى الاحداث وله قابلية التغير الاجتماعي حينما يتخذ موقفا معينا . وتؤكد ما للرأي العام من خطر كبير في حياة الانسان العامة ، السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية ، ومن تأثير واضح على سلوك الفرد والجماعة ، وهذا مايفسر اهتمام الدراسات الحديثة به .

وبحثت في نشأة الرأي العام التي كمنت بداياتها في المجتمع العربي قبل الاسلام وتطورت خلال العصور الاسلامية المختلفة ، فبظهور الدعوة الاسلامية ، توسعت رقعة الدولة ، وحدث الامتزاج والاقتباس الحضاريين واصبح المجتمع الاسلامي اكثر عصرية ، واحتدم الصراع الطبقي وتعمق الانقسام الديني والقومي ، والسياسي وكل هذه الامور عملت على بلورة الرأي العام الاسلامي وجعلت منه قوة مؤثرة في الاحداث وبخاصة احداث القرن الثالث الهجري / القرن التاسع الميلادي .

ويتمثل الرأي العام في الاسلام بتعابير شائعة آنذاك ، كالاجماع ، والرأي والقياس والامة ، والجماعة والاستحسان ، والاستصلاح ، وشرع ماقبلنا ، وهذا ماتناولته بشيء من التفصيل خلال هذا الفصل في دراسة فقهية . وقد وجدت ان المسلمين انقسموا في نظرتهم الى مصادر التشريع من غير القرآن والسنة الى :

فريق يرفض كل تأويل او اجتهاد بحجة ان الاسلام دين متكامل لاينحصر كماله في زمن معين وهم يستندون في ذلك الى قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » وفريق فزع الى الاجتهاد واعتبره حجة تخدم التشريع ولاتخرج عنه ، تعمل على ديمومة الدين وتجنبه تهمة العجز والقصور ، وفريق ثالث يعولون على القرآن والسنة ، ويتهيبون الاجتهاد الا عند الضرورة القصوى وهناك من يأخذ به وفق مواصفات معينة .

اما الفصل الثاني ، فقد اقتصر عل دراسة طبيعة المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري وذلك من خلال استعراض سمات هذا المجتمع والمجتمعات الاخرى التي سبقته ، كنشوء الفرق الدينية والاحزاب السياسية وماتبعها من فلسفات ، ومبادىء ، بعضها انتهج نهجا متطرفا ومعارضا ، والبعض الاخر كان تبريريا وتوفيقيا مساندا للسلطة ، ومنها ماكان انهزاميا عاجزا وجد في التصوف متنفسا له ، بالاضافة الى ماشهده المجتمع الاسلامي عموما ومجتمع القرن الثالث على وجه الخصوص ، من انقسامات سياسية ودينية وقومية ، وضعف السلطة المركزية وضياع هيبة الخليفة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وبروز التفاوت الطبقي وقيام نظام الاقطاع والجند المرتزقة الاجانب وما تبع ذلك من ركود في الزراعة .

يتكون المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري من طبقتين رئيستين ، تتفاوت في الثروة والنفوذ واسلوب العيش ، فالى جانب الخليفة واتباعه وكبار موظفيه الذين تركزت بأيديهم كل الامتيازات ، يقف الفقراء والمعدمون الذين يؤلفون الغالبية الساحقة من الناس ، وبين هاتين الطبقتين فئات عاشت على افضال طبقة الخاصة فاحترفت الوظائف وتكسبت بالشعر والادب ، فمنهم من فاز بالحظوة وعد من الاغنياء ومنهم من انحدر في مستواه المعاشي الى حد الجوع وتتمثل هذه الفئات في الكتاب والشعراء والقصاصين والفنانين .

ومن الجدير بالملاحظة ان حدة التمايز الطبقي وتردي الاحوال الاقتصادية والسياسية قد ولدت رأيا عاما متذمرا وساخطا وجدت فيه حركات المعارضة تربة خصبة لبث افكارها ونشر مبادئها وحشد المؤيدين والانصار لها .

ويشكل الفصل الثالث العمود الفقري الذي استند عليه البحث ، وذلك لسعته ولخطورة المواضيع التي تناولها ، درست فيه عوامل تذمر الرأي العام الاسلامي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والدينية ، كأرتفاع

الاسعار ، وندرة الاقوات وتأخر ارزاق الجند ومشاغباتهم التي اضعفت سلطة الخليفة العباسي واودت به في بعض الاحيان الى العزل او القتل ، كما جرى للمعتز بالله على يد الامراء الاتراك الذين تسلطوا على امور الدولة ومناصبها الحساسة وخاصة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري حتى تذمر منهم اهل بغداد وسامراء بالاضافة الى تذمرهم من سوء الاوضاع العامة والانحلال الاداري واضطراب الامن وفداحة بعض الضرائب وسوء جبايتها وما يرافق ذلك من طرق قسرية واساليب غير عادلة .

ومن عوامل تذمر الرأي العام الاسلامي ماشهده القرن الثالث الهجري من فتن كالفتنة بين الامين والمأمون والتي استحالت الى صراع قومي بين العرب والفرس والفتن الاخرى ذات الطابع الشعوبي وحركات العوام العفوية من الشطار والعيارين وحركات المعارضة متمثلة بالعلويين وبقايا الخوارج ، بالاضافة الى المنازعات الفكرية والدينية التي مزقت وحدة المسلمين وقسمتهم الى شيع واحزاب ومذاهب نجد تفصيلا لها في ثنايا البحث .

اما الفصل الرابع فقد تناول موقف الرأي العام الاسلامي من المؤسسات الرسمية كالخلافة والقضاء ، هذا الموقف الذي اتسم بالنقد اللاذع الساخر..

تأتي الخلافة في مقدمة المسائل التي شغلت الرأي العام بعد وفاة رسول الله (ص) لما لمنصب الخليفة من اهمية دينية وسياسية منحه اياها الاسلام الحنيف .

وارى ان الخلافة الراشدة لم تخرج عن مبدأ الشورى الاسلامي والرضا الجماهيري المتمثلين بالبيعتين الخاصة والعامة الا ان الخلاف بشأنها قد احتدم في العهد الاموي لما استحدث الامويون نظام التوريث الذي اضعف الدولة وقسم الامة بين مؤيد ومعارض ، ومعارض متطرف يعوم الخلافة لكل الناس انى كانت طبيعتهم التي ينتمون اليها كما يقول بذلك الخوارج . وخلال القرن الثالث الهجري تدنت

الخلافة حتى اصبحت منصبا ثانويا لايحتفظ منه صاحبه الا بالمركز الظاهري الدعائي ، والى جانب ذلك فقد القضاء ، اداة العدالة القوية ، قدسيته واصبحت احكامه عرضة للاهواء والرغبات وسخر منه الرأي العام الاسلامي ، ومصادر التاريخ الاسلامي مليئة بالحكايات والنوادر والاشعار والاخبار عن القضاة وقد ذكرت طرفا منها في هذا الفصل .

تميز الرأي العام الاسلامي طوال القرن الثالث الهجري ، بطابع التذمر والسخط والثورة في بعض الاحيان وهو مالمسته من خلال البحث ، وقد استلزم ذلك وجود مراكز واماكن يأوي اليها المتذمرون ، يعبرون فيها عن آرائهم وما يشغل اذهانهم ، كالاسواق والسجون والمساجد ومراكز اخرى متفرقة ، كالمناسبات ومجالس المناظرة والطب والعتبات المقدسة والحمامات وما الى ذلك من اماكن كان الرأي العام الاسلامي يتجمع فيها ، تناولها الفصل الخامس والاخير من هذا البحث .

الفصل الاول

مفهوم الرأي العام في الاسلام

١ ـ معنى الرأي العام وانواعه.
٢ ـ نشأة الرأي العام في الاسلام وتطوره.
٣ ـ مفهوم الرأي العام في الاسلام.
(دراسة فقهية)

أ ـ الاجماع.
ب ـ الرأي والقياس.
جـ ـ الاستحسان.
د ـ الاستصلاح او المصالح المرسلة.
هـ ـ الجماعة والامة والاكثرية.
و ـ شرع ما قبلنا.

١ ـ معنى الرأي العام وانواعه :

الرأي العام (public opinion) ، اصطلاح شائع على السنة الكتاب والمفكرين ورجال السياسة ، وهو يتردد على ألسنة العامة في احاديثهم من خلال الاحكام التي تصدرها الجماهير على عمل ما سلبا او ايجابا ، سخطا او رضى .

ترجع ظاهرة الرأي العام ، الى عهود تاريخية سحيقة ، تعاصر وجود الجماعة الانسانية او الظاهرة البشرية في صورة مجتمع(١) ، فقد عرفه الفكر السياسي والاجتماعي بمفاهيم مختلفة : كارادة الامة ، ومشيئة الشعب ، والروح العامة ، وصوت الشعب ، وروح الشعب(٢) ، وعبر عنه المسلمون الاوائل بمصطلحات عدة هي : الاجتهاد ، والاجماع ، والشورى ، وجمهور الامة ، والقياس ، والاستحسان ، والمصالح المرسلة وغير ذلك من التسميات الفقهية الشائعة آنذاك (٣) .

والرأي العام بمفهومه الحديث ، يرجع الى القرن الثامن عشر الميلادي (٤) ، وعلى وجه الدقة الى عهد الثورة الفرنسية ، ونمو الحركات الشعبية والادبيات المرتبطة بها (٥) ، وقد تضاعفت قوته بتأثير التجمعات الجماهيرية الكبيرة في المدن بعد الثورة الصناعية ، وقيام النظم الديمقراطية كالتوسع في حق الانتخاب ، وتحرر المرأة وتحرير

---

(١) د . احمد محمد ابو زيد : سيكولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٨ .

(٢) سعد الدين خضر : الرأي العام وقوى التحريك ، الموصل ، ص١٥ .

(٣) محمد عبد الرؤوف بهنسي : الرأي العام في الاسلام ، مصر ١٩٦٦ ، ص١٥ .

(٤) فؤاد ذياب : الرأي العام وطرق قياسه ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص١٤ .

(٥) الفريد سوفي : الرأي العام ، ترجمة كسروان شدياق ، مطبعة عويدات ، بيروت ١٩٦٦ ، ص٥ .

العبيد ، وانتشار التعليم ، وتطور الطباعة ، وتقدم وسائل الاتصال ، واختراع الآت التصوير والاذاعة والسينما والتلفزيون ، وغير ذلك من اوجه التقدم العلمي والتكنولوجي (١) .

والرأي العام ، اصطلاح لايخلو من الغموض ويحتمل اكثر من معنى واحد ، وقد اختلف المفكرون في تعريفه ، وسأتعرض هنا الى بعض هذه التعريفات :

فالباحث الامريكي (ليونارد دوب) يرى : انه اتجاهات الناس ازاء قضية ماحينما يكونون في نفس الفصيلة الاجتماعية او الجماعة المحلية ويتأتى عن طريق عملية النقاش الديمقراطي (٢) . في حين يرى (هاروود تشيلدز) بانه : مجرد مجموعة من الآراء الفردية ، وهو عنده حاصل جمع هذه الآراء (٣) .

ويعرف الصحفي الالماني (اميل دوفيفان) الرأي العام بأنه : الخط الواحد لسير الجماعة بأكملها . وهو عند الفيلسوف (فيلاند) : رأى طبقة لها الغالبية والقوة بين طبقات الشعب الاخرى ، وعند القانوني (بنتشلي) : رأى الطبقة المتوسطة(٤) . في حين يعتبره السياسي (بسمارك) : التيار اليومي الذي يغلب صوته صوت الآخرين في الصحافة وجلسات البرلمان ، اما المؤرخ (رانكا) فيقول انه : « اقرب تعبير عن الحركات او التيارات الداخلية غير الظاهرة في الحياة العامة(٥)» .

---

(١) مختار التهامي : الرأي العام والحرب النفسية ، دار المعارف بمصر ط ١٩٦٧ ، ص٩ .

(٢) Leonard W . Doob , Public Opinion and Propaganda , P . 95 .

(٣) FmoryS . Bogardus , The Making of King of Public Opinion . P . 5 .

(٤) مختار التهامي : الرأي العام والحرب النفسية ، ص٢٠ .

(٥) نفس المصدر السابق ، ص٢١ .

والرأي العام عند (توماس كلار) يعني : مجموعة الاحكام التي تصدرها الجماهير على عمل ما ، وهو عنده يطابق رأى الاغلبية(١) ، اما (جيمس رسل لاول) فيعرفه : بالفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة ازاء مسألة من المسائل العامة التي يثور حولها الجدل(٢) .

اما العالم السيكولوجي (فلوريد البورت) فيرى ان الرأي العام : تعبير جمع كثير من الافراد عن آرائهم في موقف معين معارضين او مؤيدين بحيث تكون نسبتهم مع الكثرة كافية للتأثير على افعالهم بطريق مباشر او غير مباشر تجاه الموضوع الذي هم بصدده (٣) .

ويرى (وليام البيج) : ان الرأي العام ينتج عن تفاعل افكار الاشخاص في اي شكل من اشكال الجماعة(٤) ، والى مثل هذا ذهب (هربرت بلومر) في ان كثيرا من التفاعل الذي يتكون خلال الرأي العام يحدث من تضارب آراء الجماعة واوضاعها ، شأنه شأن زميليه البيج ودوب ، يقلل من اهمية الدور الخطير الذي يقوم به الافراد البارزون اصحاب الافكار الجديدة(٥) .

يقدم جوفان دجور جفتش تحليلا منطقيا وعلميا لمفهوم الرأي العام الاشتراكي ، وينطلق في تحليله من كون الانسان صاحب الحق الاول في الرأي العام ، باعتباره الكائن الاجتماعي الفعال الذي يتكون رأيه باتحاده مع افراد آخرين من طبقته الاجتماعية ذاتها تربطهم مصالح مشتركة وتحت تأثير منطق الاجتماع والصراع الطبقي فان الرأي العام يصبح قوة سياسية .

---

(١) محمد طلعت عيسى : الشائعات وكيف تواجهها ، القاهرة ط ١٩٦٤ ، ص٥٣ ، الهامش .
(٢) احمد محمد ابو زيد : سيكلوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية ، ص٣٧ .
(٣) حسنين عبد القادر : الرأي العام والدعاية ط ١ ، مطبعة الرسالة ، مصر ١٩٥٧ ، ص٧ .
(٤) William Albig , Public opion P . 31 .
(٥) حسنين عبد القادر : الرأي العام والدعاية ، ص٩ .

ومن هنا فانه يمكن القول ان الرأي العام هو الفكرة المفصح عنها ، وحركة الافراد بصفتهم مخلوقات اجتماعية وفعالة ، وهو تعبير عن مجموع الروابط الاجتماعية التي يدخل فيها الفرد طرفا والتي تؤثر عليه ويؤثر فيها(١) .

ويشترط جوفان لوجود الرأي العام ، وعي الانسان لمصالحه ولمصالح القريبين منه وصولا الى تطبيق بعض هذه المصالح تطبيقا علميا له قوة القانون(٢) .

ان الرأي العام ليس مجموع الآراء الفردية المنعزلة : وانما هو الرأي الذي يعرب عنه الافراد بصفتهم ممثلين لمنظمات اجتماعية وسياسية هم اعضاء فيها او يرتبطون بها عضويا او اقتصاديا او اجتماعيا او ايديولوجيا(٣) .

ان المواقف العقلية والروحية التي يتخذها الافراد ازاء المشاكل الاساسية في الحياة الاجتماعية والسياسية ، تتأثر بعناصر اجتماعية ايديولوجية ونفسية وعاطفية ، موروثة ومكتسبة ، والتي تعطي خصائص الطبقة التي ينتمون اليها ، والتي يعيشون ويناضلون ويموتون في احضانها ، كما تتأثر بعناصر ذاتية تكمن في صفات الافراد الشخصية فيما يتعلق بطاقاتهم وارادتهم ، وهذا مايفسر لنا وجود آراء متنوعة في المجتمع(٤) .

والرأي العام عند الاشتراكيين يتنامى تأثيره وتطور مفهوم الديمقراطية ، ولايصبح قوة انسانية حقيقية وحرة كليا الا عندما تزول الدولة(٥) .

ويقول جوفان في تحليل اخير عن الرأي العام : « هو الرأي المشروط اجتماعيا لاكبر عدد ممكن من الافراد حول القضايا العامة ، والذي يعبر عنه علناً . والموجّه

---

(١) جوفان دجور جفتش : الرأي العام في النظام الاشتراكي ، ص٤٥ - ٤٦ .
(٢) نفس المصدر السابق ، ص٤٦ .
(٣) نفس المصدر السابق ، ص٤٦ .
(٤) نفس المصدر السابق ، ص٤٧ .
(٥) نفس المصدر السابق ، ص٨٦ .

لانحو التأثير على الشؤون العامة فحسب ، وانما ايضا نحو المشاركة ، اي نحو تحويل هذا الرأي الى سياسة عملية ، الى قانون(١) .

اما الكتاب العرب الذين بحثوا في الرأي العام ، فقد تأثروا بكتابات الباحثين الاجانب الذين سبقوهم في هذا المجال ، فمنهم من تبنى لنفسه تعريفا استنبطه من تلك الكتابات ، ومنهم من رجح تعريفا لباحث اجنبي دون سواه(٢) ، وفريق ثالث اكتفى بعرض مختلف الآراء والتعريفات وهم كثرة في هذا النهج .

فالدكتور احمد محمد ابو زيد ، اخذ بنظر الاعتبار تعريف الباحثين (جيمس رسل لاول) و (توماس كلار) ، فكان الراجح عنده ، ان الرأي العام : « هو وجهة نظر اغلبية الجماعة الذي لايفوقه او يجبه رأي اخر ، وذلك في وقت معين ازاء مسألة تعني الجماعة تدور حولها المناقشة صراحة او ضمنا في اطار هذه الجماعة(٣) » ، وذهب مذهبه باحث عربي اخر هو الدكتور مختار التهامي ، فوضع التعريف التالي : « هو الرأي السائد بين اغلبية الشعب الواعية بالنسبة لموضوع او اكثر يمس مصالح هذه الاغلبية مساً مباشرا ، او يشغل بالها ويحتدم فيه الجدل والنقاش في فترة معينة(٤) » .

اما الدكتور احمد سويلم العمري فقد تأثر بآراء (غوستاف لوبون) و(ليونارد دوب) و (الفريد سوفي) التي تؤكد على ظاهرة السلوك الجمعي وأثرها في سلوك

---

(١) جوفان دجور جفتن : الرأي العام في النظام الاشتراكي ، ص٤٧ .

(٢) اعتبر فؤاد ذياب في كتابه الرأي العام وطرق قياسه ، ص٨ ، تعريف « ليونارددوب » في الرأي العام من اوضح التعريفات في حين ان سعد الدين خضر في كتابه الرأي العام وقوى التحريك ، ص٢٠ ، اعتبره ادق تعريف على حد قوله .

(٣) د . احمد محمد ابو زيد : سيكولوجية الرأي العام ، ورسالته الديمقراطية ، ص٣٨ .

(٤) د . مختار التهامي : الرأي العام والحرب النفسية ، ص٢٢ .

الفرد(١) ، فأستنبط ان الرأي العام : « هو ظاهرة فكرية ناجمة عن الحشد الذهني للجماعات التي يترتب عليها اقوى العلاقات الاجتماعية والنفسية للفرد ثم للجماعة(٢) » .

وتأثر الدكتور محمد طلعت عيسى بالباحث (توماس كلار) وعرّف الرأي العام بانه : مجموعة الضغوط والاحكام التي تسهم في عمليات التغير الاجتماعي التي تمر عبر الجماهير(٣) .

ان الرأي العام كثيرا مايفسر احداث الماضي ، كما ان سلوك الانسان في حاضره ومستقبله يفسره ماضي حياته ، ولكن هذا لايعني ان الماضي يشكل العامل الوحيد المؤثر في تكون الرأي العام ، بل ان هناك مؤثرات خارجية وعوامل اخرى حددها (سبروت) بالحوادث الجديدة ، وتغير شروط الحياة ، وتغير السلوك ، والشخصيات البارزة(٤) ، وهذا يعني ان الرأي العام ينبت في ظرف ووقت معينين ، وقد يستمر متوارثا مع شيء من التحوير والتطور والتبدل شأنه في ذلك شأن الحياة الانسانية .

ان وقوع اية جماعة من الناس تحت ظروف موضوعية متشابهة او متقاربة ، يولد لديها رأيا عاما له صفة الغلبة على اي رأي آخر وله قابلية التطور والحركة وفاعليه

---

(١) يرى غوستاف لوبون في كتابه روح الجماعات ، ترجمة احمد فتحي زغلول ط ٢ ، المطبعة الرحمانية ١٩٠٩ ، ص٢٧ : يفقد الفرد خصائصه العقلية الذاتية حينما يندمج في الجماعة ويفكر في العقلية الكلية لهذه الجماعة .
اما الفريد سوفي في كتابه الرأي العام ، ص٦ ـ ١٧ ، فقد عبر عن الرأي العام ، بالغفل القوى ، والراي الجماعي ، والرأي الوطني ، وكل هذه التسميات تؤكد الصورة الجماعية للرأي العام .

(٢) احمد سويلم العمري : الرأي العام والدعاية ، ص٥ .

(٣) د . محمد طلعت عيسى : الشائعات وكيف نواجهها ص٥٣ .

(٤) و . ج . هـ . سبروت : علم النفس الاجتماعي ، ترجمة حافظ الجمالي حـ ١ ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠ ـ ٣٧٩ هـ ، ص١٨٨ .

التغيير . والتاريخ حافل بالادلة التي تعزز هذا القول فسوء اوضاع العرب قبيل الاسلام في ظل القبيلة والوثنية خلقت رأيا ناقما ورافضا لذلك الواقع ، ومتحفزا او متهيئا وقادرا في نفس الوقت لقبول حالة جديدة من الانبعاث القومي تتمثل في رسالة الاسلام وشخصية الرسول العربي ، وبذلك تمازجت عوامل القدرة في الامة مع الظواهر السلبية لتكوين ارضية صالحة لانبعاث وقبول الاسلام (١) ، كما ان الاوضاع الفاسدة التي عاشتها فرنسا في ظل الحكم الاقطاعي ابان القرن الثامن عشر الميلادي ، هي التي ساعدت المفكرين والساسة الثوريين على خلق رأي عام ساخط اطاح بالملكية والاقطاع في الثورة الفرنسية الكبرى .

ان الرأي العام يتخذ اشكالا مختلفة وصورا متعددة تبعا لاختلاف الظروف والاوضاع التي تكتشف وجوده في فترات معينة ، وقد ذكر الباحثون في هذا المجال انواعا متعدد له ، فمنهم من يقسم على اساس البيئة والوطن ومنهم من يقسمه على اساس الظهور والوجود والاستمرار والتمثيل والشمول والتأثير والوعي ، ولكل اساس من هذه الاسس انواع من الرأي العام ، لامجال للخوض في تفاصيلها فقد افاض فيها من سبقني الى الكتابة في هذا المجال(٢) .

ومن المفيد ان نميز بين ميول الناس نحو قضية معينة والتعبير عن هذه الميول بالفعل ، فاذا لم يفصح الرأي العام عن تلك الميول لظروف قاهرة وطارئة سمي بـ (الرأي العام الباطني) ، اما اذا عبر عنها ومن ثم تكون هي التي قررت الفعل فانه

---

(١) صدام حسين « حول كتابة التاريخ » نص الحديث في الاجتماع الموسع لمكتب الاعلام القومي بتاريخ ١٩٧٧/١٢/١ .

(٢) انظر : فؤاد ذياب : الرأي العام وطرق قياسه ، ص١٠ ـ ١٣ ، وحسنين عبد القادر : الرأي العام والدعاية ، ص٣١ ـ ٣٧ . وسعد الدين خضر : الرأي العام وقوى التحريك ، ٣١ ـ ٣٦ ، واحمد محمد ابو زيد : سيكولوجية الرأي العام ، ٧٢ ـ ٧٨ .

يسمى بـ (الرأي العام الصريح او الظاهر[1] .

ان الرأي العام حينما يتخذ موقفا معينا ، فانه يصبح (رأيا عاما فعليا) ، اما اذا لم يتخذ موقفا معينا فهو (رأي عام ساكن او كامن[2] ، فتحسس الناس للاوضاع الفاسدة في مجتمع ما يعتبر رأيا عاما ساكنا ، في حين ان الثورة على هذه الاوضاع يعتبر رأيا عاما فعليا او واقعيا لانه اتخذ موقفا عمليا .

ان التغيرّ صفة الموجودات ، التي تتفاوت في مدى استجابتها لعامل التغير والتطور تفاوتا نسبيا ، ففي حين تتغير الامور الثقافية والحضارية كالعادات والتقاليد ببطء وبمضي الزمن ، نجد ان هناك مواقف منطقية مبنية على ظروف طارئة تتغير من وقت لآخر وقد تزول بزوال السبب كالمناهج المرحلية والبرامج الدعائية لبعض الاحزاب والهيئات السياسية .

ان الرأي العام الذي يقوم على اساس العوامل الحضارية يسمى بـ (الرأي العام الدائم) او (الرأي العام الثابت) او (الرأي العام الجامع) او (الاجماع) الذي عرفه المسلمون الاوائل واعتبره الفقهاء مصدرا من مصادر التشريع الاسلامي بعد الكتاب والسنة[3] .

اما الرأي العام الذي يقوم حول حوادث طارئة فيسمى بـ (الرأي العام المؤقت(٤) ، وهو غير الرأي العام اليومي ، الذي يتأثر بمجريات الامور والحوادث

---

(١) حسنين عبد القادر : الرأي العام والدعاية ، ص٨ .
(٢) د . احمد ابو زيد : سيكولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية ، ص٧٤ .
(٣) اجناس جولد يستهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، نقل يوسف موسى وجماعته ، مصر ١٩٥٩ ، ط ٢ ، ٢٥٤ .
(٤) فؤاد ذياب : الرأي العام وطرق قياسه ، ص١٢ .

اليومية[1] ، والى جانب ذلك هنالك رأي شخصي ، يعبر به الفرد عن وجهة نظره ، اما اذا لم يجاهر به لسبب او لآخر ، فهو رأي خاص يحتفظ به لنفسه باعتباره جزءا من الرأي الشخصي[2] .

---

(1) د . احمد محمد ابو زيد : سيكولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية ، ص٧٧ .

(2) د . حسنين عبد القادر : الرأى العام والدعاية ، ص٣١ .

٢ ـ نشأة الرأي العام في الاسلام وتطوره :

كما يقترن تكون المجتمع بوجود الفرد ، فانه لابد لهذا الفرد من اطار اجتماعي يتحرك فيه سلبا او ايجابا ، سخطا او رضىً . وحركة الفرد في هذه ليست عفوية ، انما هي وليدة الظروف المحيطة به ، التي تتأثر بعوامل اجتماعية وتاريخية . وهذه الحركة قد يعبر عنها الفرد بنفسه او من خلال اتحاده مع الاخرين الذين يرتبط واياهم بمصالح مشتركة ، هي التي تكون البداية التي يتطور عنها مفهوم الرأي ، وعلى هذا الاساس ، فالرأي العام ظاهرة اجتماعية وتاريخية ، تتكون من تفاعل الفرد بالمجتمع[1] .

والرأي العام كأية ظاهرة اجتماعية ، يخضع لعامل الوراثة ، كما يخضع لعامل التغير والتطور[2] ، فالزمن يعمل على تنامي قوته وتبلور مفاهيمه ، كما ان الظلم الاجتماعي والشعور به ، يخلقان فيه قابلية التأثير المباشر والتغير الجذري ، وما التغيرات التي مرت بها الحضارة الانسانية ، سواء ما كان منها بالتأثير الاجتماعي البطيء او بالفعل البشري المباشر ، الا ادلة واضحة لتلك القابلية التي ينهض عليها الرأي العام .

لم يكن الرأي العام في الاسلام ، وليد فترة زمنية محددة ، بل ان بعض صوره لاتخلو من ملامح قومية تعارف عليها العرب قبل الاسلام[3] ، ولذلك فان المنطق العلمي يشير على الباحث في موضوع نشأة وتطور الرأي العام الاسلامي ، ان يدرس المجتمع العربي قبل الاسلام عموما والمجتمع المكي على وجه الخصوص ، على

---

(١) جوفان دجور جفتش : الرأي العام في النظام الاشتراكي ، ص٤٦ .

(٢) حسنين عبد القادر : الرأي العام والدعاية ، ص١٦ .

(٣) احمد امين : فجر الاسلام ، ص٨٠ .

افتراض ان المجتمع العربي في صدر الاسلام امتداد للمجتمع العربي السابق له[1] فكما ان الاسلام دحض سلبيات العرب الاول فانه اكد على الفطرة الخيرة التي جُبل عليها هؤلاء العرب ، كالصدق والامانة والكرم والشجاعة[2] ، وغيرها من الصفات الحميدة التي مازلنا نتمسك بها ونحرص على بقائها .

تعتبر القبيلة قبل الاسلام الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يقوم عليها المجتمع العربي قبل الاسلام ، ووفق مفاهيم القبيلة وعاداتها وتقاليدها تتحدد افكار الفرد العربي وتصرفاته وتطلعاته وبالتالي اراؤه التي ابتليت بمرض الجماعية وذوبان الشخصية « فالمجتمع العربي القديم اسوة بالمجتمعات البدوية ، كانت وحدته الاساسية هي الجماعة لا الفرد[3] » ، فهو يشعر بأهميته وعزته مادام في كنف قبيلته ، وخارجها يشعر بالضعف الى حد الضياع ، وبالغربة الى حد النبذ ، وبالخوف الى حد الخطر ، فمن تتخلى عنه قبيلته لسبب او لآخر يعرف بالخليع الذي لايحميه قانون القبيلة ولايتعصب له افرادها ، وهذا مايفسر لنا ارتباط العربي قبل الاسلام بقبيلته ارتباطا يكاد يكون مصيريا .

تبلور الرأي العام العربي قبل الاسلام من خلال بعض المؤسسات القبلية كمجلس الملأ او مجلس شورى القبيلة ، المتكون من رؤساء الاقوام او الاسر الممثلين لقبائلهم ، كدار الندوة التي اتخذت مركزا يجتمع فيه شيوخ قريش اذا ماطرأ لهم امر ما[4] . وهذا الرأي يتجسد بطريقة اختيار (السيد) او رئيس القبيلة كما يتجسد في حرص شيخ القبيلة على الابتعاد عن مظاهر الاستبداد ودأبه على استشارة مجلس

---

(١) الفرد جيوم : الاسلام ، ص٥ ـ ٦ .
(٢) احمد امين : فجر الاسلام ، ص٣٨ .
(٣) دافيد سانتلانا ؛ القانون والمجتمع ، بحث ضمن (تراث الاسلام) جـ ١ ، ترجمة فتح الله جرجيس ، ص٣ .
(٤) اسعد طلس : عصر الانبثاق ، ص١٢٨ .

القبيلة كصورة مبسطة للشورى التي اصبحت مبدأ شرعيا في الاسلام[1] .

ويعتبر الشعراء والخطباء والحكماء قادة الرأي العام المعبرين عنه ، وبخاصة الشعراء منهم الذين كانت لهم اليد الطولى في التعبير عن خلجات وهمسات الناس بشعر جيد لازلنا نستعذب سماعه ولم نمل تكراره ، سجلوا فيه حياة القبيلة وعاداتها وتقاليدها ودياناتها واحداثها المهمة ولذلك قيل « الشعر ديوان العرب[2] » .

لقد كان لازدهار التجارة الداخلية والخارجية في المجتمع المكي قبل الاسلام اثر في تعميق التناقضات الاجتماعية التي شغلت الرأي العام الجاهلي ، كأنتشار الربا والاحتكار وتجارة العبيد وبالتالي بروز التفاوت الطبقي الذي كان مبعثا لتذمر السواد الاعظم من الناس[3] .

وجد عرب الجاهلية في الاسواق الكثيرة والكبيرة ، التي بلغ عددها العشرة او مايزيد[4] ، مجتمعات تعقد فيها المعاهدات والاتفاقيات القبلية والعائلية ، ومنبراً لاعلان كل ماله اثر بالجماعة ، ومراكز يتجمع فيها الرأي العام ، بالاضافة الى وظيفتها الاقتصادية في البيع والشراء[5] .

ازاء ذلك كله ، فان المجتمع العربي قبل الاسلام لم يخل من وجود افكار وتطلعات تعبر عن آراء فردية تخدم المصالح الشخصية في اغلب الاحيان ، وآراء ذات صفة جماعية شاركت في التخفيف عن كاهل المتذمرين والمظلومين واثرت الى

---

(١) استنادا الى قوله تعالى « وامرهم شورى بينهم » سورة الشورى : ٣٨ ، وقوله « وشاورهم في الامر » سورة أل عمران : ١٥٩ .

(٢) فيليب حتي : تاريخ العرب المطول ، جـ ١ ، ص١٣١ .

(٣) احمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاسلام ، ص٢٢ .

(٤) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ، جـ ٧ ، ص ٣٧١ .

(٥) نفس المصدر ، جـ ٧ ، ص٣٨٤ .

حد ما في مجرى الاحداث ، ويبرز في هذا المجال (حلف الفضول) ، الذي عقد قبل الاسلام وشهده الرسول (ص) قبل البعثة واثنى [1] عليه كأحد الامثلة على تلك الاصوات الساخطة التي رفعها الرأي العام العربي احتجاجا وانصافا للمظلومين والغرباء .

لقد هدم الاسلام شكل القبيلة والاسرة المعروف آنذاك ، ومحا منه الشخصية الفردية والموالاة والجماعات المتحالفة[2] ، واصبح الفكر الاسلامي لايعمل الا ضمن النطاق الذي حدده الدين الجديد المتمثل بالقرآن والسنة ولم يقبل المسلمون سلطة اخرى ، لذلك كان العرب في صدر الاسلام ينظرون الى تنظيمات الدولة الجديدة سياسية وادارية ومالية بعين الرضى ، بأعتبارها مطابقة لمبادىء العدالة ، التي اوجبها الاسلام ، اما التشريعات العصرية التي اقتضتها سنة التطور ، والبدع التي ابتدعها بعض المسلمين تحقيقا لمصالحهم ورغباتهم وحفاظا على مراكزهم السياسية ، فقد اظهر الاتقياء من المسلمين تذمرهم منها وجاهر بعضهم بمعارضتها لانها في نظرهم لاتتفق ومبادىء العدالة الاسلامية .

فقد عارض بعض الصحابة في امر محاربة المرتدين الذين مانعوا في دفع الزكاة ، وحجتهم في ذلك قول (ص) « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله[3] » .

وتعتبر الفتنة ايام عثمان بن عفان تعبيرا عن عدم رضى بعض المسلمين من المهاجرين والانصار على سياسته وتصرفاته التي وجدوا فيها نقضا لمبدأ العدالة الذي

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ١ . ص١٣٤ .

(2) سانتلانا : القانون والمجتمع ، بحث ضمن (تراث الاسلام) جـ ١ ، ص٣ .

(3) السيوطي : الجامع الصغير في احاديث البشير النذير ، ج ١ ، ص٦٥ .

ارتضاه دينهم ، من ذلك لينه وتقريبه لابناء عشيرته وبالتالي ماصارت اليه الدولة من عصرية تنافي العيشة البدوية التي عاشها الصحابة ، بالاضافة الى ان بعضهم طلب الخلافة لنفسه [1]

ويشكل منصب الخلافة الذي شغر بعد وفاة الرسول الاعظم (ص) هاجس الناس الاول الا ان مجيء الخليفة ابي بكر الصديق (رض) بطريقة شرعية مطابقة لمبدأ الانتخاب والشورى قد ارضى الجمهور الاعظم من المسلمين وصار هذا الانتخاب تقليدا سارت عليه الخلافة الراشدة .

وفي العصر الاموي « ظهرت طريقة اخرى لنصب الخليفة ، ومن بعده اطردت ، فاصبحت عادة ، هي ان يعين الخليفة الحاكم خليفة او ولي عهد وهذا التعيين يساوي في جوهره (العقد) فان قبل اصبح عقدا ، والمراسيم التي يتم فيها العقد تدعى (البيعة) [2] » . ويعتبر معاوية بن ابي سفيان اول من استحدث نظام الوراثة في الخلافة [3] عندما عهد بها لابنه يزيد من بعده ، وحاول اقناع الرأي العام الاسلامي لاجابة هذا العهد [4] ، فارسل الوفود الى الامصار ، واستفتى الفقهاء ، ورغب الناس بذلك .

هـذه الاجراءات والمستحدثات لم ترق جمهور المسلمين ، ووجدوا فيها استبداداً وعدوانا يتنافى ومبادىء العدالة والمصلحة العامة .

وهكذا نرى ان مسألة الخلافة بعد وفاة الرسول (ص) ، وماتلاها من

---

(1) طه حسين : الفتنة الكبرى ، ح ١ ، ص٢١٧ .

(2) سانتلانا : القانون والمجتمع ، بحث ضمن (تراث الاسلام) ج ١ . ص١٧ .

(3) نقصدُ بنظام الوراثة لا التعيين مطلقا بل التوريث ضمن العائلة الواحدة ، والا فالتعيين سابقة عرفت في العصر الراشدي فقد اوصى ابو بكر بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب ـ المصدر المذكور اعلاه ـ بينما يرى الامامية من الشيعة ان التعيين حدث بزمن الرسول وكان لـلامام علي ولاله من بعده ـ انظر النوبختي : فرق الشيعة ص٢٤ .

(4) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جـ١ . ص ٦٥ وما بعدها . المسعودي التنبيه والاشراف ص ٢٦٢ .

صراعات ومناورات استهدفت السلطة بالدرجة الاولى ، قد استأثرت باهتمامات الرأي العام الاسلامي وادت الى حدوث انقسامات في الرأي اثرت بشكل او بآخر في اتجاهات الرأي العام الاسلامي طوال العصرين الاموي والعباسي .

تعاظمت قوة الرأي العام الاسلامي في القرن الثالث الهجري الذي ضم جماهير الصناع وذوى الحرف والجنود والموظفين على مختلف مراتبهم والمثقفين بأنماطهم وهواياتهم المختلفة والملاكين والتجار والاغنياء والفقراء المعدمين وباقي الفئات الاجتماعية ، وبعبارة اخرى ضم هذا المجتمع الفئات المرفهة التي تشكو التخمة ، وتلك التي تعيش على الكفاف ، كما شهد صراعات وانقسامات وتجمعات دينية وفكرية ومهنية ، وصيحات مؤيدة واخرى معارضة وصرخات استنكار ونغمات رضى واستحسان ، وجماعات تشهر السلاح واخرى تطرق الابواب وتقبل الاعتاب وتعصر الفكر واللباب لتصوغ كلمة مدح او عبارة شكر او قصيدة استجداء .

كل هذه المفارقات والمتناقضات زخر بها مجتمع المدن الاسلامية الكبيرة وبالاخص بغداد حاضرة الدولة العباسية . وقد برز الرأي العام الاسلامي في هذه المجتمعات حقيقة ملموسة واتخذ اشكالا مختلفة ، فهو يبدو تارة رأيا عاما علنيا مجاهرا به كما في الحركات الاجتماعية والانقسامات المذهبية والمناظرات الفقهية والحركات الشعبية التي قد تلجأ الى الاساليب المتطرفة والوسائل غير المشروعة كما في حركات الشطار والعيارين ، وفي تارة اخرى يتخذ الرأي العام شكلا مؤثرا شفهيا غير مباشر قد يعبر عنه بالنادرة والظريفة والحكاية والشائعة والخطابة الدينية عن طريق النصح والارشاد .

٣ ـ مفهوم الرأي العام في الاسلام ـ دراسة فقهية ـ

ان مصطلح الرأي العام وان كان مصطلحا حديثا كما رأينا ، الا اننا نجد ما يقابله في التراث الاسلامي ، ولكن بتسميات تختلف عن التسميات العصرية .

الحق ان كل انواع واشكال الرأي العام التي سبق ان استعرضناها يمكن ان نجد لها امثلة في مجتمعات المدن الاسلامية المكتظة بالسكان في القرن الثالث الهجري ، تحت هذه المصطلحات والتسميات : الاجماع ، والقياس ، والاستحسان والمصالح المرسلة ، ويعبر عنها بالاستصلاح ، او مصلحة الامة ، ورأي الاكثرية والامة او الجماعة وشرع ماقبلنا . . . وسنتعرض لاهمها بايجاز .

آ / الاجماع :

الاجماع في اللغة العزم ، يقال اجمع فلان على كذا إذا عزم عليه[1] ، ومنه قوله تعالى : « فأجمعوا أمركم[2] » اي اعزموا عليه وقوله (ص) : « لاصيام لمن لايجمع الصيام في الليل[3] » اي لم يعزم ، ومن معانيه « الاتفاق[4] » ومنه قولهم اجمع القوم على القتال اي اتفقوا عليه ، وهذا المعنى الاخير هو الذي يهمنا ، لانه لاينعقد الا من اثنين فما فوقهما ، فهو متعلق بأتفاق الجماعة على امر ما ، وهذا الاتفاق يعني اتفاق الكثرة الذي يعبر عنه في الوقت الحاضر بالرأي الجامع[5] .

---

(١) الرازي : مختار الصحاح ، ص١١٠ض، ط ٤ بولاق .

(٢) سورة يونس : الآية ٧١ .

(٣) لابي حجر العسقلاني في بلوغ المرام في ادلة الاحكام ، ص١٠٧ . « رواه الخمسة » وفي رواية اخرى « لاصيام لمن لم يفوضه في الليل » .

(٤) الفيروز ابادي: القاموس المحيط ، مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٢ ، جـ٣ ، ص١٥ .

(٥) وهو مايسمى بالانكليزية .(General Opinion)

ويعني الاجماع بأعتباره احد مصادر التشريع الاسلامي : اتفاق اهل النظر في المصالح وهم رجال الشورى الذين تعرض عليهم الحوادث ويتناولونها بالبحث ، وتتفق اراؤهم فيها ولاعبرة لمن يخالفهم عليها لان الجماعة احق بـالاصابـة واولى بالحجة ، قال (ص) : عليكم بالسواد الاعظم[1]، واوصى ابو بكر الصـديق احد امراء المدينة قائلا : « اذا وجدت اهل المدينة على امر مستجمعين عليه فلاتشك انه الحق[2] »

والاجماع على ضر بين احدهما اجماع الخاصة والعامة مثل اجماعهم على القبلة انها الكعبة وعلى صوم رمضان ووجوب الحج والوضوء والصلوات وعددها واوقاتها وفرض الزكاة واشباه ذلك . والضرب الاخر هو اجماع الخاصة دون العامة مثل ما اجمع عليه العمل من ان الوطء مفسد للحج وان البينة على المدعي واليمين عـلى المدعي عليه وان لا وصية لوارث وان لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وما الى ذلك[3].

اما الاجماع الذي يصور : بانه اتفـاق جميع الامـة مجتهديهـا وغير مجتهـديها خواصها وعوامها ، فليس بالاجماع الذي يعتبر مصدرا من مصادر التشريع ، وانما هو اجماع على العلم بما اجمعت عليه الامة ، لثبوته وشيوعه عند جميع المسلمين[4] ، كأن نقول : تولى ابو بكر الخلافة بعد وفاة الرسول ، وان بغداد كانت حاضرة الدولة العباسية ، فهذا اجماع شائع ومجمع عليه وهو لايدخل في باب التشريع الاسلامي .
والاجماع تبعا لزمنه يقسم الى نوعين[5] : اجماع الصدر الاول الذي يستند على

---

(١) البزدوي : علي بن محمد « اصول الفقه » هامش كتاب كشف الاسرار ، طبع في ١٣٠٧ ، ص٩٦٥ .
(٢) محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ، ط ٢ ، دار العلم ، القاهرة ١٩٦٤ ص٥٦٥ .
(٣) الفقيه والمتفقة ح ٥ . ص١٧٢ .
(٤) الاسلام عقيدة وشريعة ، ص٨٤ .
(٥) وكيع القاضي : اخبار القضاة ج ١ ، ص١٤٣ .

نص فهو اجماع ولكنه ليس حجة شرعية ، واجماع متأخر يستند على نص واشتهر بين الناس انه حجةٌ شرعية واعتمدت عليه عصورُ التقليد في سد باب الاجتهاد ، وعصورُ التعصب في الرمي بالتضليل والخروج عن سبيل المؤمنين .

ان فكرة الاجماع في الاسلام مستمدة من نظام الشورى الذي فرضه الاسلام على اولي الامر في الا يستبدوا في تدبير شؤون المسلمين بأنفسهم ، بل عليهم اشراك بقية الصحابة ، فمن ذلك قوله تعالى « فأعفُ عنهم واستغفر لهم وشاوِرهم في الامر[1] » ، وقوله : « وامرهم شورى بينهم[2] ».

وكما ان الرأي ـ الذي يعتبر الاجماع في بدء امره طورا من أطواره ـ[3] ، لم يتحدد بمفهومه الشائع الا بعد ان تحولت الدولة من دور البداوة الى صور الحكم المنظم ، كذلك فان الاجماع وضح وزال ابهامه ، ونظمت قواعده ، بتدوين العلوم ، وشيوعها ، وتطور الشريعة الاسلامية ، واتساع دائرتها . وخلال ذلك اصبحت فكرة الاجماع عنصرا من عناصر التوفيق والتقريب بين السنة المستحدثة والبدع ، وذلك ان المسلمين اذا اتبعوا عادة من العادات ، او الفوا تقليدا من التقاليد وارتضاه جمهورهم زمنا طويلا ، ولم ينكروه اصبحت هذه العادة او التقليد في النهاية جزءا من صميم السنة[4] . وهذه البدع يعم تطبيقها ويعتاد الناس على استعمالها كلما طال الزمن عليها ، وانعقد اجماع المسلمين على اتباعها ، حتى يوصف من يُنكرها من الفقهاء بأنه « مبتدع » يطالب بأحياء السنن القديمة ، وعليه فالاجماع هنا اصبح اداة في اقرار بعض البدع المستحدثة اذا سكت المسلمون عليها بادىء امرها[5] .

(١) سورة آل عمران[3] : الآية ١٥٩ .
(٢) سورة الشورى : الآية ٣٨ .
(٣) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، جـ ٢ . لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص١٧٢ .
(٤) اجناس جولد تسيهر : العقيدة والشريعة فيالاسلام، ص٢٥٣
(٥) نفس المصدر السابق ، ص٢٥٤ .

ويعرف الاجماع بانه : « اتفاق المجتهدين في عصر على حكم شرعي[1] » ، او « اتفاق مجتهدي عصر من امة محمد على امر ديني[2] » . وبناء على ذلك فان الشرط الاول لتحقيق الاجماع ، هو حصول اتفاق المجتهدين ، لان اتفاق غيرهم لايكون اجماعا[3] .

والمراد بالاتفاق : الاشتراك في القول او الفعل او الاعتقاد ، كما ان اصطلاح مجتهدين ، قد يعني الفقهاءَ أو علماءَ الامةِ او اهلَ الحلِ والعقدِ او اهلَ الرأي والاجتهاد[4] ، اي كلُ من كان بالغاً عاقلا قادرا على استخراج الأحكام من غير العوام الذين لايشترط بالضرورةِ موافقُتهم او مخالفتُهم . غير ان هذا لايعني ان كل الفقهاء ينكرون موافقة العوام ، فمنهم من يعتبر موافقتهم شرطا لانعقاد الاجماع ، واصحاب هذا الرأي يعرفون الاجماع بانه : « اتفاق امة محمد بدلا من اتفاق المجتهدين[5] » .

وهناك من يرى في الاجماع « اجماع الصحابة والتابعين[6] » . ويشترط هؤلاء وجودَ مستندٍ يستندون عليه او سابقة يقيسون عليها ، ومثلهم على ذلك مبادرة الصحابة والتابعين الى بيعة ابي بكر (رض) وتسليم النظر في امورهم اليه ، وقد استندوا على امتناع خلو الوقت من امام بعد وفاة الرسول (ص) ، ونصهم في ذلك

---

١. علي عبد الرازق : الاجماع في الشريعة الاسلامية ، دار الفكر العربي سنة ٩٤٧ ، ٩ .

٢. القمي : المقالات والفرق ـ التعليقات ـ ص١٤٤ .

٣. دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١ ، ص٤٥٣ .

٤. محمد عبد الرؤوف بهنسي : الرأي العام في الاسلام ، دار الجيل ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص٥٢ .

٥. علي عبد الرازق : الاجماع في الشريعة الاسلامية ، ص٧ .

٦. علي عبد الرزاق : الاسلام واصول الحكم ط٢ ، سنة ١٩٢٥ ، ص١٣ .

خطبة ابي بكر « الا ان محمدا قد مات ولابد لهذا الدين ممن يقوم به [1] » . حتى اصبح هذا التقليد اجماعا دالا على وجود تولية الامام [2] . وعليه فان هذا الاجماع استند على مبادرة ابي بكر ، كما ان اجماعهم على توليته الخلافة ، استند على امامته في الصلاة اثناء مرض رسول الله [3] .

ان كثيرا من الافكار النظرية ذات الطابع الديني قد وجدت في الاجماع قاعدة شرعية مقبولة ، قد تكون في بعض الاحيان واجبةَ الاعتقادِ .

ودائرة الاجماع في مبدأ الامر اقرب الى الاحساس الجمعي منها الى المعنى الديني المحدد ، ومن العبث حصرُهُ بزمانٍ أو مكانٍ معينين ، كأجماع الصحابة او اهل المدينة القدامى . ولايكفي من جهة اخرى ان يترك الاجماع حرا كالاحساس الغريزي للجماعة . واخيرا وجدت قاعدة تقول ان الاجماع : « عبارة عن التعاليم والافكار المجمع عليها من اهل الحل والعقد في زمن معين ، فهم الذين لهم الحق في بيان الفقه والعلم واستنتاج ذلك ، وهم يحكمون بصحة استعمالها [4] » .

وبمعنى آخر : اتفاق القادرين على الحكم في المسائل الدينية . فاصبح بذلك يعني اتفاق من اهل العلم . ولما كان من المتعذر حصول مثل هذا الاتفاق في مسألة آنية او مستقبلة ، فقد اقتصرت احكامه على الماضي وكون العامل الفاصل فيه استرجاع الاحداث الماضية [5] . ومن امثلة ذلك الاجماع ، : ان لغة العبادة في

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته ، ط٢ . مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٩٥٥ ، ق ٢ ، ص٦٥٦ .

(2) ابن خلدون : المقدمة ، دار احياء التراث ـ بيروت ، ص١٩١ .

(3) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، حـ ١ ، ص٣٤٦ .

(4) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص٦٣ .

(5) جرونيباوم : حضارة الاسلام ، دار مصر للطباعة ١٩٥٦ ، ص ص١٩٣ ـ ١٩٤ .

الاسلام هي العربية وكل شعائر العبادة تقال وتؤدى بلغة القرآن ، والاجماع شأنه شأن الامور والاحداث والآراء التي شهدها المجتمع الاسلامي ، والتي لابد لها من نص تستند عليه من الكتاب والسنة النبوية تتلوها الاسانيد الاخرى .

لقد اجهد انصار الاجماع ، ومنكروه انفسهم في الحصول على مثل هذه النصوص ، فقد روى ان الامام الشافعي وهو اول من بسّط نظرية الاجماع في الاسلام قد اجهد نفسه كثيرا للوصول الى آية قرآنية يستند عليها في حجية الاجماع[1] ، وهي قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُولِّه ماتولى ونُصلِه جهنم وساءت مصيرا[2] » .

واورد الفقهاء آيات قرآنية اخرى تدلل على حُجيةٍ من ذلك قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدا[3] » وقوله : « لا اكراه في الدين[4] » . اضافة الى الاحاديث العديدة التي يعتمد عليها هذا المبدأ فقد روى الشافعي ان النبي (ص) قال : « ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله تعالى ، ونصيحة المسلمين ، ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم[5] وقوله (ص) « لم يكنِ الله ليجمع امتي على ضَلالٍ[6] » و « يد الله مع الجماعة[7] » و «عليكم بالسواد الاعظم[8] و « من

---

(١) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص٦٢ .
(٢) سورة النساء (٤) : الآية ١١٥ .
(٣) سورة البقرة (٢) : الآية ١٤٣ .
(٤) سورة البقرة (٢) : الآية ٢٥٦ .
(٥) جروينباوم : حضارة الاسلام ، ص١٩٥ .
(٦) ابن عثمان الخياط : الانتصار ، ص٩٧ .
(٧) السيوطي الجامع الصغير في احاديث البشير النذير ، مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٤ ، حـ ٢ . ص٢٠٥ .
(٨) يوضح البزدوى هذا الحديث في كتابه « اصول الفقه » هامش ص٩٦٥ بقوله : ان النبي (ص) جعل اجماع الامة حجة فهي احق بالكرامة والاصابة .
الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقه دار احياء السنة النبوية القاهرة ١٩٧٥ حـ٥ ص١٧٦

خرج من الطاعة وفارق الجماعة ومات فَمَيتتُه ميتةٌ جاهليةٌ[1] » .

اما دليلهم العقلي على حجة الاجماع : فان الفقهاء اجمعوا على القطع بتخطئة المخالف بل ان بعضهم حكم بالكفر على من انكر المجمعَ عليه ، « بأعتباره عملا تلقته الكافةُ من الكافةِ مما لاشبهة في ثبوته عن صاحب الشرع[2] » .

اما المنكرون لحجية الاجماع فقد اعتمدوا على آيات قرآنية منها قوله تعالى : « تبيانا لكل شيء[3] »وقوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول[4] » .

وهناك من وقف من الاجماع موقفا وسطا كالشيعة الذين لم يرفضوه بالمرة ولم يأخذوا به كأنصاره ، فهو عندهم لايبلغ حجة الصواب ولاينعقد من غير معاونة الامام المعصوم ، والسلطة الشرعية المخولة له[5] .

لقد اختلفت المذاهب في تفسير حقيقة الاجماع فمنهم من رأى انه « اتفاق جميع المجتهدين على حكم شرعي ، ومنهم من رأى انه اتفاق اكثرهم او طائفة منهم[6] ففي الوقت الذي ذهب الشافعي الى ان « الاجماع هو اتفاق جماعة المسلمين[7] » ،

---

(١) ابن جعفر العسقلاني : بلوغ المرام في ادلة الاحكام ، ص٢١٣ « وقد اخرجه مسلم » .

(٢) شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ، ص٨٤ .

(٣) سورة النحل (١٦) الآية ٨٩ ، في نهج البلاغة ، جـ ١ ، ص٥٥ ان الامام علي استند على هذه الآية في الرد على الآخذين بالرأي .

(٤) سورة النساء (٤) : الآية ٥٩ .

(٥) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص٢١٣ .

(٦) شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ، ص٨١ .

(٧) الشافعي : رسالة اصول الفقه ، ص٦٥ .

ذهب مالك الى انه يعني اجماع اهل الحرمين مكة والمدينة[1]، كالذي روى عن محمد بن ابي بكر انه « كان اذا قضى بقضاء مخالف للحديث استند على ما اجتمع عليه اهل المدينة[2]» . وعند الحنفية هو اجماع اهل الكوفة[3]، وهذا النوع من الاجماع المحلي[4] . في حين ان الامام احمد بن حنبل لم يعتد بالاجماع حتى فضل عليه الحديث الضعيف[5] وعنده ان من ادعى الاجماع فهو كاذب[6] . وجاء العلماء المسلمون فيما بعد فأجهدوا انفسهم في تعريف معنى الاجماع ، فقال الامام الغزالي انه : اتفاق امةِ محمد خاصةً على امرٍ من الامور الدينية[7] .

ويقدم الطبرى مفهوما جديدا للاجماع فيعتبره ، اجماع اهل كل عصر وليس لاحد من بعدهم ان يقول بخلافه وهذا ما سماه بـ (مذهب الجمهور) ، الذي يرى في الاجماع حقيقة واقعة متفق عليها[8] . وهذا التعريف الذي يقدمه الطبري من اقرب التعريفات الى مفهوم الرأي العام السائد ، اذ انه قد اكد على اساسين يحددان الرأي العام ، اولهما : تشابه الظروف الموضوعية التي تعيشها الجماعة والتي تولد رأيا عاما كليا يطبع هذه الجماعةَ ، وقد سماه بمذهب الجمهور . وثانيهما : اخذه بمبدأ التطور الاجتماعي الذي يعني ان الرأي العام يتحدد وفق المفاهيم السائدة في المجتمع فما يعتبر اجماعا في مجتمع من المجتمعات قد لايعتبر كذلك في مجتمع آخر ، وقد سمى الطبرى ذلك بأجماع اهلِ كلِ عصرٍ .

---

١. جرونيباوم : حضارة الاسلام ، ص١٩٣ .
٢. وكيع القاضي : اخبار القضاة . جـ١ . ص١٧٦ .
٣. مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص١٧٢ .
٤. دائرة المعارف الاسلامية ، جـ١ ، ص٤٣٨ ، مادة اجماع .
٥. احمد امين : ضحى الاسلام ، جـ٢ ، ص٢٣٥ .
٦. الاسلام عقيدة وشريعة ص٨١ .
٧. مصطفى عبد الرازق : الاجماع في الشريعة الاسلامية ، ص٨ .
٨. مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص١٧٢ .

وفي الوقت الذي اجمع اكثر اهل السنة على ان الاجماع حجة شرعية ، ذهب الامامية من الشيعة مذهبا آخر ، فقد قللوا من اهمية الاجماع وقيمته كمصدر للعلم الديني ، وسلموا نظريا بقيمته في الفصل بالمسائل الدينية [١].

ب / الرأي والقياس :

والرأي هو الاعتماد على الفكر في استنباط الاحكام الشرعية ، حتى لقد ذهب بعض الفقهاء الى ان الرأي مرادف للقياس والاجتهاد ، بل والاستحسان والاستنباط فجمعوها كلّها في معنىً واحدٍ [٢] . وهناك من يرى ان الاجتهاد اعم من القياس والقياس داخل فيه وهو حجة في اثبات الاحكام العقلية [٣] .

لقد اتفق الصحابة على استعمال الرأي في الوقائع التي لم يرد فيها نص شرعي ، ثم توسعت دائرة استعماله في زمن التابعين وتابعي التابعين حتى اصبح يعني الاجتهاد [٤] . فكان اكثرهم اخذا به الحنفية وأقلّهم الحنابلة ، واما المالكية

---

(١) ابن عثمان الخياط ، الانتصار ، ص١٧٢ .

(٢) الامدى : الاحكام في اصول الاحكام ، حـ ٤ ، ص٢ ـ ١٥٨ ، وقد اوضح فيه كل مايتعلق بالقياس من اقسام واسانيد ومسائل .

(٣) الفقيه والمتفقه حـ ٥ . ص١٧٨ .

والقياس في اللغة : تقدير الشيء على مثاله . الرازي : مختار الصحاح ، ص٥٥٥ .

(٤) دائرة المعارف الأسلاميه ، ص٤٣٥ ، مادة اجتهاد .

والشافعية فوقفوا بين الفريقين[1] ، وممن جوز الرأي في الاحكام فرقةُ النجديةِ من الخوارج[2] . ينسب لابي حنيفة الفضل في ازدهار مدرسة العراق التي عولت على الرأي بالدرجة الاولى حتى عرفت بمدرسة الرأي[3] . وهكذا غدا الرأي في التشريع الاسلامي مصدرا رابعا بعد القرآن والسنة والاجماع[4] .

ويعتبر القياس مرادفا للرأي[5] ، ومصدرا من مصادر التشريع الاسلامي ، فزع اليه الخلفاء والصحابة ودعاة الرأي ووجدوا في القرآن والحديث مايبرر لجوءهم للقياس والاخذ به في الحالات التي لم يرد فيها نص من القرآن والسنة[6] ، كقوله تعالى « فاعتبروا يا اولي الابصار[7] » وقولِهِ « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا[8] » . ووجدوا في السنة مايعزز مبدأهم من ذلك أيضاً مانسب الى رسول الله (ص) قوله «اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر »[9] ومن ذلك ايضا حديث الرسول (ص) لمعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن ، قال له : « كيف تقضي اذا عرض لك قضاءٌ ؟ قال : اقضي بكتاب الله ، فان لم اجد فبسنة رسول الله فان لم اجد اجتهد برأي ولا آلو ، فضرب

---

(1) جرونيباوم : حضارة الاسلام ، ص١٩٠ .

(2) الاشعري : مقالات الاسلامين ، حـ ١ ، ص ١٩٠ .
« والنجدية فرقة من فرق الخوارج اتباع نجدة بن عامر الحنفي » الشهرستاني : الملل والنحل ، ق١ ، ص١١١ .

(3) ابن خلدون : المقدمة ص٤٤٦ . كما عرف دعاتها بالأرائيين اصحاب أرأيت أرأيت ؟ ـ الفقيه والمتفقه ، حـ ٥ . ص١٨٤ ـ

(4) « القمي : المقالات والفرق ، والتعليقات ، ص١٤٤ .

(5) « سئل الشافعي : ما القياس : اهو الاجتهاد ام هما مفترقان ؟ قال هما اسمان لمعنى واحد » الشافعي : الرسالة ، ص٦٦ .

(6) عبد المتعال الصعيدي : في ميدان الاجتهاد ، ص٢٥ .

(7) سورة الحشر (٥٩) : الآية ٢ .

(8) سورة النساء (٤) : الآية ٥٩ .

(9) الفقيه والمتفقه ، حـ٥ . ص١٩٠ .

الرسول صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله[1] » .

ولعل مايعنينا هنا انهم قاسوا الخلافة على الامامة في الصلاة وبايعوا ابا بكر لان النبي قدمه للصلاة في الناس[2] ، « فمن ارتضاه الناس لدينهم صالح لدنياهم[3] » . وان ابا بكر قاس قتال مانعي الزكاة على تاركي الصلاة وقال : « واللهِ لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة[4] » ، ذلك ان كليهما من اركان الاسلام واستنادا الى قوله (ص) : « من بدل دينه فاقتلوه [5] » . « ومن ذلك قياس ابي بكر تعيين الامام بالعهد على تعيينه بعقد البيعة حتى انه عهد الى عمر بالخلافة ووافقه على ذلك الصحابة[6] » . وكذلك ماقاله عمر بن الخطاب لابي موسى الاشعري ، لما ولاه قضاء الكوفة « الفهمَ الفهمَ فيما يتلجلج في صدرك ويشكل عليك مالم ينزل في الكتاب ولم تجربه سنة ، واعرف الاشباه والامثال ثم قس الامور بعضها ببعض[7] » . وكتب عمر (رض) الى شريح « اذا حضرك امر لابد منه فانظر ما في كتاب الله فاقض به فان لم يكن فيما قضى به الرسول (ص) فان لم يكن فيما قضى به الصالحون وأئمة العدل . فان لم يكن فانت بالخيار فان شئت ان تجتهد رأيك فأجتهد رأيك . . . »[8]

---

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص٦٧ . الشهرستاني : الملل والنحل ، ق١ ، ص١٨١ . ايضا : الفقيه والمتفقه ، حـ٥ ، ص١٨٨ ، ايضا البزدوي : اصول الفقه هامش ص٩٩٨ .

(٢) في صحيح البخاري جـ ٤ ، ص١٦٠ « ان رسول الله (ص) قال في مرضه مروا ابا بكر يصلي بالناس . . . فالها ثلاث مرات الى ان جيء به فامره بالصلاة » وفي جـ٣ ، ص٥٩ روى البخاري « الرسول خرج مرة من حجر عائشة وابو بكر يصلي بالناس فظنوا انه يريد الصلاة فاشار اليهم بيده ان اتموا صلاتكم » .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص٢١٩ ، ٢١٣ . القمي : المقالات والفرق ، ص٧ .

(٤) صحيح البخاري ، جـ ٤ ، ص١٥٨ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : بلوغ المرام في ادلة الاحكام ، ص٢١٥ .

(٦) الامدى : الاحكام في اصول الاحكام ، جـ ٤ ، ص٥٣ .

(٧) وكيع القاضي : اخبار القضاة ، جـ١ ، ص٧١ .

(٨) الفقيه والمتفقه حـ٦ ص٢٠٠ .

وروى البيروني : انه لما رفع الى عمر بن الخطاب صك محله في شعبان فقال عمر اي شعبان الذي نحن فيه او الذي هو آت ثم جمع اصحاب رسول الله صلى عليه وآله فاستشارهم فيما دهمه من الحيرة في امر الاوقاف فقالوا يجب ان نتعرف في ذلك من رسوم الفرس » فاخذ برأيهم وما اشاروا به عليه[9] ولما اراد عمر ان يجتهد في تحديد صداق المرأة اعترضته امرأة قائلة له : مااعطاك الله ذلك ياعمر والاية تقول «وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا وإثماً مبينا ؟ » فسكت عمر ثم قال : ان كل الناس اعلم منك ياعمر حتى هذه المرأة العجوز وتراجع عن رأيه[10] وعن الامام علي (رض) قوله وهو يسلم الراية الى زياد بن النظر : قدر هذه الفئات واستعذ برأي عالمهم وعلم جاهلهم[11] وفي هذا المجال روى : ان رجلا من الخوارج دخل على المأمون فقال له المأمون : ماحملك على خلافنا ؟ قال آية من كتاب الله وهي « ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون[12] ، قال : الك علم بأنها منزلة ؟ قال : نعم ! وما دليلك ؟ قال : اجماع الامة قال : فكما رضيت باجماعهم في التنزيل فارض باجماعهم في التأويل[13] » . واستدلوا على القياس بالعقل اذ لولاه لحصل مايقابله من وهم وشك ولاحجم الفقهاء عن حل المسائل الشرعية التي لم يرد فيها قرآن او سنة ولتعرض الدين الاسلامي لتهمة العجز والقصور .

---

٩. لبيروني : الاثار الباقية عن القرون الخالية ليبزك ١٩٢٣ ص٢٩ .

١٠. انتاج المستشرقين دار الاثار بيروت ١٩٦٩ ص٣٩ .

١١. المصدر نفسه ص٤٠ .

١٢ سورة المائدة : الآية ٤٤ .

١٣. السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٢٠ .

اما الذين انكروا حجية القياس ، فقد اعتمدوا على قول رسول الله (ص) : « تعمل هذه الامة برهة بكتاب الله ثم تعمل بسنة رسوله ثم تعمل بالرأي فاذا اعملوا بالرأي ضلواوأضلوا[1] » وقوله : « ستفترق امتي على بضع وسبعين فرقة اعظمهم فتنة قوم يقيسون الامور برأيهم فيحرمون الحلال ويحللون الحرام[2] » وقوله : « ان الله لاينزع العلم بعد ان اعطاهموه انتزاعا ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ناس جهال يُستفتَون فيفتُون برأيهم فَيضِلون وَيُضلون[3] » ، كما استند المنكرون على قول نسب للامام علي (رض) وهو : « لو كان الدين بالرأي لكان اسفل الخف اولى بالمسح من ظاهره[4] » . « وان الخلاف يهدم الرأي[5] » « والرأي قد يزل ، والقياس يحلل كثيرا مما حرم »[6] .

وذهب المنكرون الى الطعن في صحة ماروى عن عمر في وصيته لابي موسى الاشعري: « . . . اعرف الاشباه والامثال وقس الامور عند ذلك » وحجتهم في ذلك ان هذه الرواية انفرد بها عبد الملك بنُ الوليد بنُ معد ان عن ابيه وهو ساقط وأبوه اسقطُ منه

---

1. السيوطي : الجامع الصغير في احاديث البشير النذير ، جـ١ ، ص١٣٢ . ايضا الفقيه والمتفقه حـ٥ ص١٨٠ .

2. منصور ناصيف : التاج في الحديث ، ج٤ ، ٣٦ . الامدى : الاحكام في اصول الاحكام ، ج٤ ، ص٦٣ . ايضا كشف الاسرار ، ح٣ . ص٩٩٢ .

3. صحيح البخاري : ج٤ ، ص١٩١ .

4. الامدى : الاحكام في اصول الاحكام ، ج٤ ، ص٥٩ .

5. نهج البلاغة للامام علي ـ شرح محمد عبده ـ ج٣ ، ص١٨٥ .

6. الفقيه والمتفقه ، ح٥ . ص١٨٣ .

وينسب البخاري في كتابه كشف الاسرار ح٣ . ص٩٩٢ . هذا القول الى عبدالله بن مسعود .

وقد سماها ابن حزم بالرسالة المكذوبة[1] . كما ذهبوا الى ان القياس يبعد التقوى وان اول من قاس هو ابليس اذْ امره الله بالسجود لآدم فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين[2] . وممن « انكر الرأي والقياس وتمسكوا بظاهر القرآن واحكامه الازارقة[3] .

جـ / الاستحسان :

وهو مصدر من مصادر التشريع الاسلامي ، وباب من ابواب الاجتهاد الفقهي[4] ، ويطلق الاستحسان « على مايميل اليه الانسان ويهواه في الصور والمعاني ، وان كان مستقبحا عند غيره ، وهو في اللغة استفعال من الحسن[5] » وهو « كالرأي يعتمد على الفكر في استنباط الاحكام الشرعية[6] » . وقد اختلف الفقهاء في تعريفه ، فهو عند الحنفية والزيدية متقارب ، فهم يقولون كما قال ابو الحسن الكرخيْ : « الاستحسان هو العدول في مسألة عن مثل ماحُكِمَ به في نظائرها الى خلافه لوجه هو اقوى ، ويدخل فيه العدول عن حكم العموم الى مقابله للدليل المخصص ، والعدول عن حكم الدليل المنسوخ الى مقابلة للدليل الناسخ[7] » ، ويتأتى عندهم بالقياس ولذلك اعتبروا القياس استحسانا[8] . ومثل ذلك جاء تعريفه في كتب الزيدية « وأساسه العدول عن مقتضى القياس الظاهر الى قياسٍ أشدَ تأثيرا

---

(١) ابن حزم : المحلى ، ج١ ، ص٥٩ .

(٢) الفقيه والمتفقه ، ح٥ ص١٨٥ ايضا كشف الاسرار ح٣ . ص٩٩٢ .

(٣) الاشعري : مقالات الاسلامين ، ج١ ، ص١٩٠ .

« والازارقة فرقة من فرق الخوارج اصحاب ابي راشد نافع بن الازرق » .

الشهرستاني : الملل والنحل ، ق١ ، ص١٠٩ .

(٤) محمد ابو زهرة : الامام الصادق ، ص٥٢٧ .

(٥) الامدى : الاحكام في اصول الاحكام ، ج٤ ، ص٢١٠ .

(٦) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص١٣٧ .

(٧) الأمدى : الاحكام في اصول الاحكام ، ج٤ ، ص٢١٢ ايضا كشف الاسرار ح٤ . ص١١٢٣ .

(٨) كشف الاسرار ، ح٤ . ص١١٢٤ .

وان كان اخفى او الى نص ، او الى اجماع ، او الى ضرورة[1] » ، وهو عند المالكية ، « الاخذ بالاستدلال المرسل في مقابل القياس بأن تكون ثمةَ مصلحةٌ اقتضت العدول عن موجب القياس فانه يحكم بموجب المصلحة الملائمة لمقاصد الشارع[2] » . وعرفه ابو الحسين البصري : « بانه ترك وجه من وجوه الاجتهاد غير شامل شمول الالفاظ لوجه اقوى منه وهو في حكم الطارىء على الاول[3] » .

احتج بالاستحسان الحنفية والحنابلة والمالكية والزيدية ، ورفضه الشيعة الامامية لانه قائم على القياس ، والقياس مبدأ لايسوغونه في جملته ، فما قام عليه لايسوغونه[4] ، وانكره الشافعي والغزالي[5] . فقد نقل عن الشافعي قوله : « من استحسن فقد شرع وعمل بالهوى[6] » فهو يعتبره تشريعا . وهو عند الغزالي اصلٌ موهومٌ « من ظن انه اصلٌ خامس فقد اخطأ[7] . والشيعة تشترط في قبوله صدوره من امام معصوم ابعاداً للمفسدة والهوى[8] .

استند دعاة الاستحسان ، على الكتاب كقوله تعالى : « واتبعوا احسن ما انزل اليكم[9] وقوله : « الذي يستمعون القول فيتبعون احسنه[10] » وقول الرسول

---

(١) محمد ابو زهرة : الامام الصادق ، ص٥٢٧ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) الامدى : الاحكام في اصول الاحكام ، ج٤ ، ص٢١٢ - ٢١٣ . « وهو يعتبر القياس لفظا شاملا ، والاستحسان اصل مع انه قياس ترك له الاستحسان » .

(٤) محمد ابو زهرة : الامام الصادق ، ص٥٢٨ .

(٥) الحيدري : اصول الاستنباط ، ص٢٦٤ .

(٦) الشافعي : الرسالة في اصول الفقه ، ص ٧٠ . ايضا كشف الاسرار ح٤ . ص١١٢٣ .

(٧) الحسني : المبادىء العامة للفقه الجعفري ص٣٠١ .

(٨) الخضري : تاريخ التشريع الاسلامي ، ص٢٦٣ .

(٩) سورة الزمر (٣٩) : الآية ٥٥ .

(١٠) سورة الزمر (٣٩) : الآية ١٨ .

(ص) : » ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسنٌ[1] » . وقد بـرع فيه فقهـاء العراق ، ونقل عن ابي حنيفة قوله : « حجج الشرع ، الكتاب والسنة والاجماع والقيـاس والاستحسان[2]. وكـان في بعض الضرورات يـرجح الاستحسـان عـلى القياس[3] من ذلك قول محمد بن الحسن الذي يأتي بعد ابي حنيفة تسلسلا في مدرسة الرأي : « استحسن وادع القياس[4] » ، لان قيـاس مسألـة على حكم سـابق قد لايحقق حلا مقبولا لهذه المسألة في ظرفها الآني ، وعليه فالاستحسان ضـرب من ضروب الحكم الشخصي الذي يذهب بالمسألة الى اصل خاص او عام يرى فيـه المجتهد اتفاقا وواقع الحال ولذلك اعتبره الشافعي عملا بالهوى وبالغ في انكاره وقال من استحسن فقد شرع[5] .

د ـ الاستصلاح او المصالح المرسلة :

في اللغـة استصلح شيء وجد فيـه صلاحـا وهو نقيض استفسـد[6] ، وفي الشريعة الاسلامية يعني : الحكم في مسألة لاحكم فيها لمصلحة يهتدى اليها المجتهد برأيه فيضع لها الحكم المناسب ، وسميت بـ (المصالح المرسلة) لانها « مطلقة غير مقيدة ، ومواردها كل مايخدم مصلحة الجماعـة ، او غالبيـة الناس ، او لمصلحـة خاصة يتوصل اليها بالرأي والاجتهاد[7] ، وهذا قد يتطلب التخلي عن القواعد التي قررتها الشريعة او اهمالها[8] وصولا الى مايحقق المصالح ، او المنافع ، وما ينسجم

---

(١) علي عبد الرازق : الاجماع في الشريعة الاسلامية ، ص٣٤ .

(٢) البخاري : عبد العزيز كشف الاسرار ، ، طبع حسن حلي الريـزوي ، ١٣٠٧ ، ح٤ . ص١١٢٣ .

(٣) المصدر السابق نفسه ، ح٤ . ص١١٢٦ .

(٤) الخضري : تاريخ التشريع الاسلامي ، ص٢٠٠ .

(٥) كشف الاسرار ح٤ . ص١١٢٣ .

(٦) الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، ج١ ، ص٢٤٣ ، الرازي : مختار الصحاح ، ص٣٦٧ .

(٧) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام : ص٢٥٥ .

(٨) في ص٣٣وص٣٤ اوضحت امثلة تعزز هذا المبدأ .

وحاجات ومتطلبات الافراد ، التي تتحدد وتتطور حسب البيئات والظروف الاجتماعية ، فهو بالاضافة الى كونه احد مصادر التشريع الاسلامي فانه ايضا عامل مهم من عوامل ديمومة الدين ومسايرته لموكب التطور .

ان كثيرا من المسائل والقضايا التي يقف تجاهها التشريع بطابعه الجامد عاجزا ، كما ان كثيرا من الامور الشرعية التي تتعارض ومصالح الفرد الاجتماعية ، يأتي مبدأ الاستصلاح ليضع لها حلولا قد تكون مقنعة لاصحابها في الاغلب . من هذا كله يمكن ان نجد للاستصلاح كمفهوم تشريعي مايقابله في الوقت الحاضر ، كمصطلح « الصالح العام » . و « مقتضيات المصلحة العامة » . وهو مايعرف (Utili-tas Publica) [1] . ان اقرار هذا المبدأ في ذاته دليل على المرونة المباحة في دائرة الشريعة الاسلامية ، ويأتي في طليعة المعترفين به الحنفية والمالكيه[2] ، فالامام ابو حنيفة يأخذ بالحكم الشرعي المبني على المصالح ، والمالكية تجوز اتخاذ احكام جديدة في الظروف التي تطرأ عليها حوادث جديدة ، اي تبعية الاحكام للاحوال ، ولذلك ترى في الاستحسان استصلاحا[3] .

اما الامام الشافعي فقد رفض الاستصلاح كما رفض الاستحسان واعتبره ضربا من الهوى : « من استصلح فقد شرع وعمل بالهوى[4] » . واشد منهم رفضا الحنابلة دعاة مذهب القديم على قدمه . وحذر الغزالي من خطر المغالاة في الاعتماد عليه واعتبره خطأ لايقره الشرع ، ولكنه مع ذلك لاينكر الاخذ بالمصالح التي تلائم منهج الشارع الاسلامي [5] . وهذا ما اقرته واجمعت عليه معظم المذاهب الاسلامية

---

(١) حسنين عبدالقادر : الرأي العام الدعاية ، ص٣٥ .

(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص٢٥٦ .

(٣) جروبنباوم : حضارة الاسلام ، ص١٩٢ .

(٤) الشافعي : رسالة في اصول الفقه ، ص٧٠ .

(٥) الحسني : هاشم «تاريخ الفقه الجعفري» دار النشر للجامعيين بيروت بلا ص٣٠١ .

باعتباره تشريعا ضمن التشريع الذي مانطق به الشارع العام لفظا او معنى ، الا خدمة لمصالح الجماعة الاسلامية ، وهذا الرأي قد يصطدم بواقع هذه الجماعة المتطور بتطور المجتمع الذي تعيش فيه .

اما الشيعة عموما والامامية منهم على وجه الخصوص فقد انكروه الا اذا صدر من الامام المعصوم[1] ، او المجتهد الجامع للشرائط[2] ، وحجتهم في ذلك ان الاجتهاد حسب المصالح لاتكون احكاما شرعية لانها لاتستند على جعل شرعي صادر من المشرع فهي في نظرهم احكامٌ وضعية ، كما ان الانسان عرضة للاخطاء وقد يغلب عليه هواه فيرى المفسدة مصلحة ، والطالحَ صالحاً ، فهم لم يهملوا المصالح التي تحقق مقاصد الشرع التي ينطق بها الامام المعصوم المنسجمة مع نصوص الكتاب والسنة ، وهو الى حدما يشابه رأي الشافعية والحنابلة ، الا وهو لاتشريع مع الهوى[3] .

ان من يتصفح التاريخ الاسلامي ، يجد فيه تطبيقات كثيرة لهذا المبدأ من ذلك اعتبار موقف ابي بكر من حروب الردة ، استصلاحا منه يخدم مصلحة الدين وجماعة المسلمين[4] . ومثل ذلك ما استحدثه عمر بنُ الخطاب عندما اسقط حق المؤلفة قلوبهم في الصدقات لان الاسلام لم يعد يهاب جانبهم[5] ، مع انه تشريع منصوص عليه في القرآن الكريم[6] . وكذلك ماحدث لمسجد الرسول الذي وسع واشترى الزائدُ من

---

(١) ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ، ج٢ ، ص٣٧٩ .
(٢) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية ، ص٣٤ .
(٣) الشافعي : رسالة في اصول الفقه ، ص٧٠ .
(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص٢٠٣ .
(٥) احمد امين : فجر الاسلام ، مطبعة لجنة التاليف والنشر ، ط ٧ سنة ١٩٥٥ ص٢٣٨ .
(٦) كما في الآية ٦٠ من سورة التوبة « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم . . . » .

اصحابه من غير ضرار[1]، لان في ذلك صالحا لايتنافى مع الدين بل يعزز ويثبت اركان الاسلام ، ويعود بالنفع عليه وعلى اتباعه ، وفيما بعد اوصى المأمون اخاه قبل وفاته قائلا : « ولاينهينّ اليك امر فيه صلاح المسلمين ، ومنفعة لهم الا قدمته وآثرتّه على غيره من هواك[2] » .

هـ / الجماعة والامة والاكثرية :

كل هذه تعابير استعملت في المجتمع الاسلامي في عصوره المختلفة ، تقابل الرأي العام في الوقت الحاضر بمعنىً او بآخر .

فلفظ الامة يطلق على كل الموجودين من المسلمين في اي عصر ، واجماعها على امر يعتبر حجة ، وهذا مايعرف في التشريع الاسلامي بعصمة الامة[3] ويوازيها لفظ الاكثرية ، والسواد الاعظم والجماعة ، والغالبية من الناس . فنقول مثلا الامة العربية لاتقبل الضيم ، وهذا لايعني جميع من في الامة ، بل اكثريتهم . وفي الوقت الحاضر نقول (رأي الاغلبية) وهو مايمثل رأى مايزيد على نصف الجماعة . وهو رأي عدة اقليات اجتمعت حول هدف معين[4] .

وكان اول تطبيق لرأي الاكثرية هو حكم الشورى في الاسلام ، استناداً الى قوله تعالى « وشاورهم في الامر[5] » ، اي وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد

---

(١) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص٢٥٦ .

(٢) الطبرى : جـ ٨ ، ص٦٤٩ .

(٣) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص٦٢ .

كتاب الانتصار لابن عثمان الخياط المعتزلي ، تحقيق د . نيبرج ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥ ، ص٩٤و١٥٨ « والامة باسرها لايجوز عليها الخطأ في جماعها على شيء صحيح وان كانت الشيعة تجوز على الامة الاحتجاج على الضلال » .

(٤) حسنين عبد القادر : الرأي العام والدعاية ، ص٣١ .

(٥) سورة آل عمران (٣) : الآية ١٥٩ .

كالحرب ، وعقد الصلح ، وما الى ذلك من امور الدنيا ، والمشاورة قد تشمل امور الدين كما حدث عندما شاور الرسول (ص) اصحابه في اسرى بدر التي لم ينزل في امرها وحي ، فقد ورد عنه (ص) قوله : « ان يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الاعظم فان من شذشذ في النار[1] » . وكان اكثر الناس اخذاً برأي الاكثرية والشورى ، حتىٰ قالت عائشة : « مارأيت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله . فقد كان يرى الرأي فيرى اصحابه خلافه فيأخذ برأيهم كما فعل في غزوة الاحزاب ، فقد اخذ برأي اصحابه ورجع عن صلح عُيينة بن حصين والحارث بن عوف على ثلث ثمار المدينة[2] » .

وكان (ص) يأخذ برأي الاكثرية حسماً للنزاع وتجنبا للخلاف كما حصل في غزوة احد ، فقد انقسم الناس الى فريقين : فريق يرى البقاء في المدينة ومن بينهم الرسول ، وشيوخ المهاجرين والانصار ، وآخر يرى الخروج من المدينة وكان اكثرهم من الشبان الذين لم يحضروا غزوة بدر . فنظر النبي في عدد كل من الفريقين فرأى الفريق الثاني اكثر عددا فاخذ برأيهم في الخروج من المدينة وترك رأيهَ في البقاءِ فيها[3] .

اما الجماعة فقد فوضها التشريع الاسلامي سلطة الحكم في كثير من امور الدنيا ، فتتمثل في اولي الامر وهم اصحاب العقول والرأي والبصيرة واصحاب الحل والعقد في زمن معين[4] ، كما قال تعالى : « واذا جاءهم امر من الامن او الخوف

---

(١) الفقيه والمتفقه ، ح٥ ص١٦١ وفي رواية اخرى « ان لايجتمع على ضلاله فاذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الاعظم » ـ المصدر السابق نفسه ـ

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وجماعة ، ط٢ . البابي لحلبي واولاده بمصر ١٩٥٥ ، ق٢ ، ص٦٣ .

(٣) المسعودي : التنبيه والاشراف ، دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ ، ص٢١١ .
حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ط٦ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة . ١٩٦١ ، ج١ ، ص١١١ .

(٤) تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، ص٦٣ .

اذ اعـوا به ولـوردوه الى الرسـول والى اولي الامر منهم لعلمـه الذين يستنبـطونـه منهم[1] » . وقـوله (ص) : « يـد الله على الجمـاعة[2] » و « ولاتجتمـع امتي عـلى ضلالة[3] » . وقوله « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع الاسلام من عنقه[4] » . ذكر صاحب كتاب الخراج[5] « عن موسى بن طلحة عن ابيه قال : مررت مع رسول الله فرأى قوما في رؤوس النخل قال : ماهؤلاء ؟ يأخذون من الذكر فيجعلونه في الانثى . قال : ما اظن هذا يعني شيئا فبلغهم فتركوه . فبلغ النبي فقال : ان كان يعني شيئا فليصنعوه فانما هو ظن ظننته » .

وورد عن الرسول انه مر على قوم يؤبرون نخلهم فقال لهم :« لـو تركتمـوه لصلح ، فتـركوه من غـير تأبـير ففسد فـأتوا النبي فقـال لهم : انتم اعلم بأمـور دنياكم[6] » او « عليكم بما كنتم تصنعون . او قال : كما ينفعكم »[7] . ومعناه ان امور الدنيا متروكة لعلم واجتهاد الجماعة وفق ماتمليه مصلحتها .

يتردد على الالسن « تعبير تهديد الامة ، او الجماعة » وهو تعبير مواز تماما لقولنا تهديد العقيدة الدينية ويتمثل خير تمثيل في وقوف « الرأي العام الكلي » اوسواد

---

(١) سورة النساء (٤) : الآية ٨٣ .

(٢) السيوطي : الجامع الصغير في احاديث البشير النذير ، ج٢ ، ص٢٠٥ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل : ق١ ، ص١٧٩ .

(٤) منصور علي ناصف : التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول ، ج٥ ، ص٣٢٧ .

وفي رواية اخرى « من فارق الجماعة مات ميته جاهلية » الفقيه والمتفقه ج٥ ص١٦٩ .

(٥) القريشي : يحيى بن ادم ، السلفية ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ ، ص١١١ .

(٦) التاج الجامع للاصول . . . ج٣ ، ص٢٩١ .

(٧) القريشي : كتاب الخراج ، ص١١١ .

الامة او الاكثرية او جمهور المسلمين ضد الذين خرجوا على الدين او الخلافة الممثلة للدين والدنيا ، وهنا نجد عشرات بل مئات الامثلة الحية سواء ما كان منها مرتبطا بالثورات الداخلية سياسية او اجتماعية او دينية او ماكان مرتبطا بظهور نزعات مخالفة للعرف الديني السائد كالزندقة والخرمية والقرمطية وغيرها ، او ماكان مرتبطا منها بمخالفة الاوامر الدينية كشرب الخمر والزنا . ومما لاشك فيه فان مسألة الخلافة . بعد وفاة الرسول (ص) كانت عاملا حاسما واساسيا تباينت حوله الآراء التي نسميها برأي الامة او الجماعة او جمهور المسلمين مما يعكس وجود رأي عام اسلامي تحرك بفعل الاحداث ليقول رأيه في الخليفة الفلاني معارضا او مؤيدا ، ومثالنا في ذلك ما حدث لاجتماع السقيفة ، فمع ان الرأي العام الاسلامي اتجه بكليته الى اهمية تولية من يقوم بأمور المسلمين بعد رسول الله ، الا ان مسألة تسمية الخليفة بشخص معين ولدت آراء متباينة ، كل رأى يمثل جماعة او قبيلة من المسلمين ، فجماعة الهاشميين ارتضوا الامام عليا مع ان اغلبهم بما فيهم المرشح نفسه لم يحضروا الاجتماع[1] ، وجماعة الانصار رشحوا سعد بن عبادة رئيس الخزرج ليكون خليفة اما المهاجرون فقد انحازوا الى ابي بكر[2] ، ولايستبعد ان يكون هناك رأي لم يجاهر به ينادى بأبي سفيان خليفة وهو سيد قريش بالامس القريب وحليف الرسول (ص) القوى بعد فتح مكة والذي قال فيه « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن[3] » . اجتمعت هذه الآراء التي تمثل اقليات وجماعات من المسلمين واتفقت على توليه ابي بكر الصديق للخلافة[4] وهذا مانسميه برأي الاكثرية او الاغلبية ولكنه لايعني رأي جميع الامة

---

(١) احمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاسلام ، ص٥٨ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ق١ ، ص٣٠ . سيرة ابن هشام ، ق٢ ، ص٦٥٦ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، ق٢ ، ص٤٠٣ . ابن خلدون : المقدمة ص١٩٤ .

(٤) احمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاسلام ، ص٥٨ .

الاسلامية ، بل اكثرية هذه الامة وعليه يمكن القول ان مجيء ابي بكر للخلافة كان استجابة لرأي الاكثرية الاسلامية [1] ولرأي جمهور المسلمين [2] ومن ذلك ايضا ماعمد اليه الخليفة الثاني قبل وفاته اذ عهد بأمر من يخلفه الى ستة نفر من الصحابة وهم الستة الشورى [3] . وقال لابي يحيى صهيب الرومي وقد امره ان يصلي بالناس « . . . فان اجتمع خمسة وخالف واحد فاقتلوه وكذلك ان خالف اثنان واجتمع اربعة نفر فان افترقوا فرقتين فكونوا من الفرقة التي فيها عبد الرحمن بن عوف وان ابت الفرقة الاخرى الدخول فيها اجتمع عليه المسلمون فاقتلوهم [4] » . مما يدل على ان عمر بن الخطاب قد رجّح رأي اكثرية اهل العقد والحل ، وذكر أن المأمون لما هم بلعن معاوية قيل له : ان العامة لاتحتمل هذا ولاسيما اهل خراسان [5] » فعدل عنه استجابة لرأي الاكثرية ورضوخا للرأي العام ومثل ذلك لما اراد فرض مقولته في ان القرآن مخلوق [6] . وروى السيوطي [7] : « انه لما تولى المأمون الخلافة ، وكان يجلس كل ثلاثاء للمناظرة ، دخل عليه رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده فقال : اخبرني عن هذا المجلس الذي انت فيه ، جلسته بأجتماع الامة ام بالمغالبة والقهر ؟ قال : لابهذا ولا بهذا بل كان يتولى امر المسلمين من عقد لي ولاخي » .

---

(1) امام الحرمين الجويني : كتاب الارشاد ، تحقيق د . محمد يوسف موسى وزميله ، السعادة بمصر ١٩٥٠ ، ص٤٢٨ . الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص٧ .

(2) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٤ ص١٧٣ فقد ذكر انه « لما اختلف الناس في الامام بعد رسول الله ، ذهب الجمهور الى انه ابو بكر الصديق »

(3) احمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاسلام ، ص٧٣ .

(4) المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ . ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ج١ ، ص٢٤ .

(5) ابن طيفور : بغداد ، ص٥٠ .

(6) احمد الدومي : احمد بن حنبل ، ص١١٧ .

و / شرع ماقبلنا :

ويقصد بهذا الاصطلاح ماجاءت به الشرائع السماوية التي سبقت الاسلام ، مثل اليهودية والنصرانية ، وقد يتعداها الى ما في حضارات الامم من تراث صالح لايتعارض ومبادىء الاسلام ، ولذلك فان الفقهاء يتهيبون استعماله في المسائل الدينية الا ماندر ، وفيما عدا ذلك فقد تردد استعماله على السنة الفلاسفة والادباء ولا ادل على ذلك من التراث الاغريقي والفارسي والهندي الذي تأثروا به [١٠]. وهو اليوم يقابل تعبير « التراث الانساني » .

ان بعض المذاهب الاسلامية التي تعتد بالرأي ، لاتنكر الاخذ بحكم الشرائع الالهية السابقة اذا لم يرد في الشرع الاسلامي جواب له ولاما يدل على تكليف المسلمين به ، وحجة الاخذين بهذا الرأي : ان التشريع اي تشريع يكون اكثر قبولا ، اذا كان تشريعا سماويا من الله لامن الانبياء ، وعليه فانهم يجوزون الافادة من هذه الشرائع ان لم يجدوا بغيتهم في الشرع الاسلامي ويستندون في ذلك الى قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك [٢٠] » والى قول رسول الله (ص) لما راى في يد عمر (رض) صحيفة من التوراة « لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي » [٣٠] .

---

١٠. جرونيباوم : حضارة الاسلام ، ص٣٧٤ .

٢٠. الشورى : الآية ١٣

٣٠. البزدوي : اصول الفقه هامش ص٩٣٥ ويوضح صاحب كشف الاسرار في ج٣ . ص٩٣٦ هذا النص بقوله : يدل هذا الحديث على ان الرسل المتقدمة صاروا يبعث بيننا بمنزلة امته في لزوم اتباع شريعته لو كانوا احياء وان شرائعهم قد انتهت بشريعته وصارت ميراثا له . . . . » .

اما المنكرون للاخذ بـ « شرع ما قبلنا » فحجتهم كمال الدين الاسلامي الذي لم يترك صغيره في مجتمع الانسان الا تناولها بالبحث والتفصيل ، ووضع الحلول لكل خفايا وزوايا الحياة ، فضلا عن ان كل شريعة من الشرائع ناسخة لما تقدمها ، وهذا يعني في نظرهم ان الشريعة اللاحقة تشمل التي سبقها ، وتكمل نقائصها وتفي بحاجات عصرها[1] ، ويستندون في ذلك الى قوله تعالى : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا[2] » والى قوله (ص) : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا حجر ضب تبعتموهم ، قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ، قال : فمن[3] ؟ » ، وفي رواية اخرى : « كفارس والروم قال ومن الناس الا اولئك[4] » .

---

(1) الحيدري : اصول الاستنباط ، ص٢٦٧ .

(2) سورة المائدة (٥) : الآية ٣ .

(3) صحيح البخاري : جـ ٤ ، ص١٦٢ .

(4) منصور ناصيف : التاج في الحديث ، جـ ١ ، ص٣٥ .

الفصل الثاني

دراسة المجتمع الإسلامي في القرن الثالث الهجري

١ ـ سمات المجتمع في القرن الثالث الهجري.

٢ ـ طبقات المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري.

أ ـ طبقة الخاصة.

ب ـ طبقة العامة.

١ ـ الفلاحون.

٢ ـ العمال وصغار الصناع.

٣ ـ العاطلون عن العمل.

أ ـ العيارون.

ب ـ الشطار.

جـ ـ المكدون.

٤ ـ الخدم والرقيق.

دراسة المجتمع الاسلامي في القرن الثالث الهجري

١ ـ سمات المجتمع في القرن الثالث الهجري :

ان الذي يهمنا من سمات العصر في هذه الفترة ، هي تلك السمات التي تتعلق بالرأي العام بقدر ما تحدده او تكون مهيئة لظهوره بهذا الشكل او ذاك .
يتمثل الرأي العام في هذا العصر في التنظيمات السياسية والحركات الدينية والثورات ورجال الادب والفن والفكر . وكذلك في الطوائف والكتل الاجتماعية المتنوعة ، ويمكن تصنيف هذه الجماعات على اساس موقفهم من السلطة والنظام الاجتماعي القائم آنذاك كما يلي : ـ

١-المؤيدون والمبررون : ويتمثل في الطبقات والفئات المنتفعة واتباعهم ، وفي فرقة الجبرية ، ومن يقول بالارجاء ، وكذلك معظم من يسمون بفلاسفة الاسلام ممن اقر الحكم الفردي والطبقية والرق ، وابقاء الملكية الفردية بلا حدود .

٢ ـ المعارضون : ـ

آ ـ الثوار المحاربون : ويتمثل هؤلاء في بقايا الخوارج ، والثورات ذات الاتجاهات السياسية ، او الدينية ، وفي بعض المفكرين الافراد ، واتجاهات بعض طوائف الشيعة
ب ـ النظريون : مثل اخوان الصفا ، الذين ارادوا تبديل الاوضاع على اساس التربية او الفلسفة فقط بالاعتماد على طبقة الخاصة المتنورة .
جـ ـ الفوضويون ، كالعيارين والشطار وكل الحركات الشعبية التي تفتقر الى الهدف الاجتماعي والتخطيط ، وتسعى الى تقويض النظام او تعكيره دون إحلال

نظام عادل بديل مسلح بنظرية .

٣ ـ المعتزلون للصراع ، طلبا للخلاص الفردي فقط ، مثل الزهاد ، والصوفية

هذا الرأي بكل اتجاهاته التي اشرت اليها ، ليس سوى صورة ونتيجة للوضع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في القرن الثالث الهجري والذي بدأت خيوطه تمتد وتتشابك قبل ذلك منذ الحكم الراشدي ، ولكي نتعرف على معنى هذا القول ، وصورة العصر وامتداداته في الماضي والحاضر نشير الى اهم الخطوط السائدة في الفترة السابقة له ، والتي نمت وتأكدت فيه ، وان لم تظهر جميعها في وقت واحد ، فان بعضها قد ظهر بعد وفاة الرسول (ص) وبعضها جاء في فترات تالية . وهذه الخطوط هي :

١ ـ انقسام المجتمع الاسلامي او الامة الاسلامية على نفسها ، ويتمثل ذلك في الانبياء الجدد ، وحركة الردة ، والصراع على الخلافة ، ابتداء بمؤتمر السقيفة حيث برز الخلاف واضحا بين المهاجرين والانصار ، وكذلك بين الهاشميين والمهاجرين الأخرين ، ثم تمثل هذا الانقسام في مجلس الشورى وما رافقه من انقسامات ومناقشات ، والفتنة الكبرى وما تمخضت عن احداث جسام ، فحرب الجمل ، فموقعة صفين ، والتحكيم ، وظهرت في ذلك احزاب واحداث كثيرة .

٢ ـ انقسام موقف الرأي العام من السلطة والنظام الاجتماعي هذا الموقف الذي يتفاوت بين :

آ ـ الثورة العارمة متمثلة في الخوارج[1] وبعض الحركات العلوية[2] .
وكذلك نجد القدرية يقفون ضد

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ، ق١ ، ص١٠٦ .

(٢) احمد امين : ضحى الاسلام ، جـ٣ ، ص٢٠٩ . ولها وزن : الدولة العربية وسقوطها ، ص٥٦ .

النظام القائم[1] ، او على شكل معارضة فكرية كما في كتابات ابن المقفع مثلا[2] .

ب ـ وبين تبريره وقبوله ، متمثلا في المرجئة[3] ، وروح مذهب الجبر وان كان بعض الجبرية قد ثاروا لاسباب سياسية مثل الجعد بن درهم[4] .

جـ ـ وهناك موقف ثالث هو موقف المحايدين ويتمثل في المعتزلة بقولهم المنزلة بين المنزلتين[5] ، او كما يسميّه (نالينو) بالحياد السياسي[6] وكذلك في الكثير من الكتاب ورجال العلم والفكر .

(٣) الانقسام الطبقي الذي حتمته طبيعة المجتمع العربي الذي صار منفتحا متعدد الحاجات والرغبات والمصالح والخدمات بفعل الافاق الجديدة التي هيئها الاسلام للعرب ، اخذين بالاعتبار ان الاسلام قد حدد الملكية بالشكل الذي لايؤدي الى الاستغلال الا ان التطبيقات فيما بعد جاءت مخالفة لما نص عليه الاسلام فكان ان برز الثراء الفاحش والملكية الكبيرة يقابلها الفقر المدقع الى حد الجوع .

٤ ـ الانقسام العنصري . او مايسمى بحركة الشعوبية ، والصراع بين الكتاب العرب والاعاجم . واتجهت المناقشات والحركات اتجاهين : احدهما ضمن الدين ومن خلال فهم اممي له ، كقوله تعالى « ياايها الذين آمنوا انا خلقناكم من ذكر

---

(١) احمد امين : ضحى الاسلام ، جـ٣ ص٨١ .

(٢) احمد امين : ضحى الاسلام ، جـ١ ، ص٢٢٨ وما بعدها .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ، ق١ ، ص١٢٥ .

(٤) خالد العسلي : جهم بن صفوان ، رسالة ماجستير ، بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٦٥ ، ص٤٧ وما بعدها .

(٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص١١٥ .

(٦) انظر مقال نالينو « اصل اشتقاق كلمة المعتزلة » ترجمة عبد الرحمن بدوى ضمن كتاب « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » القاهرة ١٩٤٠ ، ص١٧٤ .

وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم"[1] واخرى ضده ، متمثلة في حركات الزنادقة ، التي ظهرت بدرجات ثلاث :

آ ـ الاستخفاف بالعبادات الدينية والحركات الاجتماعية .

ب ـ العمل لارجاع الاديان الفارسية القديمة .

جـ ـ الشك بكل دين بمعنى الالحاد التام ، وقد تمثل هذا في ابن الراوندي كما تذكر المصادر المناوئة له[2] .

٥ ـ عمومية النظرية السياسية والتشريعة ، فيما يتعلق بنظام الحكم الذي جاء به القرآن مما اتاح المجال لظهور اجتهادات وآراء ونظريات حول الحكم متفاوتة غاية التفاوت ، فنجد دعوة الخوارج للانتخاب الحر المباشر[3] ، ونجد في مقابلها الدعوات القائمة على مبدأ الوراثة او الوصية او التعيين او الحكم الفردي ، ونجد الامر نفسه فيما يخص نوع النظام الاقتصادي ، فهناك من يذهب الى ضرورة تحديد الملكية ، ومن يذهب الى عدم التحديد .

هذه هي اهم مظاهر وسمات العصور التي سبقت القرن الثالث الهجري ابتداء باواخر الحكم الراشدي مع مارافق هذا من سلبيات اجتماعية كوجود الملاك والدهاقين[4] ، وسوء الاحوال الاقتصادية وكثرة الجبايات والضرائب ، حتى على من اسلم من غير العرب كما حدث في زمن الحجاج ، مما اثار نقمتهم وهيأ لفصائل المعارضة تربة خصبة تنمو عليها[5] .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٢) ابو عثمان الخياط : مثلا في كتابه « الانتصار » .

(٣) فان فلوتن : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ، ص٦٩ .

(٤) جدير بالذكر ان طبقة الملاك والدهاقين قد ابتلي بها المجتمع العربي الاسلامي كظاهرة اجتماعية فرزتها عهود السيطرة الفارسية على العراق .

(٥) ذهب الى هذا الرأي فون كريمر وولهاوزن والاخير يضيف « كره الموالي لاهل الشام باعتبارهم العمود الفقري للعروبة » . ولهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ، ص٢٠٠ .

ومعنى هذا ان سمات او معظم سمات القرن الثالث الهجري لم تكن سوى توسيع واستفحال لاتجاهات الرأي العام ولتمزقات اجتماعية بدأت قبله . ولكي نفهم ذلك تماما نحدد اهم سمات هذا القرن .

أ ـ ضياع هيبة الخلافة العباسية ، واستقلال الممالك ، وتمزق رقعة المملكة الاسلامية ، وسيطرة الاجانب والجند ومشاغباتهم .

٢ ـ حدة التمايز الاجتماعي ، الطبقي والقومي والديني بأشكاله المختلفة .

٣ ـ ثورات المعارضة ، سواء ما كان منها ايجابيا ينشد الاصلاح الاجتماعي وفق برنامج معين ، او ما كان عفويا يفتقر الى النظام والوسيلة المشروعة من ذلك كل الحركات الشعبية كالعيارين والشطار .

٤ ـ الحركات المساندة للسلطة والفكر التبريري والفردي .

٥ ـ استمرار التناقض بين عدالة النظرية الاسلامية وواقع التطبيق لدرجة ان البعض غالى في احكامه وذهب الى درجة الطعن بالنظرية الدينية نفسها واتهامها بالقصور والعجز وهذا مايبرر ظهور بعض الداعين الى ايجاد نظام سياسي واجتماعي واقتصادي بديل للاسلام نفسه او بتطويره الى ابعد الحدود كالقرامطة مثلا[1] .

المتقصي لهذه السمات وكما يظهر لي من خلال البحث انها سمات مترابطة ترابطا عضويا ، وذات تأثير متبادل[2] .

فالتمايز الطبقي ، والاضطراب السياسي ، والانقسام القومي والديني ، سمات عامة تطبع المجتمع الاسلامي عموما ومجتمع القرن الثالث على وجه الخصوص ، قد أدت الى ضعف السلطة المركزية ، كما ان سوء الاحوال الاقتصادية التي أنَّ منها المعدمون قبل غيرهم قد صعدت من سخطهم وتذمرهم ودفعت بهم

---

(١) فيليب حتي : تاريخ العرب المطول ، جـ ٢ ، ص٥٣٤ ـ ٥٣٥ .

(٢) د . السامر : الدولة الحمدانية ، جـ ١ ، ص٢٤ ، ومابعدها .

للانضمام الى كل حركة تنشد الاصلاح وتدعيه ، وهذا مايفسر لنا التأييد المنقطع النظير الذي لقيته معظم الحركات المعارضة للسلطة ، هذه الحركات التي وجدت في ضعف السلطة المركزية وضياع هيبة الخلافة العباسية وتردي الاوضاع الاجتماعية ، تربة خصبة لبث افكارها ونشر مبادئها .

ان ظاهرة التجزؤ السياسي قد رافقت الدولة الاسلامية منذ قيامها ، وهي عندي تكمن في طبيعة المجتمع الاسلامي وريث التكوين القبلي العربي ، وفي مطاطية النظام الجديد ودعوته الشمولية واهدافه الامية[1] ، مما استدعى وجود عناصر وشعوب متعددة تتعصب لوجودها وانتمائها القومي كما تتعصب لارتباطها الاسلامي . ونجد امثلة لذلك في ظهور الادعياء من الانبياء الكذابين الذين لم يخفوا اطماعهم السياسية ، كالذي ذكر عن مسيلمة من انه ارسل الى الرسول (ص) يطلب منه اقتسام الملك والسيادة على جزيرة العرب[2] ويمكن ان نجد امثلة لهذا التجزؤ في الدعوات الشعوبية التي عبرت عن نفسها بطريقة او باخرى طوال العصور الاسلامية المختلفة وبخاصة في العصرين الاموي والعباسي ، فان سياسة الانفتاح التي حتمتها طبيعة الدعوة العباسية[3] ، قد اججت اوار هذا العداء العنصري وجعلته حقيقة ملموسة عانى منها الحكم العباسي كثيرا ، ويرى (ولها وزن) : ان الاسلام قوى هذه العناصر الاجنبية ووحد بينها وبين مناوئي الحكم[4] ، كما ان مبادىء الخوارج في اباحة حق الثورة ضد الحاكم الظالم والتي اسماها بالاسلام

---

(1) كما في سورة الفرقان ٢٥ : ١

كما في سورة سبأ ٣٤ : ٢٨ .

كما في سورة الاعراف ٧ : ١٥٨ .

(2) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي جـ ١ ، ص٣٤٧ .

(3) ولهاوزن : الدولة العباسية وسقوطها ، ص٤٠٦ .

(4) ولهاوزن : الدولة العباسية وسقوطها ، ص٣٩٣ .

الثائر[1] ، قد اكسبت هذه المناوئة صفة الشرعية والقانونية .

لقد تمثلت ظاهرة التجزؤ والانقسام في العصر العباسي بنشوء دويلات عربية في الغرب كدولة الأدارسه (١٧٢ - ٣٦٤ هـ / ٧٨٨ - ٩٧٤ م) والاغالبة (١٨٤ - ٢٩٧ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩ م) والطولونية (٢٥٤ - ٢٩٣ هـ ٨٦٨ - ٩٠٥ م[2]) والحمدانية التي بدأت امارتهم في الموصل سنة (٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م) وانتقلت في سنة (٣٣٣ هـ ٩٤٤ م) الى شمال سورية لتحكم طوال القرن الرابع الهجري تقريبا[3] .

ولم يقتصر هذا التجزؤ الذي اصاب الدولة العباسية على الغرب بل شمل امارات اخرى في الشرق معظمها غير عربي كأمارة الطاهريين ٢٠٥ - ٢٥٩ هـ / ٨٢٠ - ٨٧٢ م والصفاريين ٢٥٤ - ٢٩٠ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٢ م والسامانيين ٢٦١ - ٣٨٩هـ / ٨٧٤ - ٩٩٨ م والبويهيين ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ / ٩٤٥ - ١٠٥٥ م والغزنويين ٣٥١ - ٥٨٢ هـ / ٩٦٢ - ١١٨٦ م .

اضف الى ذلك ان المجتمع الاسلامي بعد التوسع والفتوح والامتزاج بالحضارات الاجنبية ، قد اصبح اكثر عصرية وتعقيدا ، مما اقتضى بروز مسائل جديدة لم يكن يعرفها المسلمون الاوائل وليس لها من سابقة يقيسون عليها ، لذلك ترك امر البت فيها الى مبدأ الاجتهاد ، كل يفتي وفق مايمليه عليه اجتهاده ، فكان الاختلاف المذهبي الذي تشعب وتعمق بمضي الزمن والتطور .

ان التجزؤ والانحلال السياسي ، ظاهرة طارئة وليست حتمية او ازلية ترافق كل مجتمع يفتقر الى النظام والنظرية والتخطيط ، وبالنسبة للمجتمع الاسلامي فانه

---

١ نفس المصدر السابق ، ص٣٩٤ .

٢ فيليب حتي : تاريخ العرب المطول ، ج٢ ، ص٥٤١ - ٥٤٨ .

٣ السامر : الدولة الحمدانية ، ج١ ، ص٣ .

مع وجود الاسلام كنظام له نظريته الاصلاحية ، فان هذا المجتمع لم يخل من نواقص وعيوب ادت الى تجزئة وحدته ، ومرد ذلك في رأيي ، ان مبادىء الاسلام ظلت نظرية لم تجد تطبيقا لها طوال العصور الاسلامية المختلفة خلا فترة التكوين . فالنظام السياسي في العصرين الاموي والعباسي وراثي انقلابي يفتقر الى الديمقراطية والى مبدأ الشورى الذي اقره الاسلام[1] .

اما النظام الاجتماعي فلم يلغ الملكية الفردية ان لم يشجع عليها زمن بعض الخلفاء مما ساعد على ظهور التمايز الطبقي الذي انعكس في انقسام المجتمع العباسي الى طبقة خاصة تضم الخليفة وحاشيته وكبار موظفي الدولة من عسكريين ومدنيين ، ممن تركزت بأيديهم كل الامتيازات ، مالا وجاها ونفوذا[2] ، وطبقة عامة ، تمثل السواد الاعظم من الناس الذين يشكون الجوع والعرى وضنك العيش[3] ، كما ان هذا النظام لم يحرم الرق تحريما نهائيا ككل المحرمات الاخرى ، وفي نفس الوقت حض على عتقهم وفك رقابهم[4] .

ان سوء الاحوال الاقتصادية ، كان البداية التي تجمعت عندها كل سلبيات المجتمع ، فبنية المجتمع المكي التجاري ، قد ساعدت على تركز الاموال بيد نفر من تجار قريش[5] ، ولم ينته وجود هؤلاء التجار بمجيء الاسلام ، ولكن الملاحظ ان تاجر الاسلام لم يصل في جشعه ما وصل اليه تجار قريش قبل الاسلام ، ذلك ان مبادىء الاسلام صقلت نفوسهم وكبحت جماحهم وهذا مانجده فيما ذكر عن ابي بكر من انه

---

(١) كما في قوله تعالى « وامرهم شورى بينهم » سورة الشورى ، ٣٨ .

(٢) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ، ج٥ ، ص٢٦ ـ ٣٨ .

(٣) يحدد جرجي زيدان ج٥ ، ص٣٨ ـ ٥٣ الطبقة العامة باهل المدن وهم المقربون من الخاصة واهل الحرف والصناع والزراع من اهل القرى .

(٤) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

(٥) احمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاسلام ، ص٢٢ .

كان يبتاع العبيد فيعتقهم[1] ، وما بذله عثمان من اموال طائلة تقدر بألف دينار لتجهيز جيش تبوك[2] . ان مايقال عن هؤلاء المحسنين من التجار لاينطبق على آخرين تسابقوا في الحصول على المال بشتى الطرق والوسائل .

لقد ادى توسع الدولة الاسلامية الى كثرة وارداتها وجباياتها التي تحفظ عادة في بيت المال ، والتي لايمنع الخليفة من التصرف بها الا وازعه الديني ، ولذلك فان هذه الاموال بانقضاء خلافة الراشدين وميل الدولة الى العصرية وابتعادها عن روح الاسلام شيئا فشيئا ، قد تعرضت ، لتجاوزات متنوعة ، وبالغ الخلفاء في توزيع هباتهم وافضالهم على كل من له حظوة عندهم ، وشملت هذه الهبات من جملة ماشملت أراضيَ واقطاعات ، نشأ عنها مايعرف بنظام الملكية الواسعة للاراضي الزراعية[3]

ان ظهور الملكيات الضخمة والاقطاعيات الواسعة قد ادى الى كثرة النشاط المالي من بيع وشراء واقتراض واستبدال ومضاربة ، وازدهار التجارة تمشيا مع مستلزمات التطور الاجتماعي وتلبية لمظاهر الترف وحاجات قصور الخلفاء والامراء ، واستخدام الرقيق والموالي والاحرار كعاملين في هذه الاراضي ، فكان ان ظهرت في الاسلام طبقة جديدة من الناس ، تمتاز بكثرة المال والاتباع بالاضافة الى ارستقراطيتها الموروثة ، هي ماتعرف بطبقة البلوتقراطية[4] .

تعددت انواع الاقطاع بمرور الزمن ، فكان هناك اقطاع التمليك وهو مايمتلكه

---

1. ابن هشام : ألسيرة النبوية ، ق١ ، ص٣١٩ .

2. طه حسين : الفتنة الكبرى ، ص٥٣ .

3. السامر : الدولة الحمدانية ، ج١ ، ص٣٤ .

4. Pluto — cracy : a class or group ruling or exercising power or inpluence , by virtue of it wealth ' اي حكم طبقة الاغنياء .

صاحبه ويورثه ، واقطاع والاستغلال وهو مايقابل الاقطاعات العسكرية ، كما منح كبار الموظفين اراضي واسعة بمثابة اقطاع بالاضافة الى الاراضي المستصلحة التي منحت بامر من الخلفاء الى الاغنياء الذين استغلوها لمصلحتهم كالاراضي المحيطة بالبصرة[1] . وان مما زاد في سعة الاقطاعيات التي يمتلكها كبار الموظفين هو ان صغار الملاك كانوا يلجئون اراضيهم اليهم .

ادى ظهور الاقطاع الى تدهور الزراعة ، فمعظم الملاك الكبار يعيشون في مراكز المدن بعيدا عن اراضيهم التي تركوا امر التصرف بها لوكلائهم ، ولاهم لهؤلاء الملاك الا جباية الحاصل نقدا او عينا آخذين بنظر الاعتبار ما كان يرافق هذه الجباية من طرق قسرية واساليب تعسفية ، تبعث على تذمر الفلاحين وشكواهم . كما ان نظام الجند المرتزقة وقيام الثورات الاجتماعية التي اصبحت طابعا مميزا لمجتمع القرن الثالث الهجري ، قد اديا الى نقصان الأيدي العاملة والمنتجة ، فمن الفلاحين من اصبحوا جندا مرتزقة في الجيوش النظامية ، ومنهم من استهوتهم مبادىء بعض الحركات الاجتماعية ، فانخرطوا فيها وتركوا زراعتهم ، مع مايرافق هذه الثورات من خراب ودمار لايقتصر على الزراعة وحدها .

ومن الجدير بالذكر ان نظام الارزاق هذا ، كان مبعثا لتذمر الجند انفسهم ، فكثيرا مايعجز الخليفة عن دفع رواتبهم وارزاقهم ، فيشغبون ويثيرون المشاكل وبالتالي يعملون على ضعف سلطة الدولة وهيبة الخلافة ، وقد تكررت هذه المشاغبات في زمن اكثر من خليفة واحد ، فقد طالب الجند الاتراك بأرزاقهم زمن المعتز ، ولما عجز الخليفة عن دفعها لهم ، عمدوا الى خلعه وارغموه على خلع نفسه[2] .

---

(١) السامر : الدولة الحمدانية ، ج١ ، ص٣٥ .

(٢) الطبرى : ج٩ ، ص٣٨٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص١٩٥ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٦ .

ان الشعور بالاوضاع الفاسدة والوقوع تحت طائلة الظلم والاستبداد ، كثيرا ما ولدا تذمرا ومن ثم رأيا عاما ساخطا يحاول ايجاد حلول اقتصادية مقبولة ، وظروف اجتماعية جديدة تسهم في تطور الحضارة البشرية ، ونجد تطبيقا لهذا في الوضع الاقتصادي السيء الذي اثقل كاهل العامة ودفعها الى ان ترفع لواء المعارضة بوجه السلطة وافراد طبقة الخاصة ومن قبيل ذلك الحركات الشعبية المنظمة والعفوية التي شهد العصر العباسي منها العديد .

وقد واجهت هذه الحركات مقاومة عنيفة من قبل السلطة العباسية واتباعها ، ولاشك ان بعض العوام قد لجأ الى اساليب متطرفة تفتقر الى النظام والوسيلة المشروعة ، وهو امر قد نجد له مايبرره في واقعهم السيء من جهة وفي ترف طبقة الخاصة وما تمارسه من قسوة وظلم بحقهم من جهة اخرى .

ومن هذه الحركات حركات العيارين والشطار والمشعوذين ، لكن هذا لايعني ان كل الحركات كانت على هذا النمط ، بل ان المجتمع العباسي شهد حركات منظمة ذات جذور وميول شعوبية حاقدة على العروبة والاسلام مثل حركتي الزنج والقرامطة .

٢ ـ طبقات المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري :

ان مانستهدفه هنا هو دراسة بنية المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري ، التي تجسدت في طبقتين كبيرتين تتفاوت في العدد والثروة والنفوذ وهذا التقسيم الرئيسي لايعدم وجود فئات صغيرة غير مميزة تقع بين هاتين الطبقتين .

أ ـ طبقة الخاصة :

وهذه الطبقة ـ التي يمكن تسميتها كذلك الطبقة العليا ـ كانت اكثر طبقات المجتمع العباسي رخاء وترفا ، واوسعها ثروة وملكية وجاها وسلطة ، لانها تضم الفئة الحاكمة وكل المنتفعين منها ، وعلى وجه التحديد تشمل الخليفة والامراء والوزراء والولاة ، وقادة الجيش ، والقضاة وكل الاشراف الهاشميين[1] ، يضاف الى ذلك التجار ، ويمكن اعتبار موظفي الدولة اصحاب الموارد المحددة والمعلمين والمؤدبين والعلماء والشعراء والمغنيين والموسيقيين ، فئات ملحقة بهذه الطبقة تعيش على افضالها ، وسأحاول ان اتعرض الى احوال هذه الطبقة المعاشية بصورة عامة[2] .

فالخليفة هو رأس هذه الطبقة ، وصاحب السلطتين الزمنية والدينية[3] ، باعتباره اعلى سلطة في الدولة ، كما انه ظل الله في ارضه ، وخليفة رسوله الذي ينتسب اليه ، وكان بيده الحل والعقد والامر والنهي والبذخ والانفاق ، والخلفاء العباسيون يتباينون في ذلك قوة وضعفا ، بذخا وتقتيرا ، فقد ورث الامين عن ابيه

---

(١) جرونيباوم : حضارة الاسلام ، ص٢٢٠ .

(٢) هناك من يعتبر هذه الفئات طبقة متوسطة كما ذهب الى ذلك الدكتور عبدالعزيز الدوري واستاذي الدكتور فيصل السامر .

(٣) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج٥ ، ص٢٦ .

الرشيد ما مقداره اربعة ملايين وخمسمائة الف دينار[1] ، وامر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه من الحسن بن سهل ، ان يدفع له الف الف دينار من مال فارس واقطعه الصلح[2] ، وقيل عشرة الاف الف[3] . وعقد المأمون في يوم واحد لاخيه المعتصم على المغرب فأمر له بخمسمائة الف دينار ولابنه العباس على الثغور والعواصم وامر له بخمسمائة الف دينار ، ولعبد الله بن طاهر على الجبل ومحاربة بابك وامر له بثلثمائة الف دينار ثم امر لسائر القواد بسبعمائة الف دينار(٤) . وخلف المعتصم بعد موته ثروة قدرت بثمانية الاف الف دينار وثمانية الاف الف درهم[5] ، وقيل ثمانية عشر الف درهم[6] ، وقدرها الثعالبي[7] : « بثمانية الاف الف دينار وثمانية وعشرين الف الف درهم ، وثمانية الاف غلام وثمانية عشر الف دابة » ، وكان تسرفا لايلبس القميص الالبسة واحدة[8] . وتوفي الواثق بالله « وحاصل بيت المال خمسة ملايين دينار عينا وخمسة عشر مليون درهم ورقا[9] » .

وقدم لنا الخليفة المتوكل على الله نموذجا للبذخ لامثيل له في وليمته لما اعذر ابنه

---

(١) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص٢١٤ ـ ٢١٨ .

(٢) الثعالبي : لطائف المعارف ، ص١٢٢ .

(٣) ابن طيفور : بغداد ، ص١١٥ .

(٤) الثعالبي : المعارف ، ص١٤١ .

(٥) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص٢١٤ .

(٦) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج١ ، ص٤٠١ .

(٧) الثعالبي : لطائف المعارف ، ص١٣٦ .

(٨) الجاحظ : التاج في اخلاق الملوك ، ص١٥٤ .

(٩) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص٢١٨ .

المعتز ، فقد جلس بعد فراغ القواد والاكابر من الاكل ومُدت بين يديه مرافيعُ ذهب مرصعة بالجوهر ، وعليها امثلة من العنبر والند والمسك المعجون على جميع الصور وجعلت بساطا ممدودا ، واحضر القواد والجلساء واصحاب المراتب فوضعت بين ايديهم صواني الذهب مرصعة بأصناف الجواهر من الجانبين وبين السماطين فرجة وجاء الفراشون بزنابيل قد غشيت بالادم مملوءة دراهم ودنانير نصفين فصبت في الفرجة حتى ارتفعت على الصواني وامر الحاضرون ان يشربوا وان يأخذ كل من شرب من تلك الدنانير بثلاث حفنات ماحملت يده وكلما خف موضع صب عليه من الزنابيل حتى يُرد الى حالته ، ووقف غلمان في آخر المجلس فصاحوا ان امير المؤمنين، يقول لكم : ليأخذ من شاء ماشاء فمد الناس الى المال فأخذوه[1] ، فكان الرجل منهم اذا اثقل ما اجتمع في كمه من الدراهم والدنانير اخرجه الى غلمانه وعاد فجلس في مجلسه[2] . وقد احصيت نفقات الختان فبلغت ستة وثمانين مليون درهم ونيف[3] ولكثرة مابذخ في هذه الوليمة من مال وطعام ، « سميت بدعوة الاسلام الثانية في حين ان دعوة الحسن بن سهل في زواج المأمون ببنته بوران قد عرفت بدعوة الاسلام الاولى[4] » .

وهناك مثل آخر على اسراف المتوكل انه شرب مرة وامر ان تضرب الدراهم لكل درهم حبتان بما مقداره خمسة الاف الف درهم ، وان تصبغ بالحمرة والصفرة والسواد والوان اخرى ، وامر خدمه وهم سبعمائة ان يعد كل منهم قباء جديدا وقلنسوة بلون متخصص به عن الآخر وعمد الى يوم تحركت فيه الريح فنصبت له قبة

---

(١) الثعالبي : لطائف المعارف ، ص١٢٢ .

(٢) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص١١٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص١١٩ .

(٤) ابن طيفور : بغداد ، ص١١٣ .

لها اربعون بابا فاصطبح فيها والندماء حوله ، ونثرت الدراهم كما ينثر الورد فكانت الريح تحمل الدراهم فتقف بين السماء والارض فكانت من احسن ايام المتوكل[1] ، حتى قال مروان بن ابي السمط[2] :

هذى سماءٌ تمطر الدراهمـا عند امامٍ يعمر المكارما

خليفة قد ولد الضراغما جاء بـهم خلائفا اكارمـا

لازال ملكُ الارضِ فيهم دائما

وبنى المتوكل لابنه ابي عبدالله المعتز بالله ، قصرا في قادسية سر من رأى وبينه وبينها اربعة فراسخ[3] بمبلغ خمسة وعشرين مليون درهم[4] .

ولما قتل المتوكل كان حاصل بيت ماله مليون دينار وخمسين مليون درهم ، ومن الخدم والجواري احد عشر الفا وكانت نفقاته الخاصة في كل سنة مليونا ومئة الف دينار وستة وعشرين مليون وخمس مئة الف درهم ، للسيدة شجاع امه ستة مئة الف دينار وللمطابخ مائتا الف دينار وللبناء ثلاثة مئة الف دينار وللحشم عشرة الاف الف درهم وللكسوة ثلاثة مئة الف دينار وللطيب مئة الف دينار وللثلج الف درهم وللفرش مئة الف دينار وللشراب الفا الف درهم وللندماء خمسة مئة الف درهم وللجْوهر ثلاثة مئة الف دينار ولشراء الرقيق مئة الف دينار . . . . .[5] ، وبلغ ميراث المتوكل من الفرش والرقيق اربعة عشر مليون درهم وقيل مليون دينار تقاسمه المنتصر بالله واخوانه واخواته[6] .

---

(١) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص١٢٢ .
(٢) نفس المصدر ، ص١١٦ .
(٣) الفرسخ : ثلاثة اميال واثنا عشر الف ذراع ـ القاموس المحيط ج١ . ص٢٧٦ .
(٤) نفس المصدر ، ص١٢ .
(٥) نفس المصدر ، ص٢١٨ ـ ٢١٩ .
(٦) نفس المصدر ، ص٢٢٠ .

توفي المنتصر بالله وفي بيت ماله مليون درهم[1] . ولما خلع المستعين بالله وجد في بيت ماله عام (٢٥١ هـ / ٨٦٥ م) ، مليون دينار وعند ابنه العباس ستة مئة الف دينار[2] .

واحصيت تركة المعتضد بالله فبلغت مئة مليون دينار وقد استورثها المكتفي بالله[3] ، وهو اكثر خلفاء بني العباس بخلا وتقتيرا ، روى انه كان يوكل بعض خدمه ليحصي مافضل من الخبز فما كان من المكسر عزله للثريد وما كان من الصحاح زوّالى مائدته من الغد وكذلك كان يفعل بالبوارد والحلواء ، ومن شدة بخله وحبه للمال استحواذه على ضياع المزارعين بغير ثمن حتى شكا الناس ظلمه[4] . ولما مات خلف في بيوت الاموال ثمانية ملايين دينار وخمسة وعشرين مليون درهم وغير ذلك من الدواب والبغال والماشية والملابس والتحف[5] .

هذه امثلة قليلة على ماقام به الخلفاء العباسيون من بذخ وتبديد مما يدل على ان خزائنهم الخاصة كانت اكثر رصيدا من خزائن بيت المال العام الذي خلا من المال في بعض الاوقات حتى طلب العون من خزائن الخلفاء .

تحتل فئات الاشراف[6] ، وموظفي الدولة الكبار من الامراء والوزراء والقادة ، والملاكين اصحاب الاراضي الزراعية الواسعة والتجار من ذوى الاموال الطائلة ، المرتبة الثانية بعد الخليفة من حيث الترف والبذخ والصرف مع فوارق بسيطة بين فئة واخرى ، وقد حصلوا على هذا الثراء من اسلافهم او مما استحوذوا عليه في حياتهم ، ومن مواردهم الضخمة التي اتاحتها لهم مراكزهم الاجتماعية .

---

(١) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص٢٢١ .
(٢) نفس المصدر ، ص٢٣٨ .
(٣) الثعالبي : لطائف المعارف ، ص١١٨ .
(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٨١ .
(٥) نفس المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٨٠ .
(٦) هم اهل بيت الخليفة وجلهم من بني هاشم من العباسيين والعلويين ويسمون بابناء الملوك ـ جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ، ج٥ ، ص٢٧ .

لقد كان حظ هذه الفئات في مناصب الدولة المرموقة كبيرا جدا ، حتى انها كادت ان تكون مقتصرة عليهم ، وذلك لان مفاهيم عصرهم الذي نحن بصدد دراسته لاتسمح لغيرهم في ان يتبؤوا مثل هذه المراكز الحساسة في الدولة سلطة وجاها وثراء . وبين ايدينا امثلة عديدة ومتنوعة لثراء هذه الفئات وبذخها المتطرف ، وسنأتي على بعض الامثلة . فقد بلغت مصاريف دعوة الحسن بن سهل عند زواج ابنته بوران من المأمون ، خمسين مليون درهم[1] ، وكان عرسا لم يسمع بمثله في الدنيا[2] . واطعم ستة وثلاثين الف فلاح مدة اربعين يوما[3] ونثرت على بوران جدتها الفا وثلاثمائة درة كبار وكانت في طبق من ذهب[4] . واوقد في ليلة الزفاف « شمعة عنبر فيها اربعون منا من تور من ذهب فانكر المأمون ذلك قائلا : هذا سرف[5] » ، وفي هذا العرس انفقت حمدونه بنت عفيفي خمسة وعشرين مليون درهم ، وانفقت ام جعفر : مابين خمسة وثلاثين مليون الى سبعة وثلاثين مليون درهم[6] .

وخلفت شجاع والدة المتوكل خمسة ملايين دينار وجوهرا ماقيمته مليون دينار ومن الفرش والرقيق والدواب بقيمة مليون دينار واربع عشرة ضيعة ، مبلغ غلتها في السنة اربع مئة الف دينار[7] ، ووجد في خزانة واحدة لقبيحة ام المعتز مليون دينار ، وفي اخرى تحف بمليوني دينار ، وكانت غلة ضياعها في كل سنة عشرة ملايين

---

(١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص٦ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص١١٥ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٠٨ .

(٤) الثعالبي : ثمار القلوب ، ص١٦٥ .

(٥) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤٥٧ .

(٦) الطبري : ج٨ ، ص٦٠٨ .

(٧) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص٢٣٥ .

دينار . ولما مرضت شاجي جارية ابن طاهر ، اشترى لها رطل ثلج بعشرين الف درهم لندرته [1] ، ومهما يكن في هذا المبلغ من مبالغة فهو بلاشك يشير الى مدى البذخ في ذلك العصر .

وقبض على مال ليحيى بن اكثم لما عزل عن القضاء سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م قدره « خمسة وسبعون الف دينار ببغداد ، وفي اسطوانة في داره الفا دينار واربعة الاف جريب [2] بالبصرة » . ولما غضب المتوكل على احمد بن ابي دؤاد قاضي قضاته وقبض ضياعه واملاكه وحبس ابنه ابا الوليد وسائر اولاده ، ثم صولح ابو الوليد على ستة عشر مليون درهم وترك عمران بن موسى بن يحيى خالد بن برمك بعد قتله زمن الواثق (٣٢٧ هـ / ٨٤١) « مبلغ خمسة ملايين درهم ونحو من الفي سفط عود وآلة وامتعة مرصعة بالذهب » .

وكان لابي الحسن بن الفرات الوزير مطبخ في داره ، فاما مطبخ الخاصة الذي يطبخ فيه فلا يحصى ماكان يدخله من الغنم والحيوان لكثرته ، واما مطبخ العامة المرسوم بما يقدم الى خلفاء الحجاب المقيمين في الدار ويغرف منه للرجال والبوابين واصاغر الكتاب وغلمان اصحاب الدواوين فكان يستهلك في كل يوم تسعين رأسا من الغنم وثلاثين جديا ومائتي قطعة دجاجا سمانا وفراريخ مُصدره ومائتا قطعة دُراجا ومائتاقطعة فراخا وهناك خبازون يخبزون الخبز السميذ من الدقيق الابيض ليلا ونهارا

---

١. نفس المصدر ، ص٢٣٦ .
٢. التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص١٢٦ .

٣. الجريب في المساحة تعادل ٣٦٠٠ ذراع ـ الاحكام السلطانية ص١٥٢ ـ اما الجريب في الوزن فيعادل عشرة اقفزة او مايساوي خمسة وعشرون منا ويختلف من بلد الى اخر .
الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص٤٤ .
٤. الطبري : ج٩ ، ص١٩٧ .
٥. ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٧٤ .
٦. ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص١٨٥ .

وقوم يعملون الحلواء عملا متصلا ، ودار كبيرة للشراب ، وقيل انه لما تقلد الوزارة عام (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) سقى الناس في داره في ذلك اليوم والليلة اربعين الف رطل ثلجاً .

لقد حمل احمد بن طولون والى مصر الى المعتمد في اربع سنين مليوني دينار ، وانفذ هذا الوالي الى المكتفي بالله مليون دينار واربعة وعشرين الف جمل من سائر الامتعة[1]

ومن نماذج الثراء الفاحش مارواه التنوخي[2] : لما صودرت اموال ابي عبد الله بن الجصاص التاجر ، فكانت ستة الاف الف دينار اي ستة ملايين ، سوى ماقبض في داره وما بقي من املاك وموارد .

وتدخل ضمن طبقة الخاصة ، فئة يتمتع افرادها بمستوى معاشي مقبول ، فمنهم من يوشك ان يحسب على قائمة الاثرياء ، لكنه لايرقى الى بذخهم الفاحش وترفهم المفرط مثل عموم موظفي الدولة من ذوى الموارد المحدودة والمؤدبين وبعض الشعراء والمغنيين والموسيقيين غير ان من ابناء هذه الفئة من ينحدر في مستواه المادي والمعاشي الى مستوى السواد الاعظم من الناس ، مثل صغار التجار واصحاب الحوانيت والباعة وذوى المهن والحرف الرفيعة من اهل المدن واتباع الخاصة ، كالجند والموالي والاعوان[3] ، واتباع الخاصة هؤلاء لايجدون عناء في الحصول على لقمة عيشهم التي وفرها لهم اسيادهم مقابل اعمال يؤدنها كالحراسة والمنادمة والخدمة ، كما ان بقاء عملهم هذا مرهون برضى ورغبة مالكهم واكثر هؤلاء حالا من اشتغل في قصور الخلفاء والامراء وبخاصة الجواري منهم[4] .

---

(1) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص٢٨٨ .

(2) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٢٥ .

(3) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ، ج٥ ، ص٢٧ .

(4) بدري محمد فهد : العامة ، ص٢٤ .

ويلاحظ على هذه الفئة المثقفة وقوفها موقفا سياسيا متأرجحا من حركات المعارضة ، وان بعضهم جاهر بتأييده ومساندته للسلطة العباسية وفي مقدمتهم الموظفون بحكم موقعهم الاجتماعي والتزامهم الوظيفي . ولهذه الفئة فضل لايمكن تجاهله ، وهو نشر الوعي والثقافة والمعرفة بين الناس باعتبارهم الفئة المتنورة التي اسهمت في التأليف والترجمة والتشريع ونظم الجيد من الشعر ، وبذلك اسهمت في ازدهار الحضارة الاسلامية في القرن الثالث الهجري .

لقد تعرض بعض افراد هذه الفئة المثقفة لظروف معاشية قاسية ، وبخاصة الادباء والمتنورون الذين رفضوا تزييف الكلمة ، وارتضوا القناعة التي لم تغنهم عن جوع او عطش حتى عمد بعضهم الى حرق كتبه وندب حظه وطالعه وشكا زمانه الذي بخل عليه ، مع انه قد جاد بعصارة لبه وفكره ، وشكوى ابي حيان التوحيدي خير مثال في هذا المجال : « لما رأيت شبابي هرما بالفقر وفقري غنى بالقناعة وقناعتي عجزا عند اهل التحصيل ، عدلت الى الزمان اطلب اليه مكاني فيه وموضعي منه فرأيت طرفه نابيا وانتحلت القناعة رياضة فلم يطل دهري في اثنائه متبرما بطول الغربة وشظف العيش وعجف المال وجفاء الاهل وسوء الحال وعادية العدو وكسوف البال[1] » .

بهذه الشكوى خاطب ابو حيان صديقه ابا الفتح بن العميد طالبا عونه ومساعدته وعارضا عليه حاله وقصر يديه ولايكتفي ابو حيان بهذه الشكوى بل يبثها لصديق آخر من الموسرين يخبره بالحال التي آل اليها حتى انه عمد الى حرق كتبه وغليها بالماء لانها افقدته أعز الاصدقاء والاحباب وهي في نظره صناعة لاسوق لها وصاحبها فقير الحال[2] .

---

(١) ابو حيان التوحيدي : المقابسات ، ص١٠٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص٩ ـ ١١٢ .

وهذا الشاعر خالد الكاتب يقف على باب المربد وهو ينادي : يامعشر الظرفاء والمتخلقين بالوفاء اليس من العجب والنادر الغريب ان شعري يزنى به ويلاط منذ اربعين سنة وانا اطلب درهما فلا اعطى وانشد يقول[1] .

احرمُ منكم بما اقولُ وقد — نال به العاشقون من عشقوا

صرتُ كأني ذبالةٌ نُصِبتْ — تُضيءُ للناس وهي تحترقُ

ووصف التوحيدي مسكويه وهو حجة في العلم والفلسفة « واما مسكويه ففقير بين اغنياء وغني بين انبياء[2]» .

ومن عرف بفقر الحال وضنك العيش وقلة ما في اليد ابو سليمان المنطقي ، وكان من اكبر علماء بغداد في عصر ابي حيان في المنطق والفلسفة ، حتى ان التوحيدي توسط له عند الوزير ابن سعدان فمنحه مائة دينار يقضي بها دينه في اجرة بيته وفي ذلك يقول : « فلما وصل اليه ذلك الرسم وهو مائة دينار وحاجته ماسة الى رغيف وحوله وقوته قد عجزا عن اجرة مسكنة وعن وجه غذائه وعشائه[3]» .

قسم الجاحظ المعلمين الى ضربين[4] : « رجال ارتفعوا عن تعليم اولاد العامة الى تعليم اولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم اولاد الخاصة الى تعليم اولاد الملوك انفسهم المرشحين للخلافة ، ومثل هؤلاء لايقال لهم حمقى فأن لكل قوم حاشية وسفلة فما هم في ذلك الا كغيرهم » .

ورد التوحيدي على اقوال ابي عبيد من ان : « الكتاب في مجالس الخلفاء والوزراء يقولون : اللهم نعوذ بك من رقاعة المنشين وحماقة المعلمين وركاكة

---

١. التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج ٢ ، ص٥٨ .

٢. نفس المصدر السابق ، جـ ١ ، ص٣٥ .

٣. التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج ١ ، ص٥٨ .

٤. الجاحظ : البيان والتبيين ، ج١ ، ص١٣٦ .

النحويين . . .«١» ، قال التوحيدي مدافعا : « مايتعلم الناس الا من المعلم والعالم والنحوى وان ندر منهم واحد قليل البضاعة من الحق وهذا الواحد في قوته نعي بآحاد كثيرة ، وبقي ان تفهم انك ـ اي ابا عبيد ـ محتاج الى الاساكفة اكثر مما تحتاج الى العطارين ، ولايدل هذا على ان الاسكاف اشرف من العطار ، والعطار دون الاسكاف ، والاطباء اقل من الخياطين ونحن اليهم احوج ولايدل على ان الطبيب دون الخياط«٢» » .

واورد الشعراء في شعرهم والادباء في نثرهم ذما للتجار لعلهم يقصدون بذلك الجشعين المكنزين منهم ، انشد ابو جعفر بن حمدون لابن عمه محمد بن حمدون النديم«٣» :

خذوا مال التجار وسوفوهم الى وقتٍ فانهمُ لئامُ
وليس عليكُمْ في ذاكَ إثمٌ لان جميع ماجُمعوا حرام

وقيل في ذمهم شعر آخر«٤» :

وما للتجار وللسخاء وانما نَبتتْ لحُومُهم على القيراطِ

ووصف المأمون هؤلاء التجار بأنهم : «السوقه سفل والصناع انذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس . والناس عنده اربعة : ذو سيادة او صناعة او تجارة او زراعة ، فمن لم يكن منهم كان عيالا عليهم«٥» » .

شكا ابو الحسن الكندي المعروف بالسري الرفاء الموصلي الشاعر المعروف وكان رفاءً مطرزاً ، حاله في حرفته«٦» .

---

١. التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج١ ، ص٩٤ .
٢. نفس المصدر السابق ، ج١ ، ص٩٦ .
٣. التوحيدي : الذخائر والبصائر ، ج٤ ، ص٣٨ .
٤. نفس المصدر ، ج٤ ، ص٣٩ .
٥. البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص١٠٣ .
٦. السرى الرفاء : الديوان ، نشر مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٥ هـ ، ص١٤٠ .

وكانت الابرة فيما مضى   صائنة وجهي واشعاري
فاصبحَ الرزق بها ضيقا   كأنه من ثقبها جارى

وذكر ابو احمد بن حمد [illegible] المروذي احدهم بقوله : « دخلت على ابي بكر بن مسلم ـ وهو ممن عرف بالعلم والزهد ـ يوم عيد فوجدته وعليه قميص مرقوع نظيف مطبق وقدامه قليل خرنوب يقرضه فقلت : يا أبا بكر اليوم عيد الفطر وتأكل خرنوبا ! قال لي : لاتنظر الى هذا ولكن انظر ان سألتني من اين اقول [1] » واشتد بأبي فرعون الساسي الحال ، فكتب الى بعض القضاة بالبصرة[2] :

ياقاضي البصرة ذا الوجه الاغر   اليك اشكو ما معنى ماغبر
عفا زمانٌ وشتاءٌ قد حضر   ان ابا عمرةَ في بيتي انحجر
يضربُ بالدف وان شاء زمَرْ   فاطرُده عني بدقيق يُنتظرْ

ومن قبيل ذلك تظلم الشعراء من الزمان الذي قسى عليهم وجاد على آخرين لايحسنون التعبير ولله في خلقه شؤون وقد قيل[3] :

ارى زمنا نَوْكاهُ اسعدُ اهله   على انهُ يشقى بهِ كلُ عاقلِ
سعى فوقه رجلاهُ والاسى تحته   فكبَ الاعالي بأرتفاعِ والاسافلِ

وتبرم شاعر آخر من تفاوت الارزاق قائلا [4] :

وان امرءاً يهنا بطعم ومشربٍ   وترك جياعٍ خلفهُ لَمهينُ

وجاء احدهم الى المبرد صاحب كتاب الكامل وقال له : «اريد ان تبالغ في

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص٢١ .

(٢) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ، ص٣٤ « وابو عمرة : كنية الجوع » .

(٣) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٩٦ .

(٤) التوحيدي : الذخائر والبصائر ، ج١ ، ص٣٧ .

تعليمي وانا اعطيك في كل يوم درهما [1] . وكان لسرى السقطى احد كبار مشايخ الصوفية وتلميذ معروف الكرخي ، دكان صغير يتجر فيها ولايبيع الا بربح زهيد جدا لورعه وتقواه [2]

ب ـ طبقة العامة :

كان للتطور الاقتصادي الذي شهده القرن الثالث الهجري ، اثر كبير في ظهور هذه الطبقة ككتلة بشرية هائلة ومؤثرة في مجريات الاحداث ، فقد ادى هذا التطور الى ازدهار الزراعة والتجارة والصناعة الى حد كبير ، وبالتالي الى خلق طبقة من الاثرياء الموسرين سميناهم بالخاصة ، تقابلها طبقة تضم اوسع الجماهير من الفقراء والمعدمين الذين يشكلون السواد الاعظم من الناس آنذاك والذين عاشوا ظروفا معاشية قاسية ، ومارسوا عادات اجتماعية متشابهة ، وجمعتهم افكار وعقائد موحدة ، وراودتهم امال ومطامح بالتخلص من اوضاعهم السيئة .

وكان للازدهار الادبي الذي شهده هذا القرن والذي حمل لواءه المثقفون والمتنورون ، اثر كبير في تعميق الهوة بين الاغنياء والمعدمين من الفقراء عن طريق كتاباتهم ونشرياتهم ودعاياتهم [*]

---

1. التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج۱ ، ص٢٧٤ .
2. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج۱۱ ، ص۱۳ .

* من قبيل ذلك : أ / الرسائل التي كتبها ابو عثمان الجاحظ وكتاب البخلاء ومعظم مؤلفات الجاحظ الكثيرة .
ب / مؤلفات ابو حيان التوحيدي ، كالذخائر والبصائر ، والامتاع والمؤانسة ، والمقابسات ، والهوامل والشوامل وغيرها .
جـ ـ ماكتبه ابن الجوزي ، كالاذكياء ، وتلبيس ابليس ، وصيد الخاطر ، واخبار الحمقى والمغفلين ، وصفة الصفوة ، وغيرها .
د / ككتاب « الفرج بعد الشدة » للقاضي ابن علي التنوخي ، ومانسب الى ابي العتاهية وابي الشمقمق وغيرهم من شعر في الفاقة وسوء الاحوال الاقتصادية والشكوى ، وسنأتي على ذكر ذلك خلال البحث .

لقد تعاطف معظم افراد هذه الطبقة مع حركات المعارضة ان لم يكونوا مادتها الاولى وهو ماوقع فعلا ، وفي مجال الثورة هذا انقسموا الى فريقين :

فريق تبنى المعارضة المنظمة كحركتي الزنج والقرامطة ، وآخر عبر عن نقمته بأساليب متطرفة تنزع الى الفوضى والوسائل غير المشروعة كحركات العيارين والشطار والغوغاء .

وللقدماء في العامة اقوال وأشعار ، من ذلك ماذكر الجاحظ في احدى رسائله[1] : « لبس للخاصة قوة بالعامة ولا للعلية قوة على الاراذل ، قال فيهم الامام علي (رض) : نعوذ بالله من قوم اذا اجتمعوا لم يملكوا واذا تفرقوا لم يعرفوا ، وقال واصل بن عطاء : ما اجتمعوا الاضروا ولاتفرقوا الا نفعوا ، فقيل له قد عرفنا مضرة الاجتماع فما منفعة الافتراق ؟ قال : يرجع الطيان الى طينه ، والحائك الى حياكته ، والملاح الى ملاحته ، والصائغ الى صياغته وكل انسان الى صناعته وكل ذلك مرفق للمسلمين ومعونة للمحتاجين ، وكان عمر بن عبد العزيز اذا نظر الى الطغام قال : قبح الله هذه الوجوه لاتُعرف الا عند الشرّ » .

وذكر الشاعر الخريمي العامة لما هبت لنجدة الأمين قائلا :

من البواري تراسُها ومن الـ خُوص اذا استلأمت مغَافُرها
لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا يحشرها بالغناءِ حاشرها[2]

وبعضهم من اكبر شأنها وقوتها اذا اجتمعت على امر ، قال شبيب بن شبيبة : « قاربوا هذه السفلة وباعدوها وكونوا معها وفارقوها واعلموا ان الغلبة لمن كانت معه وان المقهور من صارت عليه[3] » ، بل ان الخلفاء انفسهم خافوا جانبها وتصنعوا

---

(١) الجاحظ : الرسائل ، ج١ ، ص٢٨٣ .

(٢) الطبري : ج٨ ، ص٤٥١ .

(٣) الجاحظ : الرسائل ، ج١ ، ص٢٨٤ .

مداراتها ومجاراتها فقد : اضطر المعتصم الى ان يأمر بأيقاف ضرب احمد بن حنبل خوفا من هياج العامة وثورتهم عليه ، وهذا السبب هو الذي حدا بالواثق الى ان يأمر احمد بن حنبل بمبارحة بغداد وان يُسكن في مكان ناء عن الخليفة قائلا : لاتساكنني بأرضي[1] . وادعى رجل على المأمون مبلغ ثلاثين الف دينار ورفع ذلك الى القاضي يحيى بن اكثم فلما سمع المأمون بذلك بادر الى دفع المبلغ قائلا : « والله مادفعت لك هذا المال الا خشية ان تقول العامة إني تناولتك من جهة المقدرة[2]» .

اوصى المأمون اخاه قبل موته قائلا : « لاتغفل امر الرعية ، الرعية الرعية ! العوام العوام فان الملك بهم وبتعهدك المسلمين والمنفعة لهم الله الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين[3] » .

وصف بعض العلماء العامة ، فقال : « يجتمعون من حيث يفترقون ويفترقون من حيث يجتمعون لايُفل عِزّبهم اذا صالوا ولاتنجع فيهم الحيلة اذا هاجوا ، والعوام اذا كانت نشرا فأمرها أيسر ، وحُدة هيجها اقصر فاذا كان لها رئيس حاذق ومُطاع مدبر وامام مقلَّد فعند ذلك ينقطع الطمع ويموت الحق ويُقتل المحُق[4] » . وظاهر كلامه واضح في ان العامة قوة عارمة لايمكن قهرها لو اجتمعت على امر وتحت قيادة واحدة عند ذلك فراية النصر والغلبة معقودة لها .

ولماهم المأمون بلعن معاوية افتاه يحيى بن اكثم وقال[5] : « يا أمير المؤمنين ان العامة لاتحتمل هذا ولاسيما اهل خراسان » فركن المأمون الى قوله فلما اخبر ثمامه

---

(١) باتون : احمد بن حنبل والمحنة ، ص١٥١ ـ ١٦٢ .

(٢) الابشيهي : المستطرف من كل فن مستظرفة ، ج١ ، ص٩٧ .

(٣) الطبري : ج٨ ، ص٦٤٨ .

(٤) الجاحظ : الرسائل ، ج١ ، ص٢٨٥ .

(٥) ابن طيفور : بغداد ، ص٤٦ .

ذلك قال : « يا أمير المؤمنين والعامة في هذا الموضع الذي وضعها به يحيى والله لو وجهت انسانا على عاتقه سواد ومعه عصا لساق اليك بعصاه عشرين الفا منها وقد جعلها الله اضل سبيلا من الانعام : « ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم كالانعام بل هم اضل سبيلا[1] » .

روى ابن طيفور على لسان احد البغادة مايدل على جهل العامة ، قائلا[2] : « مررت منذ ايام في شارع الخلد وانا اريد الدار فاذا انسان قد بسط كساءه والقى عليه ادوية وهو قائم ينادي عليها هذا الدواء لبياض العين والغشاء والغشاوة والظلمة وضعف البصر ، وان احدى عينيه لمطموسة وفي الاخرى مؤس له ، والناس قد انثالوا عليه واجفلوا اليه يستوصفونه فنزلت عن دابتي ناحيته ودخلت في غمار تلك الجماعة ، فقلت : ياهذا ، ارى عينك احوج هذه الاعين الى العلاج فلم لاتستعمله ؟ فقال : انا في هذا الموضع منذ عشر سنين ما مرّ بي شيخ اجهل منك ، قال : فقلت وكيف ذاك ؟ قال : ياجاهل اين اشتكت عيني ؟ قلت : لا ادري ، قال : فاقبلت على تلك الجماعة ، فقالوا : صدق الرجل انت جاهل وهموا بي ، قال : فقلت لا والله ما علمت ان عينه اشتكت بمصر ، قال : فما تخلصت منهم الا بهذه الحجة » .

وحذر ابن الجوزي من تعلم العامة لعلم الكلام[3] : « ليس على العوام اضر من سماعهم علم الكلام وانما ينبغي ان يحذر العوام من سماعه والخوض فيه كما يحذر الصبي من شاطيء النهر خوف الغرق وربما ظن العامي ان له قوة يدرك بها هذا وهو فاسد فانه قد زل في هذا خلق من العلماء فكيف العوام » . وكتب طاهر بن الحسين الى ابنه عبد الله لما ولي ديار ربيعة بوصية : « والزم لرضاء العامة واعلم انك جعلت

---

(١) سورة الفرقان (٢٥) : الآية ٤٤ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص٥١ .

(٣) ابن الجوزي : صيد الخاطر ، ص٢٨٨ .

بولايتك خازنا وحافظا وراعيا . وافرد نفسك للنظر في امور الفقراء والمساكين ومن لايقدر على رفع مظلمة اليك والمحتقر الذي لاعلم له بطلب حقه[1] » ، وقال احد الحكماء : « لاترفهوا السفلة فيعتادوا الكسل والراحة ولاتجرئوهم فيطلبوا السرف والشغب ولا جرم فانهم اذا سادوا في آخر الامر خربوا بيوت العلية اهل الفضائل[2] » .

وتشمل طبقة العامة ، الفلاحين والعمال وأهل الصنائع والباعة المتجولين واهل السوق والعاطلين عن العمل من العيارين والشطار والمكدين والصعاليك والمشعوذين والخدم والرقيق وغيرهم ممن عاشوا حياة الفقر والفاقة . وليس ادل على اوضاعهم الاقتصادية السيئة من شعر الفاقة الذي جاء على السنة بعض الشعراء وهم بذلك يحاكون واقع هذه الطبقة المزري ، هذا ابو العتاهية يخاطب الامام بلسان العوام قائلا[3] :

مَنْ مبلغٌ عني الاما ... مَ نصائحا متوالية
اني ارى الاسعا ... رَ ، اسعارَ الرعيةِ خالية
وارى المكاسبَ نزرة ، ... وارى الضرورة فاشية
وارى هموم الدهر را ... ئحةً ، تمرُ وغادية
وارى اليتامى والارا ... ملَ ، في البيوتِ الخالية
مَنْ يُرتجى للناس غيرَ ... ك للعيون الباكية
مَن للبطون الجائعا ... ت ، وللجسوُم العارية

اما ابو الشمقمق وهو شاعر اديب طريف صعلوك متبرم ، فيقول[4] :

ولقد اهزلت حتى محت الشمس خيالي

---

(١) الطبري : ج٨ ، ص٥٨٧ ـ ٥٨٩ . ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٣٧١ ـ ٣٧٤ .
(٢) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج٢ ، ص٤١ .
(٣) ديوان ابو العتاهية ، نشر دار صادر ودار بيروت ١٩٦٤ ، ص٤٨٧ .
(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٣ ، ص٣٦ .

من رأى شيئا محالا　　فانا عين المحال
ولقد افلستُ حتى　　حلَ أكلي لعيالي

وفي مكان آخر يصف اولاده واهله [١] :

وقد دنا الفطر وصبيماننا　　ليسوا بذى تمر ولا ارز
وذاك ان الدهر عاداهمُ　　عداوةَ الشاهينِ للوزِ
كانت لهم عنز فأودى بها　　واجدبوا من لبنِ العنز

وهذا ابو فرعون الساسي وهو شاعر اعرابي سائل يصف حاله [٢] :

وصبية مثل صغار الذرّ　　سود الوجوه كسواد القدر
جاء الشتاءُ وهم بشر　　بلا قميصٍ وبغيرِ إزر
حتى اذا لاحَ عمودُ الفجر　　وجاءني الصبحُ غدوتُ اسرى
وبعضُهم ملتصقٌ بصدري　　وبعضهْم منحجرٌ بحجري

ويعلن ابو هفان الشاعر سوء الطالع وتباين الارزاق [٣] :

يامُولجَ الليل في النهار　　صبراً على الذلْ والصغار
كم من حمارٍ له حمارٌ　　ومن جوادٍ بلا حمارِ

وعند ابي سكرة الهاشمي ان الافلاس يولد الجوع ويذهب الصديق [٤] :

جملةُ امرى انني مفلسٌ　　وليسَ للمُفلسِ اخوان
وكل ذى عيشٍ بلا درهمٍ　　فعيشةُ ظلمٌ وعدوانُ

وعيال ابو الشمقمق يجبرون على اكل خبز الغضارة وشرب بول الحمارة [٥] :

---

١. جرينباوم : شعراء عباسيون ، ص١٤٦ .
٢. البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٨٥ ، شعراء عباسيون ، ص١٤٠ .
٣. البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٢٧٨ .
٤. الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٣ ، ص٢٥ .
٥. جرينباوم : شعراء عباسيون ، ص١٤٠ .

ان العيالَ تركتُهم بالمصرِ خبزهمُ الغضارة
وشرابهم بول الحمار مزاجهُ بولُ الحمارة

ورأى الاصمعي تميميا متعلقا بأستار الكعبة يندب حظه وعراه ويقول :

ايا ربُّ ربَّ الناس والمنّ والهُدى امالِيّ في هذا الانام قسيم
اما تستحي مني وقد قمتَ عاريا اناجيكَ ياربي وانت كريم
اترزقُ ابناءَ العُلوجِ وقد عصوا وتترك قرما [2] من قرُوم تميم

١ ـ الفلاحون :

وهم الاكرة [3] من اهل القرى والارياف كما يسمون في كتب الاقدمين [4] . ويشكلون سواد الشعب ومصدر دخله ومعظمهم من سكان البلاد الاصليين الذين اصبحوا بحكم الفتح في عداد اهل الذمة ، وفي المدن اصبح لبعض اهل الذمة شأن كبير حيث اشتغلوا في الوظائف ودوائر المال واعلنوا اسلامهم ، ويتكلمون لغات البلاد الاصلية كالسريانية والآرامية واليونانية في العراق والقبطية في مصر والفارسية في بلاد فارس والتركية في تركستان وماوراء النهر . وهم يرتبطون بالارض التي فيها رزقهم يزرعونها ، ويستثمرون غلاتها ويدفعون عنها ضريبة الخراج .

لقد شهد العصر العباسي الثاني بعد خلافة المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ ـ ٨٦١ م) فوضى وانحلالا في الادارة واستفحالا لسلطة الاتراك ، مما ادى الى تدهور نظام الري والى الزيادة في ظلم الجباة وعمال الخراج

.١. البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٨٥ .

.٢. القرم : البعد المكرم ومنه قيل للسيد قرم مقرم تشبيها به ـ الصحاح ص٣٣٢ .

.٣. « الاكرة جمع اكار والاكار الحراث او الزراع والمؤاكرة تعني المزارعة على نصيب معلوم مما يزرع في الارض » . ابن منظور : لسان العرب ، ص٢٦ ، المجلد الرابع .

.٤. الطبري : ج٩ ، ص٨٧ .

والملاكين للفلاحين ، والى انتشار الفقر والتذمر العام ، ثم ان ظلم الجباة دفع الملاكين الصغار الى بيع ضياعهم فنشأ من جراء ذلك ملاك كبار بأيديهم اراض واقطاعيات واسعة . رفع احدهم الى المأمون مظلمة يشكو مصائب الدهر قائلا : « فلم يسبق لي ضيعة الا خربت او استحوذ عليها ولا نهر الا اندثر ولا منزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد اصبحتُ لا أملكُ سبداً ولا لبداً[٢] » .

ويطلقُ على الذين يسكنون القرى المحيطة ببغداد منهم ، السوادية او اهل السواد[٣] ، وقد عاشوا تحت رحمة قوتين عاتيتين هما : قوة الطبيعة وقوة الانسان وقسوته ، اما قوة الطبيعة فكانت تتمثل بأشكال منها هبوب الرياح العاتية والممطرة وحدوث الفيضانات[٤] ، « ففي عام (٢٨٥ هـ / ٨٩٨م) هبت في البصرة ريح صفراء ثم عادت قفراء ثم سوداء ثم تتابعت الامطار مما لم يشهدوا مثله وقع بَردٌ وزن البردة مائة وخمسون درهما وقد اضر ذلك بالمزروعات ضررا كبيرا[٥] » وفي عام (٢٨٩هـ / ٩٠١م) « هبت ريح عاصفة في البصرة ايضا حتى اقتلعت النخيل وهدمت البيوت وهلك فيه ستة الآف نفس » . وسقط في بغداد عام (٢٩٦هـ ـ ٩٠٨م) ثلج كثير من بكره العصر فصار على الارض اربع اصابع وكان معه بردٌ شديد وجمد الماء والخل والبيض والادهان وهلك النخل وكثير من الشجر .

---

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص١٦ .

(٣) بدري محمد فهد : العامة في القرن الخامس الهجري ، ص٨٦ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص٩٠ .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص٤٩٠ .

ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٥٢٢ .

نفس المصدر ، ج٨ ، ص٥٤ .

ومن اشكال تحكم الطبيعة انتشار الجراد الذي يهلك الزرع ، كالذي ظهر في نهاية القرن الثالث للهجري بكميات كبيرة اتت على الغلات والاشجار فاشتد الغلاء حتى بلغ كر [1] الحنطة خمسين ومائة دينار [1]

اما القوة الثانية التي عرقلت مجهودات الفلاحين فهي افعال الجند وقسوة عمال الخراج ومضايقات الملاك الكبار وثقل دفع الخراج نفسه . فكثيرا ما كان الجند يستغلون حدوث الفتن فيهجمون على القرى ويسرقون مايجدون من مواشي ودواب علاوة على اشاعتهم الخوف والهلع في قلوب الفلاحين [2] ، كما حدث لجيش ابي احمد وابنه ابي العباس الذي قصد واسط لاخراج الزنج منها بعد ان دخلوها عام (٢٩٧هـ / ٩٠٩م [3]) ، فقد احتوى الجند على الذخائر والاموال والاطعمة والمواشي والدواب ، وكثيرا ما تحاول السلطة منع الجند من الاعتداء على الفلاحين ولكنهاعلى الاغلب لاتنجح في مسعاها .

والى جانب هؤلاء الجند كان هناك عامل بشري آخر يشكل ظلما وحيفا يلاحق الفلاحين وهو جور الولاة وسوء معاملة عمال الخراج ، ففي عام (٢٦٠هـ / ٨٧٣م) « عندما اشتد البرد في الموصل واهلك الاشجار والثمار والحنطة والشعير ، طالب عامل الموصل المدعو ادكوتكين الزراع بالخراج حتى على الغلاة التي

---

[1] الكر العراقي في بغداد والكوفة يساوي ستين قفيزا مفاتيح العلوم ص١٢ ، ولمعرفة المزيد عن هذه الاوزان يراجع هامش ص١١١ من الرسالة .

[2] ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص٢١ .

[3] بدري محمد فهد العامة ، ص٩٠ .

[4] ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص٣٤٤ . ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص٥٨ .

هلكت[1] » .

واستكثر اهل قم ماعليهم من خراج وشكوا ثقله الى الخليفة المأمون ، وسألوه الحط فلم يجبهم وحاربهم وجباهم سبعة الاف الف درهم بعد ان كانوا يتظلمون من الفي الف درهم[2] . ويذكر الصابي[3] : ان بعض العمال كانوا يطلبون الولاية في سبيل الحصول على الاموال وذلك بسلب الفلاحين في القرى بعض غلاتهم وقد يقاسمونهم أياها كأن يبعثون بعض رجالهم الى البيدر فيقسمونه كما يشاؤن واذا تكلم الاكار شتموه وحلقوا لحيته وضربوه وقد لايرضيهم ذلك فيغتصبون الضياع برمتها . وكثيرا ما كان الفلاحون يتعرضون للعذاب كالضرب بالسياط وتعليق الحجارة بأبدانهم وايقافهم في الشمس المحرقة لغرض اخذ الاموال منهم بالقوة او ضمان محصولهم قبل نضجه بسعر زهيد خلاف رغبتهم وقد استنكر ابو يوسف ذلك واشترط للجباية توفر الرغبة وان يعين الخليفة رجلا يرى مدى تطبيق ذلك بالعدل والقسطاس[4] .

وقد عُرفَ الفلاحون بالسذاجة والبساطة وفوران العاطفة فقد ذكر ان المازار وهو من اتباع بابك الخرمي قد جمع مناوئيه عام ٢٤٤ هـ / ٨٥٨م) ودفع بهم الى الاكرة ليلا ليقتلوهم وكان عددهم ٢٦٠ فتى ، فلما عاد الاكرة الى عقولهم ندموا على فعلهم وارادوا ارضاءهم ، فاباح لهم منازل ارباب الضياع وحرمهم الا ما كان من جارية جميلة من بناتهم فتكون له وقال لهم اقتلوا ارباب الضياع جميعهم ثم جوزوا ما

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٢٦٩ .

(٢) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤٦٠ .

(٣) الصابي : تاريخ الوزراء ، ص٩٢ .

(٤) العطوى : ارض السواد ، ص٣٢ .

في منازلهم الا ان الاكرة هذه المرة خافوا وحذروا فلم يفعلوا ما امرهم به[1] .

لقد كانت حالة الفلاحين على العموم مزرية وكانوا مرهقين بالضرائب ويعانون من عدم توفر وسائل الراحة ، بل وحتى مما هو ضروري للزراعة كالالة والمياه الوافرة وبالاخص المزارعين خارج العاصمة الذين يقطنون القرى والارياف فقد وقع هؤلاء تحت نيرين ، نير الدولة القريبة منهم ونير الطبقة العليا واصبحوا يعملون لسيد قريب منهم ولسيد آخر يقبع في العاصمة بغداد[2] .

٢ ـ العمال وصغار الصناع :

وهم الذين يسكنون المدن وهم اخلاط من مولدي العرب والفرس والترك والديلم والروم والنبط والجركس والاكراد والكرج والبربر ، ويشار اليهم بالاصناف واصحاب المهن واهل الصنائع[3] . وعلى الرغم من كونهم من فئات متعددة الا ان اللغة العربية كانت تربط بينهم ، باعتبارها لغة الدولة التي يعيشون في كنفها ، والمهنة حركة يتعاطاها الانسان بلا خفر ولا استكراه[4] . وقد اكد الاقدمون على ان يقومَ كل صانع بعملهِ الذي يتقنه ولو خيرَ ومُكنَ لزاولَ كل الصنائعِ طمعا في المال والجاه ، ودليلهم على ذلك ان الحائكَ لايزرع القطن والخياط لاينسج الثوب والخبّاز لايذبح الشاة والعطار لايدبغ والرقاص لايضرب بالعود ، ولو امكنَ لفعل كل واحدٍ جميع ذلك[5] .

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص٨٧ .

(٢) بندلي جوزى : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ص٧٣ .

(٣) الجاحظ : الرسائل ، نشر السندوبي ، ص١٢٦ .

(٤) التوحيدي : الهوامل والشوامل ، ص٨٦ .

(٥) التوحيدي : المقابسات ، ص٢٤٢ .

كان جل الصناع واهل الحرف من الموالي واهل الذمة في بداية القرن الثالث الهجري وقد انضم بعض المسلمين العرب وزوالوها بسبب تحسن النظرة الى بعض المهن كالتجارة والصناعة فيها بعد . ويلاحظ ان اكثر الخياطين والصاغة والاساكفة والجزارين من اليهود ، واكثر المسيحيين صيارفة وتجارا[1] . وتعليل ذلك احتقار المجتمع لهذه المهن من جهة ، وتعارض الدين الاسلامي مع بعضها من جهة اخرى كالصيرفة التي تعتبر ضربا من الربا الذي نهى الدين عنه واعتبره حراما في الآية « واحل الله البيع وحرم الربا[2] » .

ان مما يخفف من نظرة احتقار الناس لتلك الصنائع كونها صناعات موروثة ، يزاولها اصحابها منذ الصغر[3] .

وللعرب في هذا المجال اقوال كثيرة ، كقول الجاحظ : « الحمقُ في الحاكة والمعلمين والغزالين[4] » . وقول المأمون : « السوَقة سفَلٌ والصناع انذال والتجار بخلاء[5] » ، وكانوا اذا ارادوا ذم احد قالوا : « يا اخدر من جفنة الدباغين وانتن من ريح القصابين ، يا انتن من حانوت الحجام يا اقذر من طين السماكين ، يا اثقل من طفيلي يعربد على الندماء ، يا اشد على الاحرار من تطاول الحجاب وعبوس البواب وجفاء الحجّاب ، يابيرم النجار يازنبيل القماش[6] .

---

(١) ابو يوسف الخراج ، ص١٢٣ ، القاهرة ١٣٥٢ هـ ، ط٢ .

(٢) سورة البقرة (٢) : الآية ٢٧٥ .

(٣) ابن الاخوة القرشي : معالم القربة في احكام الحسبة ، ص٢١٥ .

(٤) الجاحظ : البيان والتبين ، ج١ ، ص١٣٦ .

(٥) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص١٠٣ .

(٦) ابن المطهر الازدى : حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص١٢٠ ـ ١٤٠ .

وقد تناول الشعراء ذلك بشعرهم ، كتب احدهم الى عبدالله بن طاهر[1] :

اذا كان الجوادُ له حجابٌ   فما فضلُ الجوادِ على البخيل

وقال آخر[2] :

واحضرُ بابَ ابراهيم جهلا   بما فيه وارشو الحاجبين
فاخرُجُ ان خرجتُ بغير شيءٍ   وادخل ان دخلتُ بدرهمين

ولشاعر ثالث[3] :

يدل على انه كاتب   سوادٌ بأظفاره راتبُ
فانْ كان هذا دليلا له   فاسكافُنا كاتبٌ حاسبُ
حِجابٌ شديدٌ لابوابِهِ   وليس لبابِ استه حاجبُ

لقد كانت اجور العمال زهيدة مما يدل على انهم كانوا يعيشون في فاقة ، فقد بلغت اجرة عامل في حانوت نصف درهم في اليوم مع كسوته وطعامه وقد تزيد على ذلك تبعا لمشيئة صاحب الحانوت وكانت اجرة عامل الحفر ثلاثة دراهم في اليوم واجرة الحداد خمسة دراهم ليوم واحد واجرة عامل حمام خمسة دراهم ايضا[4] .

ويمكن تقسيم اهل الصنائع الى طائفتين :

الاولى : هم المأجورون الذين يقومون بعملهم لحساب غيرهم لقاء اجور يأخذونها من مستخدميهم ، وتعطى لهم اما اجور يومية او على حساب القطعة ، وقد يعملون في بيوتهم ومحلاتهم الخاصة او في بيوت مستخدميهم وهم قد يستعملون في عملهم ادواتهم الخاصة وموادا اولية من عندهم او مما يجهزهم به مؤجروهم ،

---

(١) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص١٠٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص١٠٣ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص١٠٣ .

(٤) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ٣٨٤ .

ويدخل ضمن هذا النوع من العمال الصناع من العبيد الذين يعملون لاسيادهم او قد يكونون مأذونين لهم حق العمل فيما يريدون من صناعات وقد يدفعون لاسيادهم هم كل ما يجنونه او قد يدفعون مبلغا معينا من المال يدعى ضريبة او خراجا او غلة .

فقد بلغ دخل الزجاج في نهاية القرن الثالث الهجري « درهما ودانقين او درهما ونصف يدفع لاستاذه درهما ويبقى لديه نصف درهم او اقل يعتاش بها[٣] » . وحتى من كان منهم يشتغل في بلاط الخليفة فان راتبه الشهري قليل وزهيد لايتجاوز الثلاثين درهما في الشهر كما هو بالنسبة للحرفيين الذين يشتغلون في قصر الخليفة المعتضد ابان القرن الثالث الهجري[٤] .

اما الطائفة الثانية : فهم الصناع المستقلون الذين يعملون لحسابهم الخاص من ذوى الحرف الذين يرثون صنعة آبائهم عادة ، وهم على العموم احسن مكانة من الصنف المأجور ، فهم يمتلكون وسائل الانتاج والادوات ورأس المال في بعض الاحيان ولهم حرية التصرف في عملهم كما يشاؤون بعيدا عن السيطرة والتسلط[٥] ، ولهؤلاء الصناع اصناف وتسميات عدة[٦] .

٣ ـ العاطلون عن العمل :

وكانوا طوائف مهمة من العامة ، الذين سكنوا المدن وارتزقوا من النهب

---

(١) الهمداني : تكملة تاريخ الطبري ، ص٥١ .

(٤) الصابي : تاريخ الوزراء ، ص٢٢ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢١٨ .

(٦) كالحدادين والرفائين ، والعصارين ، والاساكفة ، والمطرزين ، والوراقين ، والمجلدين والعطارين ، والمشهدين ، والنجارين ، والخراطين ، والاسفاطين ، والسقائين ، والخبازين ، والطباخين ، والمخرقين ، والبوابين ، والحجابين ، والمضحكين ، والطبالين ، والجزارين ، والبواقين ، والموسيقيين ، والسواقين ، والشوائين ، والفرانين ، والطحانين ، والقلائين ، والدلالين ، والرواسين ، والبقالين ، والبنائين ، والحلويين ، والزلابين ، والعبارين ، والشرابين ، والفخارين ، والحجامين ، والكحالين ، والخياطين ، والحاكة ، والجصاصين . . . الخ ـ بدري محمد فهد : العامة ، ص٥٩ ـ ٦٢ .

واللصوصية ، ولهم عند المؤرخين المسلمين تسميات مختلفة كالرعاع والصعاليك والزواقيل والحرافيش[1] ، والعراة والاوباش والدعار والسوقة والعوام[2] ، والسفلة والغوغاء والفساق والطرارين[3] .

ومن العاطلين الحرافيش والحواة والمشعوذون والعبيد السود (الزنج) ، وهؤلاء اكثر طوائف العامة انتشارا ، وقد ثاروا في اواسط القرن الثالث الهجري قرب البصرة وامروا عليهم علي بن محمد بن احمد الذي ظهر بينهم وادعى النسب الى الامام علي[4] ، وانه ما جاء الا ليخلص العبيد من جور ملاكهم ورثى لعيشهم على السويق والتمر ومناهم بالمال ورغد العيش[5] ، ونظمهم في جيش ضخم هدد الدولة العباسية وانهك قوتها مدة تزيد على اربعة عشر عاما (٢٥٥ ـ ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ ـ ٨٨٣م) ، حيث قُضي على حركتهم في زمن الخليفة المعتمد[6] ، ومن ابرز فئات العاطلين ، العيارون والشطار والمكدون ، وسأتعرض لهم بشيء من التعريف

١ ـ العيارون :

ولهم تسميات متعددة في المصادر العربية[7] ، منها المشردون والفساق والدعار والرعاع والطرارون والغوغاء والاسافل والسفهاء واللصوص واهل الطرق ، فقد

---

(١) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ، ج٥ ، ص٥٥ .
(٢) مؤلف مجهول : العيون والحدائق في معرفة الحقائق ، ج٣ ، ص٣٣٢ ـ ٣٣٣ .
(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٢٧٣ ـ ٢٧٦ .
(٤) الطبري : ج٩ ، ص٤١ .
(٥) نفس المصدر ، ج٩ ، ص٤١٥ .
(٦) السامر : ثورة الزنج ، ص١٣ ـ ١٥ .
(٧) الطبري ، ج٨ ، ص٥٥١ .

روى عن احمد بن حنبل قوله : « رحم الله ابا الهيثم الحداد : لما مددت يدي الى العقاب ، واخرجت للسياط اذا أنا بأنسان يجذب ثوبي من ورائي ، ويقول لي : تعرفني ! قلت : لا ، قال انا ابو الهيثم العيار اللص الطرار ، مكتوب في امير المؤمنين اني ضربت ثمانية عشر الف سوط بالتفاريق ، وصبرت على طاعة الشيطان لاجل الدنيا ، فأصبرْ انت في طاعة الرحمن لاجل الدين [1]» .

ومن تسمياتهم الشائعة «الفتيان» [2] ، كقول شاعرهم :

ويقول الفتى ، اذا طعن الطعـ نة خذها من الفتى العيار [3]

والمتداول في تسمياتهم : العيارون [4] ، وهم العراة الذين ظهروا في نهاية القرن الثاني الهجري ابان فتنة الامين والمأمون ، وحصار بغداد عام ١٩٧هـ وقد بلغ عددهم آنذاك مائة الف [5] .

---

(٢) د . الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص٦٨ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ ، ص٢١٨ .

(٤) الطبري : ج٨ ، ص٤٦٥ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ومعاون الجوهر ، ج٢ ، ص٢١٨ .

(٦) الطبري : ج١ ، ٤٥٨ .

وقد اقتصر لباس العيارين على « ازرة » او « مئزر[2] » يلفون بها اوساطهم[3] ، وفي الازمات والمعارك يجعلون في اعناقهم الجلاجل والصدف الاحمر والاصفر ومقاود ولُجما من مكانس ومذاب وهم عراة في اوساطهم المآزر[4] ، وصفهم الشاعر عمر الوراق بقوله[5] :

عريان ليس بذي قميصٍ   يغدو على طلبِ القَميصِ
يعدو على ذي جوشنٍ   يعمي العيون من النصيص
في كفه طرادة   حمراء تلمعُ كالفصوصِ
حرصاً على طلب القتالِ   اشدُ من حرصِ الحريص

ويقاتل العيارون وفي رؤوسهم « دواخل من الخوص سموها الخود ، ودرقا من الخوص والبواري قد قرنت بالحصى والرمل[6] » ، وفي ذلك يقول الشاعر الاعمى :

---

(٢) « المئزر : قطعة القماش التي تستر العورة والتي تلبس من السرة الى اسفل » دوزى : المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة د . اكرم فاضل ، ص٤٠ .

(٣) د . الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص٦٨ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ ، ص٢١٨ .

(٥) الطبري : ج٨ ، ص٤٦٥ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ومعاون الجوهر ، ج٢ ، ص٢١٨ .

(٧) الطبرى : ج١ ، ٤٥٨ .

معشر من جواشنِ الصوف يغدون	الى الحربِ كالاسودِ الضواري

وعليهم مغافُر الخوص تجرئهم	عن البيض والتراس البواري

واحد منهم يَشدُّ على الـ	ـفتى عريان ماله من ازار

ويصفهم الشاعر الخريمي بقوله[1] :

من البواري تراسها ومن الـ	ـخوص اذا استلأمت مغافرها

تغدو الى الحرب في جواشنها	الصفوف اذا ماعدت اساورها

كتائبُ الهرشِ تحت رايتِه	ساعدَ طرارها مقامرها

لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا	يحشرها للقباء حاشرها

لقد عانت فئات العاطلين ، الحرمان والجوع والتشرد والاحتقار الاجتماعي وهذا مايفسر لنا تجمعهم في حركات مضادة وساخطة ، تعتبر حركة العيارين واحدة من تلك الحركات التي ما شهد القرن الثالث الهجري مايماثلها وما هو اعنف منها ، وان كانت حركة العيارين تنفرد من بين تلك الحركات بطابعها السرى وبأسلوبها الفوضوي الحاقد على الاغنياء والساخط على مثل وقيم المجتمع العباسي ولسان حالهم يقول :

عليك ثوبان وأمي عاريةْ	فألقِ لي ثوبكَ يابَن الزانية[2]

لقد انتظم العيارون في عصابات تصدت الى نهب الحوانيت والاسواق وبيوت الاغنياء . فبعد ان انتهت فتنة الامين والمأمون التي دامت اربعة عشر شهرا ، استمروا في حركتهم ، مما اضطر القائد طاهر بن الحسين الى فرض الحصار الاقتصادي على بغداد ، وقد تسلطوا خلال الفتنة وقاموا ببعض التعديات ، وجبوا

---

[1] نفس المصدر ، ج٩ ، ص٣٤٦ .

[2] مؤلف مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، ج٣ ، ص٣٣٣ .

الاسواق واباح لهم رؤسائهم النهب والسلب علانية[1] .

ان تذمر العيارين من سوء احوالهم الاقتصادية ، وانتقادهم لنظام توزيع الثروة غير العادل ، جلبت لهم عطف الشعب الكادح الذي عانى ماعانوه ، فانضم اليهم اهل الحرف والباعة المتجولون وصغار التجار الذين كسدت سوقهم وبارت بضاعتهم ، فقد ذكر ابن الاثير[2] : ان باعة الطريق واهل السجون والاوباش واهل السوق قد انخرطوا في صفوف العيارين وحاربوا ببسالة قبالة جيش طاهر بن الحسين .

وليس للعيارين جنس معين ، بل كانوا خليطا من عدة اجناس اكثرهم من غير العرب ، كما تدل اسماء رؤسائهم امثال نبتويه وخالويه وديكويه ودويل[3] .

ونشط العيارون للمرة الثانية في فترة الحصار الثاني لبغداد عام (٢٥١ هـ / ٨٦٥م) ، حتى كثر شغب الاتراك في سامراء .

وجدير بالذكر ان الرأي العام البغدادي قد عاب على المعتصم اعتماده على الاتراك وبناءه سامراء مدينة لهم ، حتى ان احد الشعراء عيره قائلا[4] :

ايا ساكن القاطول بين الجرامقة (٥)   تركت بغداد الكباش البطارقة

وقد بلغ عددهم آنذاك خمسين الف عيار حتى انهم اذا تحركوا هلك بعضهم من كثرة عددهم وسرعة حركتهم ، فقد اعتمد عليهم المستعين ضد الاتراك الذين

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٢٧٢ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) الطبري : ج٩ ، ص٣٠٩ - ٣١١ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٤ ، ص٥٤ .

(٥) في لسان العرب ، ج١٠ ، ص٣٥ « الجرامقة قوم بالموصل اصلهم من العجم ، والجرموق ، خف صغير وقيل خف صغير يلبس فوق الخف » وقد استعملها الشاعر في هذا الموضع استخفافا بالاتراك .

بايعوا المعتز في سامراء ودارت بينهم معارك تمكنوا من صد هجمات الاتراك على بغداد ، « وكان عليهم عريف يقال له نبتويه وبايديهم البواري المقيرة وقد ثبتوا ، في حين ان اهل بغداد ولو الادبار وتركوا قتلاهم وجرحاهم[1] » واستعان بهم المهتدى سنة (٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م [2]) .

لقد كانت بعض حركات العيارين موجهة ضد السلطة علانية ، فقد ثاروا عام (٢٤٨ هـ / ٨٦٩ م)وافتتنوا مع الشرطة ، وصبوا عليهم الماء وطاردوهم في الشوارع واولع العيارون بأذى الخدم السود ايضا فكانوا يقولون لهم : « ياعقيق ! » وقد انتصف المعتضد لهؤلاء الخدم[3] . وقد اقتصر اذا هم هذا على الخدم الذين كانوا في بلاط الخليفة وحاشيته انتقاما من السلطة والمنتفعين بها .

وفي سنة (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) ، قاتل العيارون محمد بن عمرويه صاحب الشرطة في بغداد وكل من اراد بيعة ابن المعتز[4] .

اما اسلحة العيارين ، فكانت الحجارة والمقاليع والآجر المقطع والبارية المقيرة والجعبة او المخلاة والتراس من البواري ، واتخذوا الخوذ من الخوص والرماح من القصب والبوقات من القصب وقرون البقر ، وقد ذكر الطبري[5] : ان العيارين استعملوا في حرب الاتراك الكافركوبات وهي بواري مقيرة فيها مسامير من الحديدوترأسهم نبتويه ونودى من اراد السلاح ، فوافاها العيارون من كل جانب ، فقسمه عليهم وتفرقوا على ابواب بغداد وقد قتلوا من الاتراك خمسين نمسا وقتل منهم عشرة .

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٤٤ .
(٢) الطبري : ج٩ ، ص٢٨٨ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص١٧١ .
(٤) مسكويه : تجارب الامم ، ج٥ ، ص٧ .
(٥) الطبري : ج٩ ، ص٢٨٨ .

نظم العيارون انفسهم الى عشرات على كل منها (عريف) ، وعلى كل عشرة عرفاء (نقيب) ، وعلى كل عشرة نقباء (قائد) ، وعلى كل عشرة قواد (امير[1] (والرئيس) وتحت امرته عشرة امراء وهو الرئيس الاعلى للتنظيم العسكري العياري[2] .

ومن رؤساء العيارين ، حاتم الصقر وقد اشتهر في حوادث (١٩٧ هـ / ٨١٢ م[3] ، وابو مسمار ، وفرج البغوارى ، ونبتويه ، وخالويه ، ودويل ، ودغال ، وابو نملة ، وابو عصارة ، وديكويه ، والمخرمي وقد ذاعت شهرتهم في حوادث (٢٥١ هـ / ٨٦٥ م[4]) .

ب / الشطار

طائفة امتهنت اللصوصية ، وجاهرت بها واعتبرتها صناعة حلالا وسلاحا رادعا بوجه الاغنياء ، مبررين ذلك بالفقر الذي هم عليه والحاجة التي اضطرتهم الى السرقة ، بعد ان اسقطت ارزاقهم . يضاف الى ذلك ان الاغنياء في القرن الثالث الهجري ، قد تساهلوا في دفع الزكاة حتى ان قسما منهم امتنع عن دفعها ، ولهذا وعلى حد زعمهم وجبت مهاجمتهم والسطو على اموالهم احقاقا للحق ، وانصافا للضعفاء وانتصارا للدين الاسلامي الذي اعتبر الزكاة فرضا واجبا للفقراء في ذمة الاغنياء.ه.

فقد كان ابن حمدون وهو احد رؤسائهم المعروفين ، لايتعرض لاصحاب البضائع

---

(١) مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص٥٥ .

(٢) الطبري : ج٩ ، ص٣٠٩ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٩ ، ص٢٧٦ .

(٤) الطبري : ج٩ ، ص٣٠٩ ومابعدها .

سورة البقرة : ٢٧٧ ، سورة التوبة : ٦٠ .

القليلة التي تكون دون الالف الا اذا تشارك مع اخر ضعيف الحال ، وانه لايفتش امرإة ولايسلبها (١).

روى بعض التجار البغداديين : قال خرجت من بغداد اريد واسط فافقرني احد اللصوص واخذ كل ما املكه فسهل علي الموت وكنت اسمع ببغداد ان ابن حمدون فيه فتوة وظرف وانه اذا قطع لم يعرض لاصحاب البضائع القليلة التي تكون دون الالف واذا اخذ ممن حاله ضعيفة شيئا قاسمة عليه فترك شطر ماله في يديه ، وانه لايفتش امرأة ولايسلبها وحكايات كثيرة مثل ذلك ، فاطمعني ذلك فصعدت الى موضعه وكلمته بأمري وما آلت اليه حالي ، فاجابني قائلا : لعن الله السلطان الذي احوجنا الى هذا ، فانه قد اسقط ارزاقنا فاحتجنا الى هذا الفعل ، ولسنا فيما نفعل بمرتكبين امرا عظيما مما يرتكبه السلطان ، ثم امر باحضار ما اخذ مني ، فاعطاني نصفه ، فقلت : ان الطريق فاسد وما ان اتجاوزك حتى يؤخذ هذا ايضا ، فانفذ معي من يؤديني الى المأمن قال : ففعل ذلك (٢) .

وظهر الشطار الى جانب العيارين كقوة مؤثرة في احداث بغداد ابان فتنة الامين والمامون ، وكان لهم دور ملحوظ فيها لحق بها من نهب ودمار ، عبر عنه الشاعر الخريمي احسن تعبير بقوله :

يُحرقها ذاك وذاك يهدمها	ويشتفي بالنهاب شاطرها
والكرخُ اسواقها معطلةٌ	بين عيارها وعائرها (٣)

ويمثل الشطار التنظيم السلمي في حين ان التنظيم الحربي قد عبر عن نفسه في حركة العيارين من خلال انتظامهم في نظام الجند العشري الذي سبق ذكره (٤) ، وهم

---

(١) الجاحظ : البخلاء ، ص١٠٥ .
(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص١١٩ .
(٣) الطبري : ج٢ ، ص٤٥١ .
(٤) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ، ج٥ ، ص٥٢ .

في اوقات السلم ينتظمون في جماعات ونقابات خاصة [1]، وكل وحدة من هذه التنظيمات تضم عددا من الفتيان يتولى امرتها الشيخ او الاب او القائد ويسمونه الكبير[2] .

وكان للفتيان او الفتوة قاضي يملي عليهم الآداب . كالقاضي ابن الفاتك[3] . فقد كانوا يجتمعون عنده وكان يسكن بغداد عند باب الكرخ ومن كلامه : (الساقي من لاينبغي ان يكون محدثا ولا مغالطا ولا محابيا ولا حريصا ولا مفكرا ولامتكئا ولا محتبيا ولا مشتغلا بأمر غيره [4]) .

ولعلي بن الجهم شعر في رجل اسمه المفضل يسكن بالكرخ كان يجتمع له جماعة الشطار تألف القيان[5] .

نزلنا ببابِ الكرخ اطيب منزلٍ   على محسنات من قيان المفضلِ
اشربْ بيدٍ واغمز بطرفٍ ولا تخف   رقيبا اذا ما كنت غير مبخلِ
ودعْ عنك قولَ الناس اتلفَ ماله   فلانٌ فأضحى مدبرا غير مقبلِ

وقد انتظموا في كيانات واصبحت لهم خلايا وجماعات ، كالاحزاب وكانوا ينشرون دعوتهم بين الغلمان والصبيان والفتيان ، اوصى عثمان الخياط الشطار اللصوص قائلا : « عليكم باتخاذ الغلمان فان غلامك هذا انفع من اخيك واعدل لك من ابن عمك[6] . واذا ما انظم اليهم عضو جديد اقاموا له حفلة ، شربوا فيها

---

(1) الشيبي : الصلة بين التصوف والتشيع ، ص٢٠٤ .

(2) ابن المعمار : الفتوة ، ص١٩٢ .

(3) الجاحظ : الحيوان ، ج٢ ، ص٣٤٦ .

(4) ابن المعمار : الفتوة ، ص١٧ .

(5) ابن المعمار : الفتوة ، ص٢١ .

(6) الجاحظ : الحيوان ، ج١ ، ص١٦٨ .

الانخاب في مكان بعيد عن اعين الناس[1] . ويلبسون ملابس خاصة بهم ويأتزرون بمئزر على صدورهم يعرف بأزرة الشطارة، ويتلثمون بلثام او قناع يخفون وجوههم تحته وفي ذلك يقول عثمان الخياط : « دعوا لبس العمائم وعليكم بالقناع[2] ، والقلنسوة[3] .

ويطلق على الشيوخ من الشطار ممن عجز عن القيام بمهام الشطارة : بالتوابين[4] ففي زمن المعتضد ، حدث ان نقب منزل صاحب عطاء الجيش واخذ ما فيه من مال فعمد صاحب الحرس وهو يومئذ مونس العجلي الى احضار التوابين والزمهم بتشخيص اللص الفاعل[5] .

وللشطار حيل متنوعة وطرق متباينة في ممارسة اعمال اللصوصية ، وقطع الطرق ، فقد لجأوا الى اخذ الغلمان والنساء علانية من الطرق « فيأتون الرجل فيأخذون ابنه فيذهبون به فلا يقدر ان يمتنع عليهم وكانوا يسألون الرجل ان يقرضهم او يصلهم فلا يقدر ان يمتنع عليهم وكانوا يجبون المارة في الطرق والسفن ويخفرون البساتين ، فقد خرجوا يوما الى قطربل فانتهبوها علانية واخذوا المتاع والذهب والفضة والغنم والبقر وادخلوها بغداد وجعلوا يبيعونها علانية[6] .

---

(1) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن (٤هـ) ، ص٨٣ .

(2) القناع « نوع من القماش يوضع على الرأس » دوزى ، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ص٣٠٣ .

(3) القلنسوة « طاقية توضع تحت العمامه » دوزي ، المعجم المفصل ص٢٩٦ .

(4) التوابون : هم شيوخ اللصوص ومفردهم التائب الذين كبروا وتابوا فاذا جرت حادثة علموا من فعل ذلك فدلوا عليه وقد يعمد بعضهم الى الاتفاق مع اللصوص سرا ويقاسمونهم مايسرقونه » المسعودي مروج الذهب ص٢٤٨ ، ج٤ .

(5) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٤٨ .

(6) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤٣٣ .

ومن الشطار من يعمد الى التخفي والتظاهر بمظهر الغنى ابعاداً للشبهات فقد ذكر ان اللصوص قد عملوا عملة عظيمة زمن المكتفي ، فاجتمع التجار وتظلعوا الى الخليفة الذي امر صاحب الشرطة في البحث عنهم ، فقصد زقاقا خاليا في بعض اطراف بغداد فرأى على بعض ابواب دور الزقاق شوك سمكة كبيرة يقدر ثمنها بدينار مع ان احوال اهل الزقاق لاتتحمل شراء مثل هذه السمكة ، فشك في الامر واستدرج عجوزا في الكلام طلب منها ماء فسألها : من يسكن هذه الدار ؟ واوما الى التي عليها عظام السمك ، فقالت والله ماندري الا ان فيها خمسة شبان اعفار كأنهم تجار ، وقد نزلوا منذ شهر لانراهم يخرجون نهارا الا كل مدة طويلة ، وانا نرى الواحد منهم يخرج في الحاجة ويعود سريعا ، وهم طول النهار يجتمعون فيأكلون ويشربون ويلعبون بالشطرنج والنرد ، ولهم صبي يخدمهم واذا كان الليل انصرفوا الى دار لهم في الكرخ ويدعون الصبي في الدار يحفظها فاذا كان سحر بليل جاءوا ونحن نيام لانعقل بهم وقت مجيئهم ، فتأكد للوالي ان هذه صفة اللصوص فكشف عنهم[1] .

وهذه القصة التي اوردها ابن الجوزي ، مع طرافتها تكشف لنا عن جوانب اجتماعية واقتصادية ، فهي الى جانب كشفها ، عن ان فقراء بغداد كانوا يتجمعون في محال معينة ويسكنون دورا بسيطة ولا يأكلون من الطعام الا ما كسد ورخص تكشف عن عادات واساليب اللصوص وطرق معيشتهم ، من ذلك انهم لايسكنون دارا او محلة الامدة قصيرة وليست لهم علاقات اجتماعية مع الناس. اذ قلما يخرجون في وضح النهار الا في قضاء حاجة ، واذ ابرحوا الدار عادوا اليها سريعا ، ويقضون نهارهم في اللعب والشرب ، ولا يمارسون عملهم الا في الليل بعيدا عن محل سكناهم ابعادا للتبهة .

---

(١) ابن الجوزي ، الاذكياء ، ص ٤٤ .

ومن اللصوص كان يعمد الى السرقة نهارا جهارا ، فاذا فطن له ، وجاء صاحب الدار باغته : انه صديق زوجته وانه من بعض غلمان القواد ويقول له : استرعلي وعلى نفسك . انكشف مرة احدهم عندما دخل دارا فيها عجوز لها اكثرمن تسعين سنة فادعى تلك الدعوى فقال له صاحب الدار : ياكشحان ليس في الدار الا امي ولها تسعون سنة[1] ومنهم من يحفر في الدار حفرة عند دخوله الدار ويطرح فيها جوزات فاذا قبض عليه ادعى انه يقامره وانه ليس بلص[2] ، ومن الشطار من يعمد الى السرقة من مؤسسات الدولة ، كما حدث ذلك عام (٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) « فقد نقب بيت المال الذي في دار العامة في جوف القصر واخذوا اثنين واربعين الفا من الدراهم »[3] .

ومع ان اعمال الشطار تعتبر في نظر المجتمع خروجا على اعرافه وتقاليده ، وسلوكا اجراميا فقد نسبت لهم بعض المثل الاخلاقية ، قيل انهم تعارفوا عليها ، ذكر الجاحظ وصية عثمان الخياط للشطار واللصوص[4] : « اياكم اياكم وحب النساء وسماع ضرب العود وشرب الزبيب المطبوخ وعليكم باتخاذ الغلمان ، فانهم انفع لكم من اقاربكم وعليكم بنبيذ التمر » . ونسب الى ابن حمدون قوله : « ان من فيه فتوة وظرف لايفتش امرأة ولايسلبها[5] » . وقال قاضيهم ابو الفاتك : « الفتى لايكون نشالا ولانشافا ولا مرسلا ولا لكاما ولا مصماصا ولا دلاكا ولا مقورا ولا

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) ابن الجوزي : اخبار الظراف والمتماجنين ، ط٢ ، ص٦٤ . / ايضا التنوخي : نشوار المحاضرة ج١ ، ص٧٩ .

(٣) الطبري : ج٩ ، ص١٤٠ .

(٤) الجاحظ : البخلاء ، ص٢٤٨ .

(٥) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص١١٩ .

مغربلا ولا محلقها ولا مسوغا ولا ملغها ولا مخضرا »[1] . وهو يعني بذلك لايكون الفتى نشالا ولاكسولا ولا مدلكاً في حمام ولا مراوغا ولابكاء ينقاد للعاطفة . . . الخ [2] ، ومن صفاتهم ايضا الوفاء بالعهد ومساعدة الفقراء واكرام الضيف والعفة واحترام المرأة والاخلاص للصديق وكف الاذى والصبر والجلد والشهامة واغاثة المنكوب [3] .

ج / المكدون :

الكدية في اللغة « حرفة السائل الملح وشدة الدهر[4] » . يقال اكدى اذا الح في المسألة وهو مكد اي سائل شحاذ وهم المكدون اي الشحاذون . وهم عند الجاحظ : طائفة متحدة في المنزع والهوى مولعون بالرحلة والمهاجرة ، وبعد ذلك سموا بالساسانيين او بني ساسان ، ويصفهم بانهم عرفوا « خدع الكاهن وتدسيس العراف ، والى ما يذهب الخطاط والعياف ، وما يقول اصحاب الاكتاف وعرفوا التنجيم والزجر والطرق والفكر[5] ، وهذه الافكار والغيبيات نجدها واضحة في العقلية الهندية مما يدل على ان اصلهم هندي[6] .

والكدية لاتعني الاستجداء ، كما تفيد بمعناها اللغوي الساذج ، بل ان هذا الاصطلاح وخاصة في القرن الثالث وما بعده قد اخذت معنى اصطلاحيا معقدا متعدد الوجوه كثير الدلالة ، فاصبحت تتضمن معنى الاحتيال للحصول على المال ! بمختلف الوسائل والاساليب غير المشروعة من استخدام القوة والاستلاب بالعنف

---

(١) الجاحظ : البخلاء ، ص٦٧ .

(٢) يمكن مراجعة البخلاء للجاحظ ، ص٧٦ ـ ٧٨ ، للوقوف على فهم هذه التعبيرات جميعا .

(٣) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص٣٧٨ .

(٤) الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٣٨٤ .

(٥) الجاحظ : البخلاء ، ص٤٧ .

(٦) نفس المصدر ، ص٤٣ .

والغلبة الى استغلال غفلة الجماهير وغرائز الرحمة والرقة .

ذات مرة تبرم احد الشباب من صنعة الكدية ، وشكا ذلك الى شيخ مكد ، فغضب الشيخ وقال : « للكدية رجال فمالك ولها ، او ما علمت ان الكدية صناعة شريفة وهي محببة لذيذة صاحبها في نعيم لاينفذ فهو على الدنيا ومساحة الارض وخليفة ذو القرنين الذي بلغ المشرق والمغرب حيثما حل لايخاف من البؤس يسير حيث يشاء يأخذ اطايب كل بلدة[1] » .

ان شيوع الكدية في مجتمع ما ، تدل على تردي الاحوال الاقتصادية يلجأ اليها الفقراء والمحتاجون للحصول على الطعام والمال ، وقد يتوارثها الابناء عن الآباء والاصدقاء عن الاقران . فقد اوصى مكد ابنه قائلا : « واعلم ان الارتكاض بابها ، والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها ، والقحة سلاحها ، فلج كل لج وانتجع كل روض ، والق دلوك في كل حوض ولاتسأم الطلب ولاتمل الدأب ، فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان : من طلب جلب ومن جال نال . . . . .[2] » والوصية طويلة حدد فيها قائلها شروطا واصولا لابد من اتيانها لكل مكد ، وهي تدل على مالهذه الصنعة من رواج وانتشار في القرن الثالث الهجري .

لقد رافق انتشار الكدية ادب يعرف (بأدب الكدية) عبر عن نفسه بالشعر الجيد والنثر البليغ على لسان بعض الادباء الذين زاولوا الكدية وعانوا مصاعبها وخبروا مداخلها واسرارها ، وهذا يفسر صدق وعذوبة وجمال هذا التعبير .

ومن اشهر شعراء الكدية ، الاحنف الكعبري ، وابن الحجاج ، وابو دلف الخزرجي والاخير كان كثير الملح والظرف مشحوذ المدية في الكدية ، وله قصيدة رائية في مئة وتسعين بيتا او تزيد سماها « مناكاة بني ساسان »[3] وللاحنف الكعبري شعر

---

(١) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٨٠ .

(٢) مقامات الحريري : المقامة الساسانية ، ص٥٧٤ - ٥٧٧ .

(٣) اخترت من هذه القصيدة الطويلة بعض الابيات كما ذكرها الثعالبي : في يتيمة الدهر ، ج٣ ، ص٣٥٥ .

يصف الكدية واسرارها والمكدين واحوالهم[1] .

لقد شاعت الكدية في القرن الثالث الهجري شيوعا اصبح معه المكدون طائفة متخصصة عن بقية فئات العامة ، وسبب ذلك لشيوع تردي الاحوال المعاشية وتفاقم الازمات المالية وارتفاع الاسعار وقلة المشاغل واسقاط الارزاق عن كثير ممن كان يستحقها .

ويستعمل المكدون اساليب مؤثرة وطرقا شاذة ووسائل دعائية تجلب انتباه الناس وتستدر عطفهم وشفقتهم ، حتى يبذلوا ما تجود به ايديهم ، ولهم في ذلك حيل مختلفة ذكر شطرا منها الجاحظ في البخلاء[2] ، والبيهقي في المحاسن والمساوى[3] ، والتنوخي في نشوار المحاضرة[4] ، والحريري في مقاماته[5] ، والهمداني في مقاماته

تعريتُ كغصنِ البان بين الورق والخضر
وشاهدتُ اعاجيباً والواناً من الدهر
على اني من القوم البهاليل بني الغر
بني ساسان والحامي الحمى من سالف الدهر

---

(١) ومنها :

على اني بحمد الله في بيت من المجد
بأخواني بني ساسان اهل الجدّ والجد

(٢) الجاحظ : البخلاء ، ص٥١ وما بعدها .

(٣) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٨٣ ـ ٥٨٥ .

(٤) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٣٥٨ ومواضع اخرى .

(٥) مقامات الحريري : ص٩٧ ، ٢٥٩ ، ٥٧٤ ، وغيرها .

(٦) مقامات الهمذاني : ص١٠ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٧٩ .

ايضا[6] ، والتوحيدي في بعض كتبه[7] ، ولامجال لذكر هذه الحيل والتسميات التي يمكن الرجوع اليها من مصادرها لمن اراد الاستزادة .

فنحن الناس كل الناس في البر وفي البحر
اخذنا الجزية الخلق من الصين الى مصر
لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفر
فنصطاف على الثلج ونشتو بلد التمر

وكما اولع المكدون بالسفر والانتقال من مكان الى آخر طلبا للمال فقد اولعوا بمزاولة الكدية في الاماكن التي يتجمع فيها الرأي العام ، تجدهم يتسكعون في الطرقات والشوارع قائمين قاعدين نائمين متكيفين لمقتضى الحال وما يثير عطف الناس ، وتجدهم يبحلقون في عيون الناس بالاسواق يحصون الشارى والبائع ويسيل لعابهم لهذه المادة الغذائية او تلك ، ومنهم من يلتصق بابواب الحمامات يسألون داخليها وخارجيها .

ويحرص المكدون على اظهار حيلهم في المناسبات الدينية والدنيوية المفرحة والمحزنة على حد سواء ولعل اكبر تجمع لهم يكون في مواسم الحج ، يندسون بين الحجاج ، يتعلقون بأثياب هذا ، ويستجدون ذلك ووسيلتهم في ذلك توزيع الثواب والدعاء على الناس بلا حساب . روى الاصمعي انه شاهد سائلا متعلقا في استار الكعبة وهو ينشد[80] :

لهم ارض خراسان فقاشان الى الهند
الى الروم الى الزنج الى البلغار والسند

(الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج٤ ، ص١١٧ .

---

(٧) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ، ص١٠٠ .
(٨٠) البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ص٥٨٥ .

يــارب اني ســائــلٌ كــما تــرى   مشتــمــلٌ شمــيلَتي كــما تــرى
وشيــختي جــالــســةٌ فــيــما تــرى   والــبــطن مــني جــائــعٌ كــما تــرى

فما ترى ياربّنا فيما ترى

والى جانب الكدية لجأ بعض العاطلين من الناس الى وسيلة التطفل وهي تعني لغويا « دخول الولائم من غير دعوى ، والعرب تسمي الطفيلي : الراشن والوراش[1] » . وينسبها الفيروز ابادي الى ابن زلال الكوفي الذي يدعى طفيل الاعراس او العرائس وكان يأتي الولائم بلا دعوة[2] .

والتطفل كالكدية يعني طلبا وسؤالا ، ولكن بصيغة اكثر قبولا واقل شيوعا وانتشارا . المكدى كثيرا مايستعمل الحيلة المحزنة ويظهر فاقته وتردي حاله بأدب وشعر او بطرق اخرى ، في حين ان المتطفل يستعمل طرقا ساخرة ومضحكة للحصول على الطعام والمال بصورة غير مباشرة .

وفي القرن الثالث الذي نحن بصدده ، زاد انتشار التطفل ، واصبح المتطفلون فئة مميزة عن اقرانهم العاطلين من الناس . اوصى طفيل العرائس ابنه عبد الحميد قائلا :[3] .

لاتجــزعــن مــن الــغــريــبِ   ولا مــنّ الــرجــلِ الــبــعــيــدِ
وادخــلْ كــأنــك طــابــخ   بــيــديــك مــغــرفــة الحــديــد

---

1. ابن منظور : لسان العرب ، ج١١ ، ص٤٠٤ . وفي مختار الصحاح للرازي : ص٣٩٤ الوارش فقط .

2. الفيروز ابادى : القاموس المحيط : ج٤ ، ص٧ .

« وطفيل العرائس رجل من اهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتي الولائم دون ان يدعى لها » ـ ابن منظور : لسان العرب ، ج١١ ، ص٤٠٤ .

3. ابن الجوزي : الاذكياء ، ١٣٣ .

متدليا فوق الطعام تدلي الباز الصيود
لتلف مافوق الطعام كلها لف الفهود
واطرحْ حياءك انما وجه الطفيلي من الحديد

والقصيدة طويلة تدور حول الطعام ووصف انواعه وما الى ذلك مما عرف به الطفيليون .

٤ ـ الخدم والرقيق :

ويُحصل على ذكورهم واناثهم ، اسودهم وابيضهم ، عن طريق البيع والشراء والاسر في الحروب ، او ضمن واردات الدولة وهدايا الخلفاء والاثرياء[١] ، ففي سنة (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) وردت الى المعتضد بالله هدية بمئة خادم وخمسين جارية[٢] . واهدى صاحب المغرب الى المكتفي سنة (٢٩١ / ٩٠٣) هدايا لها قدر جليل فيها مئة خادم ومئة جارية[٣] ، وضم بلاط المكتفي بالله عشرة الاف خادم ، وبلغ عددهم زمن المقتدر احد عشر الف خادم[٤] .

ومن الرقيق من يأتي الى مركز الخلافة العباسية ضمن واردات الدولة ، كالذي حدث سنة (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) ، عندما امتنع اهل الصعيد بمصر من دفع ماكان مفروضا عليهم وهو في كل سنة خمسمائة نفر من العبيد والجواري[٥] ، ولعل طرق الاسر في الحروب والشراء والبيع من اكثر الطرق شيوعا وجلبا للرقيق ، ففي وقعة

---

(١) بدري محمد فهد : العامة ، ص١٨ ، ٢٧ .

(٢) ابن الاثير : الذخائر والتحف ، ص٤٤ .

(٣) نفس المصدر ، ص٤٧ .

(٤) الصابي : رسوم دار الخلافة ، ص٨ . الفخري في الآداب السلطانية ص٢٠٩ .

(٥) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٢٩٥ .

عمورية سنة (٢٢٣ هـ / ٨٣٧م) « كان ينادي على الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة ، والمتاع الكثير جملة واحدة [1] » ، ولهذا فقد عجت بهم قصور الخلفاء والامراء والاثرياء . وامتلأت بهم قطائع واماكن بغداد حتى نسبت بعضها الى الرقيق كدار الرقيق من جهة باب الشام [2] ، وباب النخاسين في بداية شارع الكرخ الذي يتجمع فيه باعة الرقيق [3] .

وكان من نتائج ازدهار تجارة الرقيق المربحة ، انتشار الاسواق لبيعهم في بغداد والبصرة ونواح اخرى ، وقد عرفت مثل هذه الاسواق بـ « اسواق النخاسين » .

ومع سوء الاحوال الاجتماعية والاقتصادية التي كان عليها الرقيق عموما ، فان بعضا منهم قد لقي حظوة عند الخلفاء العباسيين مما اغضب الناس ، نظر ابو عيسى الوراق [4] ، الى خادم خرج من دار الخليفة بنجائب تقاد بين يديه بجماعة تركض حواليه ، فرفع رأسه الى السماء وقال : « اوحدك بلغات والسنة وادعو اليك بحجج وادلة وانصر دينك بكل شاهد وبينة ثم امشي هكذا عاريا جائعا ومثل هذا الاسود يتقلب في الخز والوشي والخدم والحشم والحاشية والغاشية [5] » .

ومن الرقيق من اصبحن امهات اولاد عند الخلفاء العباسيين ، ومنهن من تدخلن في السياسة كمراجل ام المأمون وهي امة فارسية ، وماردة ام المعتصم وهي امة تركية ، وقراطيس ام الواثق ، وشجاع ام المتوكل [6] ، وقبيحة زوجة المتوكل

---

(١) الطبرى : ج ٩ص٦٩ .
(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص١٦ .
(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص١٣ .

(٤) هو ابو عيسى محمد بن هارون الوراق البغدادي من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الزندقة » . ابن النديم : الفهرست ص٤٧٣ . وقد توفى بالرملة سنة ٢٤٧ . المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٥٥ .

(٥) التوحيدي : الهوامل والشوامل ، ص٢١٣ .
(٦) الذهبي : دول الاسلام ، ج١ ، ص٣٦ .

والسيدة ام المقتدر [1].

وتصرف بعض الخدم تصرفات لاتخلو من الغرور والعجرفة ، اساءت الى سمعة اسيادهم وملاكهم ، فقد ذكر التنوخي[2] : ان احد خدم الموفق خمر وترنح من شدة السكر ، فصادفة احد القضاة ، فاعتدى عليه واهانة اقبح اهانة ، فشاع خبره بين الناس وطالبوا الموفق وضع الحد على غلامه هذا .

وبلغ من شدة تذمر الرأي العام البغدادي من هؤلاء في اواخر القرن الثالث الهجري : « ان العامة اغريت بالصياح بمن رأوا من الخدم السود : ياعقيق صب ماء واطرح دقيق ، ياعاق ياطويل الساق[3] » ، فكانوا يغضبون من ذلك ، « فوجه المعتضد خادما اسود عشية الجمعة من سنة (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) برقعة الى ابن حمدون النديم ، فلما بلغ الخادم رأس الجسر من الجانب الشرقي صاح به صائح العامة : ياعقيق ! فشتم الخادم الصائح ، فاجتمعت جماعة من العامة على الخادم فنكسوه وضربوه وضاعت الرقعة التي كانت معه[4] » .

وجدير بالذكر ان هذه النقمة لاتنطبق على كل الرقيق والخدم ، وذلك ان كثيرا منهم ظلوا يعيشون في ذل وفاقة ، يباعون بأبخس الاثمان في اسواق النخاسين ، حتى بلغ ثمن الغلام منهم ثلاثين دينارا[5] ، مما جلب لهم عطف الرأي العام الاسلامي ، فقد ذكر عن المأمون ، قوله وهو يوصي احد اقاربه : « ارفق بهم فانهم بشر مثلك[6] » .

---

(1) رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق ، ص٢٥ ـ ٢٦ .

(2) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٢٦ .

(3) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٦٠ .

(4) الطبري : ج١٠ ، ص٥٣ .

(5) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص١٥٩ .

(6) ابن طيفور : بغداد ، ص٥٢ .

ومن طريف الاخبار ما رواه البيهقي[1] : من ان احد الخدم قد تعرض للضرب من قبل سيده بسبب ضياع دجاجة ، فانتصف له احد الجيران وكان يتعاطى الشعر ، فكتب ابياتا في رقعة وشدها في رجل دجاجة والقى بها على جاره وفيها :

يـاذا الـذي مـن اجـل دجـاجـة   اظـهـر لـلعـالـم اخـلاقـهْ

الـقى عـلى الـغلمـان مـن اجلهـا   بـالـضـرب والـتـعـذيـب ارواقـه

رفـقـا قـليـلا بـعُـقـوبـاتـهـم   فـانهم لم يـعـقـروا الـنـاقـة[2]

وهكذا ظل الرقيق مسلوبيّ الحرية الشخصية ، وظلت مشكلتهم واحدة من المشاكل المهمة التي عانى منها المجتمع الاسلامي عامة ، ومجتمع القرن الثالث الهجري خاصة مع ان الاسلام حض على فك رقابهم[3].

---

(١) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٧٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص٥٧٤ .

(٣) بقوله تعالى « انما الصدقات للفقراء .... وفي الرقاب ...... »
ـ سورة التوبة الآية ٦٠ ـ

الفصل الثالث

عوامل تذمر الرأي العام في القرن الثالث الهجري

اولا - العوامل الاقتصادية:

١ - الغلاء وارتفاع الأسعار.

٢ - الفاقة وندرة الاقوات.

٣ - تأخر الارزاق وشغب الجند.

ثانيا - العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية:

١ - التذمر من النفوذ الاجنبي.

٢ - انحلال النظام الاداري.

أ - طرق التولية والعزل.

ب - اساليب جباية الضرائب.

٣ - الفتن والأزمات:

أ - الحركات السياسية والاجتماعية.

ب - المنازعات الفكرية والدينية.

اولا : العوامل الاقتصادية :

١ ـ الغلاء وارتفاع الاسعار :

يواجه الباحث في احوال المجتمع العباسي الاقتصادية في القرن الثالث الهجري صعوبة في الحصول على مادة كافية ، ونصوص وافية يعتمد عليها ، وحتى في حالة توفرها فأنها تكون متناثرة في بطون مصادر التاريخ الاسلامي ، مع ان المشاكل الاقتصادية كانت شغل الاكثرية من الناس الشاغل ، في حين ان هذه المصادر قد اسهبت في ذكر ترف الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة والحاشية .

الملاحظ ان المصادر الاسلامية تجمع على ان المجتمع العباسي شهد في الازمات والفتن غلاءاً فاحشا وبخاصة في المواد الغذائية . فالاسعار بصورة عامة لم تكن ثابتة بل كانت تتأثر بالاوضاع السياسية ، كحدوث الفتن والمنازعات الدينية والعنصرية والاطماع الشخصية التي شهد القرن الثالث الهجري منها العديد حتى اصبحت سمة واضحة له . كما تأثرت هذه الاسعار ، بوفرة الانتاج ونظام الري ومقدار الخراج وبالآفات الزراعية التي تحل بالبلاد والفيضانات والأوبئة والكوارث الطبيعية الاخرى ، واحتكارات التجار لبعض المواد الغذائية التي كثيرا ما كانت تؤدي الى ارتفاع الاسعار بصورة مباشرة . ويرافق ظاهرة الغلاء وارتفاع اسعار المواد والحاجات عادة سخط وشكوى تعبر عنها الطبقات المسحوقة واصحاب الدخل المحدود بطرق واساليب مختلفة تُظهر المعارضة كالشغب والتذمر ، وقد تلجأ الى الثورة التي تمثل ذروة السخط والنقمة التي ينطوي عليها الرأي العام .

سأقصر بحثي هذا على ذكر اسعار المواد الغذائية والحاجات الضرورية الاخرى ، لما لها من اهمية باعتبارها القوت الرئيس للناس كافة ففي سنة (٢٠٧هـ / ٨٢٢م) « غلا السعر ببغداد والبصرة والكوفة حتى بلغ سعر القفيز من

الحنطة اربعين درهما الى الخمسين بالقفيز الملجم[1] » ، اي حوالي دينارين للقفيز الواحد من الحنطة[2] الا ان هذا السعر كثيرا ما كان عرضة للتغير تبعا للظروف البيئية والاحوال السياسية ، فقد « انقطعت الميرة وقلت الاموال وغلت الاسعار ببغداد وسر من رأى ، حتى كان القفيز بمائة درهم[3] » اي ان القفيز الواحد من الحنطة بيع بـ (٤ ـ ٥) دنانير ، وكان ذلك في سنة (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م) ابان الفتنة بين المستعين والمعتز ، فشكا الناس هذا الغلاء الفاحش ، وطالب الرأي العام بانهاء هذه الاوضاع الشاذة مما كان له اثر كبير في قبول المستعين الصلح مع اخيه المعتز . وفي سنة (٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) « اشتد الغلاء في عامة بلاد الاسلام ، فانجلى من اهل مكة كثير ورحل عنها عاملها الذي كان بها ، وبلغ كر[4] الحنطة ببغداد عشرين ومائة دينار ودام ذلك شهورا[5] » وفي المنتظم[6] : « بلغ كرّ الحنطة ببغداد خمسين ومائة دينار » و

---

(١) الطبري : ج٢ ، ص٥٩٦ .

ابن طيفور : بغداد ، ص٧٣ .

« القفيز الملجم يساوي عشرة مكاكيك » ـ الطبري ، ج٨ ، ص٢٠٤ .

« المكوك يساوي ثلاثة كيالج والكيلجة وزن ستمائة درهم » ـ الخوارزمي :

مفاتيح العلوم ، ص١٢ . وعليه وبحساب بسيط فان المكوك = ١٨٠٠ درهم ، والقفيز = ١٨٠٠٠ درهم . ويساوي المكوك في واسط والبصرة (٢٤٠٠) درهم ، والقفيز = ٢٤٠٠٠ درهم .

(٢) الدينار يساوي من ٢٠ ـ ٢٥ درهما » خلال القرن الثالث الهجري .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي : ج٢ ، ٤٩٩ .

(٤) الكر العراقي في بغداد والكوفة يساوي ستين قفيزا .

ـ مفاتيح العلوم للخوارزمي ص١٢ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٢٧٢ . في الطبري ج٩ ، ص٣٤٦ . وفي البداية والنهاية : ج١١ ، ص٩ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص٢١ . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٦٤ .

« كُرّ الشعير عشرين ومائة دينار[1] » حتى ان الناس من الفقراء والمعدمين « اكلوا الخرنوب من شدة الجوع[2] » .

ولما حاصر اسماعيل بن يوسف الذي يدعى النسب الى الامام علي (رض) مكة سنة (٢٥١هـ / ٨٦٥م) « هلك اهلها جوعا وعطشا ، فبيع الخبز ثلاث او اق[3] بدرهم ، واللحم الرطل باربعة وشربة الماء بثلاثة دراهم[4] » . ولو قيس ذلك بفترة اخرى مر بها المجتمع العباسي زمن المتوكل على الله (٢٣٢ / ٨٤٦ - ٢٤٧ / ٨٦١) لظهر مدى الغلاء الفاحش الذي شهده مجتمع المدينة في ازمة الحصار ، فقد روى التنوخي[5] : انه لما تقلد ابو جعفر محمد بن منصور القاضي كور الاحواز من قبل المتوكل اول دفعة وردها . احب ان يطوف عمله فقدم ايذج وهي بلدة من كور الاحواز ، ونزل عند رئيس البلد فيها ، فاخلى له داراً في دوره فلما كان بعد اسبوع استدعاني فقال لي : كيف سعر الخبز عندكم ، فقلت : خمسون رطلا بدرهم .

يتضح من ذلك ان (٦٠٠) اوقية من الخبز بيعت بدرهم ، في حين ان ثلاث او اق من الخبز بيعت بدرهم واحد بمكة زمن الفتنة والغلاء الفاحش الذي ارتفعت فيه الاسعار مئتي مرة عما هو في اماكن اخرى وفي ظروف

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص٥١٠ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص٢٦ .

(٣) « الرطل يساوي ١٢ اوقية ، والاوقية تساوي ١٢ درهما » . ابن الاخوة القرشي : معالم القربة في احكام الحسبة ، ص٨٠ ، ولما كان الرطل البغدادي = ١٣٠ درهما ، فالاوقية = ١١ درهما .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص٢٦ .

(٥) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٩ .

اعتيادية . وهذا يؤكد على ان اسعار المواد الغذائية لم تكن ثابتة بل تتباين من مكان وبحسب الظروف السياسية والاحوال الاقتصادية والطبيعية ، فقد تبرم العامة مرة وصاحوا وضجوا لغلاء القوت وعوز الطعام حتى لجأ بعضهم الى أكل النخالة فمناهم احد الوزراء قائلا : « والله لانظرن للعامة وللفقراء بمال اطلقه من الخزانة وارسم ببيع الخبز ثمانية بدرهم ويصل ذلك الى الفقراء في كل محلة[1] » . وقيل لمديني : « كيف رأيت البصرة ؟ قال : خيرٌ بلاد والله ، للجائع والمُفلس والعزب ، اما الجائع فيأكلُ من خُبز الارز والصحناء[2] . حتى يشبع بفلس . واما العزب فيتزوج بمن شاء بدانقين[3] » . « وبيع فيها طبق رطب بدانقين[4] « . في حين ان ما يسد شهية رجل من الرطب في الكوفة بلغ ثمنه درهما[5] .

اما اللحوم فشأنها شأن غيرها من المواد الغذائية الاخرى تتأثر بالاحوال العامة ، فقد بيع رطل اللحم باربعة دراهم في الغلاء بمكة[6] ، في حين بيع الجدى الجيد بدرهمين في الظروف الاعتيادية[7] . وذكر ابن الجوزي[8] : انه قد بيع في البصرة كبش بخمسة عشر درهما وهو يساوي ثلاثين درهما ، جاء ذلك

---

(١) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج٢ ، ص٢٦ .

(٢) « الصحناء : ادام يتخذ من السمك الصغار » . التوحيدي : الذخائر والبصائر ، ج٤ ، ص٩٣ .

(٣) التوحيدي : الذخائر والبصائر ، ج٤ ، ص٩٣ .

(٤) الجاحظ : البخلاء ص١٣٣ .

(٥) شهاب الدين الخفاجي : شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، ص١١٨ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٠ .

(٧) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٩ .

(٨) ابن الجوزي : اخبار الظراف والمتماجنين ، ص٩٥ .

خلال محاورة شعرية بين ابي نواس واحد الاعراب[1] . وروى التنوخي[2] : ان ثمن مقدار من اللحم يكفي رجلين جائعين في سر من رأى يساوي درهما . وبيعت في جند يسابور عشر افراخ بدرهم[3] . وفي بعض كور الاحواز « ثلاث دجاجات بدرهم[4] » . وبيع الباذنجان ببغداد وغيرها من المدن (٦٠) واحدة بقيراط[5] . وذكر : ان سرى السقطي ـ احد كبار مشايخ الصوفية ، وكانت له دكان يتجر فيها ـ باع كرا من اللوز بتسعين دينار[6] . في حين ان الكر من الحنطة بيع بحوالي مئة دينار[7] .

---

(١) ونص المحاورة كما اوردها ، ابن الجوزي : اخبار الظراف والمتماجنين ، ص٩٤ ، « ذات يوم في ايام العشر خرج ابو نواس يريد شراء اضحية فلما صار الى المربد اذا هو بأعرابي قد دخل شاة له يقدمها كبش ،

فقال ابو نواس :

ايا صاحب الشاة التي قد يسوقها

بكم ذاكم الكبش الذي قد تقدما ؟

فقال الاعرابي :

أبيعكه ان كنت ممن يريده

ولم تك مزاحا بعشرين درهما

فقال ابو نواس :

اجدت رعاك الله رد جوابنا

فاحسن الينا ان اردت التكرما

فقال الاعرابي :

احط من العشرين خمسا فانني

اراك ظريفا فأقبضنه مسلما » .

(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص٥٥ .

(٣) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٢٢ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٠ .

(٥) ابن الجوزي : اخبار الحمقى والمغفلين ، ص١٥٥ .

« القيراط يساوي نصف دانق » . الشيزرى : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص١٧ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٣ .

(٧) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٢٧٢ .

فاذا انتقلنا من اسعار المواد الغذائية الى الاسعار الاخرى وجدنا ان هذه الاسعار كسابقتها تأثرت بالاوضاع العامة للمجتمع ، ومن ذلك الملابس التي تباينت اسعارها تبعا لنوعيتها وجودتها ، فالملابس الاعتيادية ، كانت اسعارها رخيصة كالثياب القطنية ، فقد « مات لابن مقرن غلام ، فحفر لهم اعرابي قبراً بدرهمين ، فلما اعطوه الدرهمين ، قال : دعوهما حتى يجتمع لي عندكم ثمن ثوب[1] » وذلك لان المتعارف عليه في ثمن حفر القبور « هو ثلاثة دراهم وعند الحاجة بدرهم واحد[2] » . في حين ان احد الغلمان قد اشترى ثوبا بعشرة دنانير . فقد روى ابن الجوزي[3] : « ان ابا العيناء[4] . دفع لغلام له عشرين دينارا ، على ان ينفقها على صناع يبنون له دارا وبعد مدة رفع الغلام حسابا بعشرة دنانير وزعها على البناء ، اما الباقي فقد اشترى به ثوبا » . والذي يمكن استنتاجه من هاتين الروايتين اللتين ذكرهما الجاحظ وابن الجوزي ، ان هناك نوعين من الثياب ، منها ما تكون مصنوعة من مواد غالية ونادرة كالحرير والخز ، بلغ ثمن الواحد منها عشرة دنانير او يزيد ومنها ماتكون عادية قطنية او صوفية اشترى الواحد منها بنصف دينار او يزيد قليلا . وباع احد رجال الفضل بن سهل عمامة له «بثمانية عشر درهما ، اشترى بها طعاما له وعلفا لدوابه[5]» .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين، ج٣ ، ص٥٦٠ .

(٢) الاصفهاني : الاغاني ، ج٣ ، ص١٣٤ .

(٣) ابن الجوزي : اخبار الظراف والمتماجنين ، ص٧٠ .

(٤) « هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي الملقب بأبي العيناء ، اديب فصيح من الظرفاء اشتهر بنوادره وادبه ، ولد بالاهواز عام ١٩١ هـ وتوفي بالبصرة عام ٢٨٣ واصله من اليمامة » . ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ، ٥٠٤ .

(٥) الجهشياري : نصوص ضائعة من الوزراء ، ص٣١ . التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص٦ .

اما بالنسبة للمواد الاخرى فان اسعارها قد تباينت من مكان لآخر ، قدم بغدادي البصرة يطلب معاشا قال : « وجئت الى بقال هناك على باب الخان الذي نزلته فأعطيته دانقا واخذت منه ورقة ودواة ، وجلست اكتب رقعة الى رجل بغدادي اعرفه يسكن البصرة ، فاستحسن البقال خطي ورأي رثاثة ذلي ، فشغلني عنده على نصف درهم في كل يوم مع طعامي وكسوتي ، مقابل ضبط حسابه ، فلما كان بعد شهر جعل رزقي في كل يوم درهما لما ظهر له امانتي وحرصي[1] » .

ودفع لبناء بنى حائطا استغرق بناؤه نصف نهار عشرين درهما[2] . مما يدل على ان اجرة بناء لمدة يوم واحد في الاحوال الاعتيادية لاتقل عن عشرين درهما ، اما اجرة عمال البناء الآخرين فيختلف حسب مهاراتهم وتسلسلهم في سلم العمل .

ذات مرة دفع لحمال غلام ، درهمين اجرة حمولة نقلها الى منازل قوم[3] . وشكا حمال حاله الى المأمون قائلا : « ان لي حمارا اكتسب عليه كل يوم اربعة دراهم ، انفق على الحمار درهما وعلي درهما وادفع الباقي لشريك لي[4] » .

انتشر بيع الغلمان والجواري في اسواق النخاسين التي راجت في المدن الاسلامية الكبيرة ، كما تباع السلع ، ففي البصرة التي عرفت باسواقها الرخيصة الاسعار[5] ، « بيع غلام يساوي ثلثمائة دينار بثلاثين دينارا[6] » . في

---

(١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص١٧١ .
(٢) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج١ ، ص٢٨ .
(٣) الهمذاني : المقامات ، المقامة الصيمرية ، ، ص٢١٣ .
(٤) ابن الجوزي : اخبار الحمقى والمغفلين ، ص١٣٨ .
(٥) التوحيدي : الذخائر والبصائر ، ج٤ ، ص٩٣ .
(٦) ابن الجوزي : اخبار الظراف والمتماجنين ، ص٧٠ .

حين بيع غلام اخر في بغداد بمئة دينار[1] . واستأجر صنائعي يعمل الكيزان في البصرة دارا بخمسة دراهم في الشهر وهي تساوي خمسمائة درهم[2] .

٢ ـ الفاقة وندرة الاقوات :

يلاحظ الباحث في القرن الثالث الهجري بوضوح ظاهرة تردي الاوضاع الاقتصادية ، خلال فترات قصيرة ابرزها فترة العشر سنوات (٢٧٩ / ٨٩٢ ـ ٢٨٩ / ٩٠٢) وهي خلافة المعتضد بالله ، التي وصفت بالرخاء والاستقرار السياسي فقد « سكنت الفتن وصلحت البلدان وارتفعت الحروب وهدأ الهرج وسالمه كل مخالف[3] » ، ورخصت الاسعار حتى كان يكفي عيشة عائلة عشرة دنانير في الشهر الواحد[4] . وماعدا هذه الفترات القصيرة ، فقد تميز القرن الثالث الهجري بالفاقة والعوز ، وتذمر الرأي العام الذي اظهر السخط والشغب وصف احدهم نفسه قائلا : « فقير كده الجوع وغريب لايمكنه الرجوع والجوع قد بلغ مني مبلغا واتمنى رغيفا على خوان[5] » . وشكا رجل الى المأمون حاله قائلا : « ان مصائب الدهر واعاجيب الايام ومحن الزمان قصدتني فاخذت منى ماكانت الدنيا اعطتني فلم يسبق لي ضيعة الا خربت ولا نهر الا اندثر ولامنزل الا تهدم ولا مال الا ذهب وقد اصبحت لا املك سبدا ولا لبدا وعلي دين كثير ولي عيال وأطفال وصبية صغار وانا شيخ

---

(١) الجهشياري : نصوص ضائعة من الوزراء ، ص٤٦ .

(٢) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٦٨ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٣٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص٢٥٠ .

(٥) مقامات الهمذاني ـ المقامة المجاعية ـ ص١٢٧ .

كبير قد قعدت بي المطالب وكبرت عني المكاسب وبي حاجة الى نظر امير المؤمنين وعطفه[1] » .

وبلغ الفقر ذروته والقحط مداه ايام الفتن ، ففي عام (١٩٧ هـ / ٨١٢م) ، لما حاصر طاهر بن الحسين بغداد وضع التجار عنهم ومنع من حمل الاقوات وغلت الاسعار ، حتى اضطر الامين الى بيع الاموال سداً للرمق[2] ورافق خروج بابك الخرمي سنة (٢٠٤هـ / ٨١٩م) « قحط عظيم وبلاء شديد ببلاد الشرق عامة وخراسان خاصة[3] » . وفي سنة (٢٥١ / ٨٦٥) « تماوت اهل مكة جوعا وعطشا ، وغلت اسعار المواد الغذائية حتى مات بعضهم من شدة ما ألم بهم[4] » . ولما ضعف امر صاحب الزنج « انقطعت عنه الميرة فبلغ الرطل من خبز البر عشرة دراهم فأكلوا الشعير واصناف الحبوب حتى بلغ ان احدهم يأكل صاحبه اذا انفرد به والقوى يأكل الضعيف ثم اكلوا لحوم اولادهم ونبشوا الموتى[5] » والرواية لاتخلو من المبالغة والتهويل مما يجعلها روايات مشكوكا فيها .

ازاء هذا الوضع المعاشي السيء ضج الناس بالشكوى وبالغوا في وصف حالهم وحاكى الشعراء ذلك بشعر يعبر عن تلك الاحوال ، فقد قال احدهم وهو يصف فقره[6] :

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٦ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٢٧٦ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٣١ .

(٤) الطبري : ج٩ ، ص٣٤٧ . الكامل : ج٧ ، ص١٦٦ . البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٠ .

(٥) الطبري : ج٩ ، ص٦٣١ . الكامل : ج٧ ، ص٣٨٣ .

(٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٣ ، ص٣٦ .

فلقد أُهزلتُ حتى محتْ الشمسُ خيالي
من رأى شيئا محالا فأنا عين المحال
ولقد افلستُ حتى حلَ اكلي لعيالي

ووصف آخر عياله قائلا[1] :

وقد دنا الفطرُ وصبيانُنا ليسوا بذى تمرٍ ولا ارز
وذاك ان الدهر عاداهم عداوةَ الشاهينِ للوزِ
كانت لهم عَنز فأودى بها واجدبوا من لبن العنزِ
فلو رأوا خبزا على شاهقٍ لأسرعوا للخبزِ بالجمْز

ومن الناس من عمد الى القراءة على القبور يوميا ليحصل على رغيف خبز[2] ومن طريف القول ماقيل لعبد الله بن يعقوب ، « ماتشتهي ان تكون ؟ قال : اشتهى ان اكون دابة تأكل الليل والنهار[3] » . وقيل لاعرابي « لو كنت خليفة كيف كنت تصنع ؟ قال : كنت استكفي شريف كل قوم ناحيته ، ثم اخلو بالمطبخ فأمر الطهاة فيطعمون الثريدة ويكثرون العراق فابدأ فأكل لقما ثم اذن للناس فاي ضياع يكون بعد هذا ؟[4] » ، وقيل لاعرابي : « ما اسم المرق الذي عندكم ؟ قال : السخين ، قال : فاذا برد ؟ قال : لاندعه يبرد[5] » . وقال اخر : « شيئان لايشبع منهما ببغداد : السمك والرطب[6] » .

---

(١) جروينبام : شعراء عباسيون ، ص١٤٦ .

(٢) ابن الجوزي : اخبار الظراف والمتماجنين ، ص١٣١ .

(٣) التوحيدي : البصائر والذخائر ، ج٣ ، ص٥٥٦ .

(٤) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ، ص٣٥ .

(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج٣ ، ص٥٦٢ .

(٦) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ، ص٨٤ .

اقتصر طعام الفقراء على ما هو بسيط ورخيض ويأتي في مقدمتها الخبز حتى قيل فيه : « انه قوام اهل الارض واصل الاقوات وامير الاغذية[1] » ، امثلة العامة : « كسيرة خبز بملح الى ان يُدرك الشواء ، وفي ذلك قال ابو نواس[2] .

فكان خبزا بملح قبل الطعام أكلنا

وذكر الجاحظ[3] : ان عشاء الاكرة لايتعدى ارزا اسود غير منخول بالشلابي ومن شدة الفاقة وندرة الخبز ، ان خادما اسود اشتغل عند ابي العتاهية مقابل رغيفين من الخبز كل يوم ، فلما شكا الخادم زاده ابو العتاهية آخر[4] .

ويعتبر الدقيق والسويق والتمرمن ارخص انواع الطعام واشدها املاء للمعدة في وقت معا ، ولذلك اولع بها العوام والفقراء وخاصة في منطقة البصرة حيث يعتبر التمر انتاجا محليا زائدا عن حاجة الاستهلاك الداخلي والخارجي ، وقد كان طعاما رئيسا يوزع يوميا على الزنج بلا ثمن مقابل اتعابهم وعملهم المرهق[5] والسويق يصنع من طحين الحنطة ، او الشعير المحمص المخلوط بالتمر[6] ، وكان وجبة غير جيدة ومازالت معروفة وشائعة بين السود في البصرة حتى يومنا هذا وقد ورثوها عن اسلافهم[7] . وصفه ابن البيطار بقوله :

(١) الجاحظ : البخلاء ، ص١٢٦ .

(٢) الثعالبي : ثمار القلوب ، ص٦٠٨ .

(٣) الجاحظ : البخلاء ، ص١٢٩ .

(٤) الاصفهاني : الاغاني ،ج٣ ، ص١٣٣ .

(٥) السامر : ثورة الزنج ، ص٣١ - ٣٢ .

(٦) Dozy , supplement aux dictionnaires Arabes Ib , . p . 706

(٧) السامر : ثورة الزنج ، ص٣٢ . وهناك شرح واف للسويق في هامش ثورة الزنج ، ص٤٧ .

« السويقان . . . سويق الحنطة وسويق الشعير وهما جميعا ينفخان ويبطئان النزول من المعدة[1] » ووصفه الجاحظ بانه : « عدة المسافر وطعام العجلان وغذاء المبكر وبلغة المريض ويسر فؤاد الحزين ويرد من نفس المحدود وجيد في التسخين ومنعوت في الطب وقفاره يجلو البلغم وملتوثه يصفي ا لدم وان شئت كان شرابا وان شئت كان طعاما وان شئت فثريدا وان شئت فخبيصا[2] » واذاك يسمى عصيدة وفيها قال جعيفر الموسوي[3] .

ومـاء عـصـيـدة حـمـراء تحـكـي   اذا ابـصـرتهـا مـاءَ الحـلـوق
تـزلُ عـن الـلـهـاةِ تمـر سـهـلا   وتجـري في العـظام وفي العـروق

اما الهريسة فأكلة شائعة وطيبة تباع في الاسواق عند الصباح الباكر[4] وتشتريها العامة مبكرا[5] ، ويسهل عملها في البيوت ، وهي طعام السوقيين والشغلة على حد قول عبد الله اليزيدي[6] . تغنى بها شاعر بغدادي قائلا[7] :

ان الـهـريـسـة اهـواهـا وتعجبني   وبـالـهـبـطّة قلبي جـدّ مفـتـون
وان ذكـرت سواهـا هاج لي طـربـاً   وإن اتى بـعـده لـونـان يكـفـيـني

ومن طريف المصادفات ، ان ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ / ٨٨٩م) مات بعد أكلة هريسة[8] .

اما اللحم فقد ندر استعماله لدى الفقراء بالقياس الى المواد الغذائية

---

(١) ابن البيطار : الجامع لمفردات الادوية ، ج٣ ، ص٤٥ .
(٢) القالي : الامالي ،ج٢ ، ص١٩٧ .
(٣) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ، ص٨٣ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٧ ، ص٤٨٧ .
(٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١١ ، ص١٧٨ .
(٦) التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ، ج٣ ، ص٧٥ .
(٧) ابن المطهر الازدي : حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص٧٥ .
(٨) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص١٧٠ .

الاخرى . قيل لابي العتاهية : انك شحيح على نفسك لاتشتري اللحم الا من عيد الى عيد ، فقال : لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما وتوابله ومايتبعه بخمسة دراهم[1] . وبلغ من شدة اعتزاز العرب باللحم : ان جعلوه غذاءً لضيوفهم الذين يحرصون على اكرامهم ، فمن اقوالهم السائرة : « اطعم الضيف لحما وخبز حنطة وماء باردا[2] » . وقال بشر الحافي (ت ۲۲۷ هـ / ٨٤١ م) : اني لاشتهي شواءً منذ اربعين سنة ، وكانت عائلة بشر المكونة منه ومن امه واخته اذا استطاعت ان تحصل على اللحم فانها تقسمه على يومين وتعمل منه طبيخا[3] . وكان البوابون في قصور الخلفاء والوزراء ، يأكلون الباقلاء يستعيضون بها عن اللحم لندرته وارتفاع سعره[4] .

٣ ـ تأخر الارزاق وشغب الجند :

تمخض التطور الحضاري الاسلامي عن ظهور طبقة من الموظفين والجند ترتبط بالسلطة الحاكمة ارتباطا معاشيا برواتب واعطيات يومية او شهرية محدودة ، تتأثر زيادة او نقصانا تبعا لمشيئة الخليفة وبطانته ، ويظهر ذلك بصورة جلية وواضحة عند الجند المرتزقة التي كان الجيش العباسي جله منهم .

وبتوقف الفتوحات الاسلامية وانعدامها زمن بعض الخلفاء ـ هذه الفتوحات التي كانت تدر على المحاربين غنائم ومغانم مادية ، اضافة الى انها عامل لهو وسد فراغ بالنسبة لهم ـ شهد القرن الثالث الهجري القرن التاسع الميلادي العديد من حوادث الشغب وعلائم السخط والتذمر التي كثيرا مايقوم

---

١ ـ الاصبهاني : الاغاني ج٣ ص١٣٣ .

٢ ـ التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ج٢ ص٦٩ .

٣ ـ بدري محمد فهد : العامة ص٩٩ .

٤ ـ التنوخي : نشوار المحاضرة ج١ ص٢٣ .

بها الجند ، وفي بعض الاحيان العامة من الناس مطالبين بزيادة ارزاقهم واعطياتهم او عدم تأخيرها عن موعدها المقرر ، فقد تتأخر هذه الارزاق اذا كانت خزينة الدولة خاوية او لامور اخرى يرتأيها الخليفة او الوزير ، ففي سنة (١٩٨ هـ / ٨١٣ م) بعد مقتل محمد الامين بخمسة ايام ، طلب اصحاب طاهر بن الحسين من الجند ارزاقهم ، ولم يكن في يده مال . فضاق به امره فأحرقوا بعض الابواب وشهروا السلاح[١] ، فأستدان طاهر مبلغا قدره « عشرين الف دينار من سعيد بن مالك ، صرفه كأرزاق اربعة اشهر للجند فقال بعض الابناء[٢] :

آل الاميرُ - وقوله وفعاله   حقٌ - بجمع معاشر الزُعارِ
ان هاج هائجهم وشغب شاغب   من كل ناحية من الاقطار
حتى يُنيخ عليهم بعظيمه   تدع الديار بلاقعَ الآثار

وفي سنة (٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) شغب الجند من الحربية والبغداديين بالحسن بن سهل لانه وعدهم ان يعطيهم الارزاق فلم يف بوعده ، وبعث الى علي بن هشام والي بغداد من قبله : « ان ماطل الجند من الحربية ارزاقهم ومنهم لاتعطهم[٣] » وارتفعت اصواتهم مطالبين برحيل الحسن عن العراق ، « وصيروا اسحاق بن موسى بن المهدي ، خليفة للمأمون ببغداد ، فأجتمع اهل الجانبين على ذلك[٤] » . وبعد حرب ثلاثة ايام ، اجابهم على « خمسين درهم لكل رجل ينفقونها في شهر رمضان[٥] » فاعطى قسما وماطل آخرين ،

---

(١) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤١٦ .
(٢) الطبري : ج٨ ، ص٤٩٧ . الخراج في الدولة الاسلامية لمحمد ضياء الدين الريس ، ص٤٥١ .
(٣) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤٢٩ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٣١٦ .
(٥) الطبري: ج٨ ، ص٥٤٤ .

فلجأوا الى العنف ثانية وشدوا على علي فطردوه من بغداد[1] .

وكثيرا ما كان الخليفة يعمد الى صرف العطايا والارزاق بعد كل حدث مهم ، ارضاء او مكافأة لهم ، من ذلك ان ابراهيم بن المهدي لما بايعه اهل بغداد للخلافة سنة (٢٠١ هـ / ٨١٦ م) ، وعد الجند ان يعطيهم ارزاق ستة اشهر[2] الا انه دافعهم وماطلهم ، فأظهروا الشغب فأعطاهم « مائتي درهم لكل رجل وكتب لبعضهم الى السواد بقيمة مالهم حنطة وشعيرا[3] فخرجوا في قبض ذلك ولم يمروا بشيء الا انتهبوه ، واستولوا حتى على نصيب الاهالي[4] . في حين ان بعض اهل بغداد راسلوا حميد بن عبد الحميد على مبايعة المأمون وخلع ابراهيم « على ان يعطي كل رجل من جند بغداد خمسين درهما[5] » فلما قدم حميد بغداد اخذ البيعة للمأمون « ووعدهم على رزق شهرين لتمام ستة اذا فرغ من اعطائهم هذه الاربعة الاشهر فرضوا بذلك[6] » الا ان حميدا اساء معاملة الناس وخفض الارزاق فتذمر الرأي العام البغدادي حتى صار « حميد وكاتبه عبد الكريم ملعنة في محال بغداد في مجالسها وطرقها[7] فامر المأمون للناس بتمام ارزاقهم ، مع انه كان بأمس الحاجة الى المال « وليس في بيت المال درهم[8] » .

---

(١) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤٣٠ .

(٢) الطبرى : ج٨ ، ص٥٥٥ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٣٤١ .

(٤) ضياء الدين الريس : الخراج في الدولة الاسلامية ، ص٤٥٤ .

(٥) الطبرى : ج٨ ، ص٥٧٠ .

(٦) ابن طيفور : بغداد ، ص٢ .

(٧) الجاحظ : ثلاث رسائل ، ط٢ السلفية بمصر ، ص٤٩ .

(٨) الجهشيارى : نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب ، ص٢٥ .

اتخذ الجند من الشغب وسيلة لزيادة ارزاقهم ، او للحصول على عطايا اضافية بعد كل بيعة او حدث هام ، وكان شغل الولاة والقادة الشاغل رصد هذه التحركات قبل وقوعها ومعالجة اسباب التذمر قبل استفحال الامر ، كتب احدهم الى المأمون وقد توجس في جنده خيفة : « كتابي يا امير المؤمنين ومن قبلي من الاجناد والقواد في الطاعة والانقياد على احسن مايكون عليه طاعة جند تأخرت ارزاقهم واختلت احوالهم[1] » فأجابه الخليفة الى صرف ارزاقهم واستحسن هذا الصنيع منه .

لما مات طاهر بن الحسين (٢٠٧هـ / ٨٢٢ م) في خراسان وثب الجند بها فانتهبوا بعض خزائنه وسلاحه ومتاعه فقام بأمرهم سلام الابرش الخصي ، واعطاهم رزق ستة اشهر[2] ، ولما بويع المتوكل للخلافة وضع العطاء للجند لثمانية اشهر فأمر للاتراك برزق اربعة اشهر وللجند الشاكرية والهاشميين برزق ثمانية اشهر وللمغاربة برزق ثلاثة اشهر[3] . وتذمر الجند الاتراك (٢٤١ هـ / ٨٥٥م) . لما دخل المتوكل دمشق ، فقد ذكر المسعودي[4] : ان المتوكل استشار اصحابه في ذلك فأشاروا عليه بصرف الارزاق عليهم وعلى عيالهم .

ولعل من اعنف المشاغبات التي استأثرت باهتمام الرأي العام في بغداد وسامراء ، شغب العامة (٢٤٩ هـ / ٨٦٣م) في عهد المستعين ، فقد اجتمعت العامة ببغداد بالصراخ والنداء بالنفير وانضمت اليها الابناء

---

(١) الثعالبي : خاص الخاص ، ص٨ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص٧٣ .

(٣) الطبري : ج٩ ، ص١٥٥ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١١٥ .

والشاكرية تظهر انها تطلب الارزاق[1] ، ففتحوا سجن نصر بن مالك واخرجوا من فيه من الخراسانيين والصعاليك واهل الجبال[2] . وفي سامراء « وثب نفر من الناس لايعرف من هم[3] » وفعلوا مثل مافعل العامة في بغداد والقوا على وصيف الخادم ـ وهو من قادة الاتراك ـ قدرا مطبوخا[4] .

اما الهاشميون من بني العباس الذين كانوا ببغداد فقد صاحوا بالمستعين وشتموا محمد بن عبد الله شتما قبيحا وقالوا : قد منعنا ارزاقنا ،وتدفع الاموال الى غيرنا ممن لايستحقها ونحن نموت هزلا وجوعا ! فاذا دفعت الينا ارزاقنا والا قصدنا الى الابواب ففتحناها وادخلنا الاتراك ، فليس يخالفنا احد من اهل بغداد ، فبذل لهم « رزق شهر واحد فرفضوا[5] » وانضم اليهم الجند وكثير من العامة وشكوا سوء الحال التي هم فيها من الضيق وغلاء السعر وشدة الحصار فضمن لهم ابن طاهر « رزق اربعة اشهر فانصرفوا[6] » ولما بويع المعتز بالخلافة « امر للناس برزق عشرة اشهر فلم يتم المال فاعطوا شهرين لقلة المال عندهم[7] » ولو توفر المال بيد المعتز لقدر له ان يحكم فترة اطول ولعدل الاتراك عن خلعه فقد قالوا له : « اعطنا ارزاقنا حتى نقتل لك صالح بن وصيف[8] » ،

---

(١) االطبري، ج٩ ، ص٢٦١ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٢٢ .

(٣) الطبري : ج٩ ، ص٢٦٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص٢٦٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص٣٢٧ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٥٨ .

(٧) الطبري : ج٩ ، ص٢٨٤ .

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص١٦ .

فاستنجد المعتز بامه قبيحة على ان تعينه على ضائقته ، فلم يجد عندها المال الكافي[1] ، فاجتمع الاتراك والفراغنة على خلعه « ودخل عليه جماعة من اهل الكرخ والدور من خلفاء القواد فقتلوه[2] » ونفس هذه الجماعة تحركت متذمرة على المهتدى سنة (٢٥٦ / ٨٦٩ م) وطالبته بأرزاقها فلم يجبهم[3] . فاستنجد المهتدى بالفراغنة والمغاربة والاتراك الذين بايعوا على الدرهمين والسويق[4] . الا ان الاتراك مالوا الى ابناء جنسهم فهزموا المهتدى وقتلوه[5] .

هذه الشكوى المتكررة التي لم يخل منها عهد من عهود بني العباس في القرن الثالث الهجري كانت ظاهرة عامة تنشد الاصلاح وتحسين الاوضاع الاقتصادية اول الامر واذا لم تجد لها اذنا صاغية تلجأ الى اساليب العنف ، وفي بعض الاحيان الى تغير مواقع السلطة كخلع الخليفة ، او تنحية الوزير ، كما ان هذه الشكوى لايمارسها معارضو السلطة وحدهم ، بل قد تصدر من جند الخليفة نفسه كما حدث سنة (٢٧٠هـ / ٨٨٣ م) ، اذ شغب اصحاب ابي العباس على صاعد بن مخلد وزير الموفق وطلبوا الارزاق فقاتلهم الى ان وضع لهم العطاء[6] .

ومع صفة الشغب الجماعي الذي دللت عليه الاحداث فان هناك بعض الحالات الانفرادية التي قام بها فرد او جماعة من الافراد ففي سنة (٢٤٩هـ /

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص٣٨٩ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٩٥ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٦٣ .

(٤) الطبري : ج٩ ، ص٤٥٨ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٢٣٣ .

(٦) نفس المصدر ، ص٤١١ .

٨٦٣م) شغب جماعة من المغاربة في سامراء وانتهبت منازل العامة [1] ودخل صديق الفرغاني سنة (٢٧٤هـ / ٨٨٧م) دور سامرا فنهبها ، واخذ اموال التجار منها وافسد وكان صديق هذا يخفر الطريق ويحميه ثم صار يقطعه[2] .

ومن الجند من يلجأ الى اساليب غير الشغب للخروج من ضائقته المالية ، روى التنوخي[3] : ان احد الجند الاتراك تأخر رزقه في ايام المكتفي فساءت حاله ، ورثت هيئته حتى لزم الجلوس عند خباز كان بالجانب الشرقي في بغداد ، يعطيه في كل يوم خمسة ارطال خبزا يتقوت بها هو وعياله ، فاجتمعت عليه للخباز شيء فضاق به صدر الخباز ، فاضطر الجندي للجلوس في شوارع بغداد يسأل الناس حاجته .

وقد يلجأ الخليفة نفسه في بعض الاحيان الى اعطاء الجند ارزاقا او عطايا ليستميل بها قلوبهم ، فقد اعطى المكتفي جنده رواتب بلغت مائة الف دينار لما عزم على محاربة القرامطة في الشام[4] . ونجد مايشابه ذلك فيما فعله ابو احمد بن المتوكل . فقد جمع الموالي والغلمان والجند وعرضهم واعطاهم الارزاق لينهضهم على حرب الزنج[5] .

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص٢٦٣ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٤٢٧ .

(٣) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص٣١ .

(٤) الطبري : ج١٠ ، ص١٠٣ .

(٥) الطبري : ج٩ ، ص٢٦٧ .

ثانيا : العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية

١ ـ التذمر من النفوذ الاجنبي :

ان طبيعة الاسلام المفتوحة للعناصر غير العربية والتي دخلت فيه طوعا وكرها ، اصبحت بحكم عالمية الدعوى الاسلامية [1] من رعايا الدولة ، لهم ما للعرب بأعتبارهم مسلمين ، هذه الطبيعة التي انطلق منها الدين الجديد والتي اخرجها الفتح الاسلامي الى حيز التنفيذ ، مهدت الطريق لدخول العناصر الاجنبية الفارسية والرومية والتركية .

ان عملية الامتزاج بين الامم الفاتحة والمفتوحة بدأت في عهد عمر بن الخطاب كالامتزاج الثقافي والعرقي والاقتباس الحضاري ، واستمرت هذه العمليات زمن الامويين الذين حاولوا اعتراض مسيرة التطور الاجتماعي الذي يستلزم تمتين الروابط الحضارية بين الشعوب الاسلامية عربية وغير عربية . انها اطوار لاينقرض طور الا كان هناك بديل له اكثر تطورا . وهكذا فان تربة المجتمع العربي كانت تزداد خصوبة في صالح العناصر الاجنبية بتتابع الزمن ، وقد قدر للتربة العباسية ان تحتضن ثمار ذلك البذار الاسلامي ، وقد عجلت في نضوجه بعض اجراءاتها كالانتقال بالعاصمة من دمشق الى بغداد القريبة من مركز الفرس في خراسان ، فكان من مردودات ذلك اشتراك الاعاجم في حكم الدولة ، فقد تسنموا منصب الوزارة وهي من حيث الاهمية تأتي بعد الخلافة ، واستمر نفوذهم اتساعا وظهرت اطماعهم الفارسية مما حدى بالخلفاء الى التخلص منهم كالذي حدث لابي مسلم الخراساني زمن المنصور وللبرامكة زمن الرشيد . وبرزوا كعامل فعال في اسناد الخليفة وتثبيته لما

---

(١) كما في قوله تعالى : « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لايعلمون » سورة سبأ ٣٤ : ٢٨ .

حدثت الفتنة بين الامين واخيه المأمون ، فقد ناصروا المامون الذي كان اول الامر في خراسان[1] . ومنهم جيشه الذي حاصر بغداد بقيادة طاهر بن الحسين[2] ، فلما دخلوها تسلطوا على اهلها ونكلوا باتباع الامين ومناصريه واخذوا منهم الاموال ، فقد اشترطوا على احمد بن سلام دفع مبلغ عشرة الاف درهم والا ضربوا عنقه . قال احمد بن سلام : فبعثت الى وكيلي فأتاني بها فدفعته الى طاهر[3] .

وغالى الفرس بأنسابهم وفخر احدهم قائلا : « الانصار انصاران : الاوس والخزرج نصروا النبي (ص) في اول الزمان واهل خراسان نصروا ورثته في آخر الزمان ، غذانا بذلك اباؤنا وغذونا به ابناءنا وصار لنا نسبا لانعرف الا به ودينا لانوالي الا عليه[4] » . وقال آخر : « نحن اصحاب اللحى وارباب النهى واهل الحلم والحِجا واهل الثخانة في الرأي والبعد في الطيش ولسنا كجند الشام المتعرضين للحرم والمنتهكين لكل محروم[5] » ، ولعل فيما اظهرته مناظرة الافشين سنة ٢٢٥هـ / ٨٣٩م) دليلاً على اطماعهم واتصالاتهم السرية فقد كشف المازيار صاحب طبرستان ان الافشين كتب اليه يطلب مناصرته ضد العرب ليعود الدين الى ايام العجم[6] .

ضج المجتمع الاسلامي في القرن الثالث الهجري القرن التاسع

---

(١) ابن طيفور : بغداد ، ص١ .

(٢) الفخري : الآداب السلطانية ، ص١٧٣ .

(٣) الطبري : ج٨ ، ص٤٨٨ .

(٤) الجاحظ : الرسائل ج١ ، ص١٥ .

(٥) نفس المصدر ، ص١٩ .

(٦) الطبري : ج٩ ، ص١٠٩ .

الميلادي بعناصر رئيسة ثلاثة هم : العرب والفرس والاتراك ، ومع ان التراث الاسلامي كان مشتركا بينهم ، كل منهم يفخر بـه علنا ، فـان لهم اطماعـا واحلاما قومية يعملون للوصول اليها سرا . وبعبارة اخرى رأي عام اسلامي يضم في ثناياه آراء متباينة عربية واجنبية ، وكل يبدي تذمرا ويحاول السيطرة والتسلط على حساب العنصر العربي .

يعود الفضل بتكاثر عدد الاتراك الى المعتصم الذي عمد الى جمع عدد منهم بالشراء من بخارى وسمرقنـد وفرغـانة واشروسنه وغيـرها من بـلاد تركستان وما وراء النهر فاجتمع له منهم اربعة الاف(1) ، ولما افضت الخلافة اليه امعن في شرائهم حتى بلغت عدتهم ثمانية الاف مملوك وقيل ثمانية عشر الفا ، البسهم انواع الديباج ومناطق الذهب ، وميزهم عن سائر جنوده .(2) .

لقد تكاثر عدد الاتراك في عشرينيات القرن الثالث الهجري حتى ضاقت بهم بغداد وتذمر الناس منهم ، فكثيرا « ما تجد الواحد بعد الواحد قتيلا في الارباض والدروب وذاك انهم كانوا يركبون الدواب ويتراكضـون في طرق بغداد وشوارعها فيصدمون الرجل والمرأة ويدوسون الصبيان(3) » . فثارت ثائرة العرب من اهل بغداد(4) « فكانـوا ينكسونهم عن دوابهم ويخـرجون بعضهم

---

(1) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٥٣ .

(2) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٢٣٣ . ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٧٤ ، ان عددهم قد بلغ سبعين الفا بعد ان ولي المعتصم الخلافة .

(3) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج٣ ، ص ٣٨١.

(4) ترى جهادية القرغولي في كتابها الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في سامراء ص٢١ ، ان وجود الاتراك كفرقة عسكرية جديدة في عنصرها ، متميزة في مظهرها ، بدوية في تصرفها ، في وسط متحضر كبغداد قد خفف من حدة التنافس بين العرب والفرس ووحد شعور العنصرين ضد الاتراك .

ويقتلونهم سرا ويلقون بهم على قارعة الطريق[١] » . وتكررت مثل هذه الحوادث اكثر من مرة والبغاد ة يصرحون بالشكوى علنا ، اعترض احد شيوخهم المعتصم وهو في موكبه بعد صلاة العيد ، قائلا له : « يا ابا اسحاق . فابتدره الجند ليضربوه ، فأشار اليهم المعتصم فكفهم عنه ، فقال للشيخ مالك ! قال : لاجزاك الله عن الجوار خيرا ! جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج فاسكنتهم بين اظهرنا فايتمت صبياننا وارملت بهم نسواننا وقتلت بهم رجالنا[٢] » والمعتصم يسمع ذلك كله وقد كظم همه وصمم على وضع حل نهائي لمثل هذه المشاكل ، فلم يجد احسن من ان يبني معسكرا لاجناده الاتراك يعزلهم فيه ، وبذلك يجنب الناس الفتنة ويبعدهم عن بغداد مركز الحضارة ، كي لاتفسد طباعهم ويقل ولاؤهم وتذهب عصبيتهم وشجاعتهم وهي صفات رغبت المعتصم فيهم ، واشترط لمعسكره هذا سلامة الموقع قائلا : « فان رابني من عساكر بغداد حادث كنت بنجوة وكنت قادرا على ان اتيهم في البر وفي الماء[٣] » .

وجد المعتصم في سامراء مايحقق له كل ذلك قصدها سنة (٢٢٠هـ / ٨٣٥ م) وبنى فيها اول الامر قصره ومن حوله بيوت الجند حتى اصبحت مدينة تسر كل من يراها ولذلك قيل لها سر من رأى[٤] وجعلها عاصمة الدولة العباسية فأغاض ذلك الناس وخاصة اهل بغداد الذين وجدوا فيه انتصارا للاتراك وضربا لتقاليد بني العباس ، عبر احد الشعراء عن ذلك

---

(١) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤٧٨ .

(٢) الطبري : ج٩ ، ص١٨ .

(٣) الفخري : الاداب السلطانية ، ص١٨٨ .

(٤) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ، ص٤٧٣ .

قائلا [1]:

ايا ساكن القاطول بين الجرامقة تركت ببغداد الكباش البطارقة

لقد تعاظم عدد الاتراك وامتد نفوذهم الى كل جوانب الحياة ، حتى الخلافة تطاولوا عليها وجعلوها منصبا يولون من يشاءون فسرعان ماينصبون خليفة ومن ثم يعزلونه او يقتلونه لسبب او لاخر تبعا لمصالحهم الخاصة ، ويتبع ذلك عادة تفكك في مؤسسات الدولة ، وفوضى في الحياة العامة ، وتذمر يعبر عنه الرأي العام الاسلامي بطريقة او باخرى ، كالتأكيد على قدسية الخلافة الاسلامية على سبيل المثال .

لاينكر ان الخلفاء العباسيين منذ خلافة المعتصم ، قلدوهم اعلى المناصب ومنحوهم اوسع الصلاحيات وبمرور الايام تعاظم نفوذهم ، واصبح يرقى الى مرتبة الخليفة نفسه ان لم يتعده فعليا في بعض الاحيان فقد كان ايتاخ مع المتوكل في مرتبته ، واليه الجيش والمغاربة والاتراك والاموال والبريد والحجابة ودار الخلافة [2] . والخليفة نفسه غير راضٍ عن ذلك ولكنه في الوقت نفسه غير قادر على ان يعمل شيئا او يصرخ بعدم رضاه فكثيرا مايكبت تذمره .

في احدى الليالي خمر المتوكل فعربد على ايتاخ واظهر تذمره منه فهم ايتاخ على قتله فلما كان اليوم التالي اعتذر وصيره الخليفة امير كل بلد يدخله وخلع عليه [3] . هذا ظاهر الامر وفي السر اتصل المتوكل باسحاق بن ابراهيم واتفق معه على الايقاع بأيتاخ فقبض عليه وعلى ولديه ، وألقوا في الحبس جميعا ومات أيتاخ فيه سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٩م [4] .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٥٤ .

(٢) ابن الاثير : الكامل : الكامل ج٧ ، ص٤٣ .

(٣) الطبري : ج٩ ، ص١٦٧ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٤٧ .

خطط الاتراك لقتل المتوكل بعد ماحدث لايتاخ ، فقد اتفقوا مع ابنه المنتصر ، وكان على خلاف مع ابيه المتوكل في بعض الامور كاحتجاجه على سياسة كره آل البيت [1]، ولان المتوكل لما مرض جعل الامامة في الصلاة لاخيه المعتز بتحريض من الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان[2] .

استغل الاتراك هذه الخلافات فأوغروا صدر المنتصر على ابيه واتفقوا معا على قتله فكان لهم ما ارادوا وجعلوها في المنتصر[3] . فلما شاع الخبر في سامراء ، شغب الجند والعوام وغيرهم من الغوغاء وتجمعوا بباب العامة وقد اخذ السخط والتذمر منهم مأخذا ، حتى ان المنتصر خرج لهم بنفسه وصاح بهم : ياكلاب فاخذهم جنده وتدافعوا حتى مات البعض منهم من الزحمة والدوس[4] .

وبموت المنتصر سنة (٢٤٨هـ / ٨٦٢م) ، اختلف الناس ، فريق بايع المستعين احمد بن المعتصم يمثله الامراء والمماليك وجمهور الجيش ، وآخر بايع المعتز جلهم من العوام وسواد الناس وكانوا يهتفون « يامعتز يامنصور[5] » ، وقد اقتتل الفريقان اياما ، وشاعت الفتن ، وانتهت اماكن كثيرة من بغداد الى ان استقر الامر للمستعين سنة (٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م[6]) ، فكان لاحول له ولاقوة بين الامراء الاتراك وفيه قيل[7] :

---

(١) الفخري : الآداب السلطانية ، ص١٩٢ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج٧ ، ص٩٦ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ، ص٤٩٢ .

(٤) الطبري : ج٩ ، ص٢٣٩ .

(٥) الطبري : ج٩ ، ص٢٥٦ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٢ .

(٧) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٥٨ .

خليفةٌ فـي قفصٍ بين وصيف وبغا
يقولُ ماقالا له كما تقولُ الببغا

لم يُرضِ هذا الحال المستعين ولما لم يجد مخرجا في التقليل من نفوذهم والانتصاف لشكوى وتذمر الناس ، وهو نفسه قد تـوجس الخيفة منهم ومـا حدث لاسلافه ماثل بين عينيه ، لذلك كله هرب الى بغداد ، فانقسم الاتراك على انفسهم فريق معه وآخر طلب منه العودة الى سامراء[1] ، معتـذرين عما بدامنهم ، فقال لهم : « انتم اهل بغي وفساد واستغلال للنعم ، الم ترفعوا الي في اولادكم فالحقتهم بكم وهم نحو من الفي غلام وفي بناتكم فأمرت بتصييرهن في عداد المتزوجات وهن نحو من اربعة الاف امرأة من المدركين والمولودين ! وكل هذا قد اجبتكم اليه ، وادررت لكم الارزاق . . ومنعت نفسي لـذتها وشهوتها ، كل ذلك ارادة لصالحكم ورضاكم وانتم تزدادون بغيا وفسادا وتهددا وابعادا[2] » .

وازاء هذا التمادي والغي تذمر الناس فاجتمعت العامة ببغداد تناصر المستعين وانقسم الاتراك الى احـزاب[3] ، فعمد بعضهم وجلهم من اتـراك سامراء الى خلعه ومبايعة المعتز ابي عبد الله بن محمد المتوكل بعد ان اخرجوه من السجن سنة (٢٥٢ هـ / ٨٦٦م)[4] . وجردوا الجيـوش لحصار بغـداد التي « اشتد فيها البلاء والقحط حتى اكل اهلهـا الجيف وقتل منهم مـايقرب من

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ج٣ ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٩ . مطبعة الشبكتي بمصر ، ص٢٤ .

(٢) الطبري : ج٩ ، ص٢٨٣

(٣) احمد امين : ظهر الاسلام ، ج١ ، ص٢٠ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٨ .

الالفين »[1] ، وشاع في بغداد ان محمد بن عبد الله بن طاهر قد خلع المستعين وبايع المعتز ، فاجتمعت العامة حذاء داره فشتموه اقبح شتم ودخلوا دهليز داره وارادوا احراقه فلم يجدوا نارا[2] ، وقد حاول ابن طاهر ان يتنصل من هذه التهمة واعتذر الى الخليفة ولكن العامة لم تقنع بذلك[3] ، وفي الغد عاودت العامة شغبها حول دار ابن طاهر الى ان خرج اليهم المستعين قائلا لهم : « ان محمد بن عبد الله بن طاهر لم يُخلع ولم اتهمه ووعدهم ان يصلي بهم الجمعة فانصرفوا[4] » .

كتب المعتز بالله الى ابي احمد يلومه للتقصير في قتال اهل بغداد قائلا[5] :

لامر المنايا علينا طريقُ	وللدهرِ فيه اتساعٌ وضيقُ
فهذا قتيلٌ وهذا جريحٌ	وهذا حريقٌ وهذا غريقُ
وهذا قتيلٌ وهذا تليلٌ	وآخر يشدخه المنجنيق
هناك اغتصاب وثم انتهاب	ودورٌ خرابٌ وكانت تروق

لقد صدق حدس العامة في اتهامهم لابن طاهر بالتواطؤ مع المعتز ، « اذ انه لما تفاقم الامر واشتد الحال وضاق المجال وجاع العيال وجهد الرجال جعل ابن طاهر يظهر ماكان كامنا في نفسه[6] » ، الى ان تجرأ وقال للمستعين « لابد

---

(١) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج٢ ، ص٢ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٥٨ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٨ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٥٩ .

(٥) الطبري : ج٩ ، ص٣١٦ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٩ .

لك من خلعها طائعا او مكرها فأجاب الى الخلع [1] » وفي ذلك قال الشعراء شعرا كثيرا في ذلك قول مروان بن ابي الجنوب في قصيدة طويلة [2] :

ان الامـورَ الى المعـتز قـد رجعتْ والمستعـينُ الى حـالاتـهِ رجعـا
قـد كـان يعلم ان المُلكَ ليس لـه وانـه لـك لكن نفسـه خـدعـا

وفي سنة (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م) قتل المستعين على يد سعيد بن صالح الحاجب وقد احتز رأسه وحمله الى المعتز بالله وترك جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة من العامة [3] . وقيل في ذلك شعر ينسب الى البحتري عرض فيه بالاتراك وبالحال السيئة التي آلت اليها الخلافة [4] :

لـله درُّ عـصـابـةٍ تـركـيـة رَدُّوا نـوائـب دهرهم بـالـسيـف
قتلوا الخـليفـة احمـد بـن محمـد وكسـوا جميع النـاس ثوب الخـوف
وطغـوا فـأصبـح ملكنـا متقسـماً وامـامنـا فيـه شبيـه الـضيـف

تـولى الخلافـة من بعده اخـوه المعتز بـالله ابو عبـد الله بن محمد بن المتوكل [5] . ولم يكن حظه احسن من اسلافه ، فالفتنة على اشدها ، وتذمر الرأي العام على النفوذ التركي ، وصل حد اليأس ، روى انه لما جلس على سرير الخلافة قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم : انظروا كم يعيش ؟

---

١. ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٦١ .

٢. المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٦٩ .

٣. نفس المصدر ، ص١٦٤ .

٤. نفس المصدر ، ص١٦٩ .

٥. الفخري : الآداب السلطانية ، ص١٩٦ .

وكم يبقى في الخلافة ؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال : انا اعـرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته فقالوا : فكم تقول انه يعيش وكم يملك ؟ قال : ما اراد الاتراك [١] . والرواية على ظرافتها تدل بما لايقبل الشك على الحال التي آلت اليها الخلافة العباسية تحت النفوذ التركي اذ اصبح الخليفة آلة بيد الامراء والاتراك متى شاءوا عزلوه وجاءوا بآخر وهكذا ، بايعوا المعتز وسرعان ماشغبوا عليه مطالبين بأرزاقهم ، فلم يكن بيده مال يصرفه لهم ، فأجمعوا على خلعه وقتله شر قتله [٢] ، وادعوا انه خلع نفسه واشهدوا على ذلك بعض اتباعهم [٣] .
فاكثر الشعراء في خلعه وقتله من ذلك قول احدهم [٤] :

بكَر الترك ناقمين عليه خالعيه افديه من مخلوعِ
قتلوه ظلما وجورا فألفوه كريم الاخلاقِ غير جزوع
اصبح التركُ مالكي الامرّ والعا لم ما بين سامعٍ ومطيعٍ

وقال في ذلك آخر [٥] :

قتلوه ظلما وجورا وغدرا حين اهدوا اليه حتفا مريحا
ايها الترك سوف تلقون للدهر سيوفا لاتستبل الجريحا

وقال آخر [٦] :

اصبحت مقلتي تسحُ الدموعا اذ رأت سيد الانام خليعا
وبنوعمه وعمٌ ابيه اظهروا ذلة وابدوا خضوعا

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص١٩٧ .

(٢) الذهبي : العبر في خبر من غبر ج٤ ص٩ .

(٣) الفخري : الآداب السلطانية ص١٩٧ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٩٧ .
(٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٩٧ .

لقد ألف الرأي العام الاسلامي في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي مراسيم التولية والخلع وحيل القتل التي مارسها الامراء والاتراك ، وما حدث للمعتز بالله نجده قد تكرر على المهتدى بالله فقد نصبوه خليفة وتعاطف الناس معه وقووا عنده فكرة الضرب على ايدي الامراء الاتراك ولكنه لم يفلح ، فقد ثقلت وطأته عليهم فأستطالوا خلافته وسئموا ايامه [1] . فتأمروا على قتله ، وقد ذكر الطبري : انه قد انهزم قبالة الاتراك والسيف في يده مشهور ، وهو ينادي : يامعشر المسلمين انصروا خليفتكم الى ان قتل على يد احد الاتراك [2] .

وصف احد الاتراك الاحوال تحت نفوذهم قائلا : « ولنا بغداد بأسرها تسكن ماسكنا وتتحرك ماتحركنا والدنيا كلها معلقة بها وصائرة الى معناها فاذا كان هذا امرها فجميع الدنيا تبعٌ لها وبالتالي تبع لنا [3] » . ومما لاجدال فيه ان دخول العناصر الاجنبية وازدياد نفوذهم وتسلطهم ، كان عاملا سلبيا عجل في انهيار الدولة العباسية .

٢ ـ انحلال النظام الاداري :

آ / طرق التولية والعزل :

تعرضت مؤسسات الدولة العباسية لضعف متزايد منذ اللحظات الاولى لقيامها ، وذلك للتناقض الحاصل بين سلطة الخليفة من جهة وسلطة الوزير والولاة والموظفين الآخرين من جهة اخرى ، فالدولة بوضعها الانقلابي الذي

---

(١) نفس المصدر ، ج٤ ، ص١٨٣ .

(٢) الطبري ، ج٩ ، ص٤٥٨ .

(٣) الجاحظ : الرسائل ، ج١ ، ص٢٨ .

جاء على اعقاب سقوط السلطة الاموية ، لم تتمكن من تحديد صلاحيات واختصاصات الوظائف والمناصب المستحدثة ، وخاصة الزمنية منها التي لم تعهدها الدولة الاسلامية من قبل كالوزارة مثلا « التي لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها الا في دولة بني عباس فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولامقررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك اتباع وحاشية فاذا حدث امر استشار بذوى الحجا والاراء الصائبة فكل منهم يجري مجرى وزير فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمي الوزير وزيرا وكان قبل ذلك يسمى كاتبا ومشيرا[1] » .

لقد جعل بنو العباس الوظائف الحساسة كالوزارة في الفرس مكافأة لهم لدورهم البارز في قيام الدولة العباسية وقد تقلدها زمن الخليفة العباسي الاول ابو سلمة الخلال وهو فارسي من اهل همدان[2] .

ان اشراك العنصر الفارسي في الحكم ، وتقلدهم منصب الوزارة وهو منصب حساس يأتي في الاهمية بعد الخلافة ، كان سابقة خطيرة تركت آثارا سيئة على المجتمع العربي ، فهذه الخطوة والخطوة مهدت السبيل لدخول العناصر الاجنبية الفارسية والتركية ومن ثم سيطرتها على مؤسسات الدولة الاخرى ، وكانت بحق عاملا سلبيا عجل في تداعي الدولة العباسية .

لقد فوض بعض الوزراء صلاحيات واسعة جدا جمعت في يده خطتي السيف والقلم حتى ان جعفر بن يحيى ، دعى بالسلطان ايام الرشيد[3] . ومع كل هذه الصلاحيات التي تدل على الثقة فان الخلاف سرعان مايدب بينهما وينتهي الامر بالوزير الى العزل ، وقد يؤدي به ذلك الى السجن او القتل ، ولا

---

(١) الفخري : الآداب السلطانية ، ص١٢١ .

(٢) المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص٢٩٣ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص٢٣٨ .

ادل على ذلك من مقتل البرامكة وبني سهل وبني وهب [1] وغيرهم ومرد ذلك :
ان الوزارة منصب حديث العهد بالنسبة للمجتمع الاسلامي ، لم تكتمل اسسه ولم تتحدد صلاحياته ، ولاينسجم مع فكرة التفويض الالهي التي كفلت للخليفة سلطات دينية وزمنية لاحصر لها . اضافة الى ما لهؤلاء الوزراء من اطماع قومية واحقاد شعوبية ضد العنصر العربي والدولة العباسية .

وحين تسلط الاتراك في الربع الثاني من القرن الثالث الهجري ، ضعف مركز الوزارة وانتقلت السلطة الفعلية الى الجيش [2] ، وتخللت ذلك فترات قويت فيها سلطة الوزير وكانت لبعضهم ادوار بارزة في تسيير دفة الحكم ، ولكن ذلك لم يخلصهم من غضب الخلفاء لاتفه الامور . ومنذ اواخر القرن الثالث الهجري ازداد نفوذ الوزراء بضعف معاصريهم من الخلفاء ، وقويت المنافسة على منصب الوزارة وكان يصحب هذه المنافسة تفشي الدس والرشوة ووصل الحال الى ان الفوز بهذا المنصب يكون لمن يدفع للخليفة مبلغا اكثر من غيره ، فقد روى [3] : ان الخاقاني وزير المقتدر بالله كان كثير العزل والتولية ، قيل انه ولي في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة واخذ من كل واحد رشوة فانحدروا واحدا واحداً حتى اجتمعوا جميعهم في بعض الطريق فقالوا كيف نصنع ؟ فاتفقوا على جعلها في آخرهم عهدا بالوزير وفي ذلك قيل [4] :

وزيرٌ لايملُّ من الرقاعةِ يولي ثم يعزلُ بعد ساعة
ويدني مَنْ تعجلَ منه مال ويبعدُ من توسل بالشفاعة

---

(1) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٢٥٦ ، دار الكتب المصرية : ١٩٢٩ .

(2) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ص٢٩٩ .

(3) الفخري : الأداب السلطانية ، ص٢١٥ .

(4) الفخري : الاداب السلطانية ، ص٢١٥ .

اذا أهل الرشا صاروا اليه فأحظى القوم اوفرهم بضاعة

وسخر الرأي العام من الوزراء كأدنى صنعة ، فقد روى التنوخي [1] :

« انه اجتمع الناس مرة على قراد معلم في شارع الخُلْد ، فيقول المعلم للقرد : تشتهي ان تكون بزازا ؟ فيقول نعم ويؤمىء برأسه . فيقول تشتهي ان تكون عطارا ؟ فيقول نعم ، برأسه ، فيعدد الصنائع عليه فيومىء برأسه فيقول له في آخرها : تشتهي ان تكون وزيرا ؟ فيومىء برأسه لاويصيح ويعدو من بين يدي القراد فيضحك الناس » .

وبأنتهاء القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، « تعطل رسم الخلافة وصار الامر لملوك العجم ، واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب لانهم خولٌ لهم فتسموا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى بأمير الامراء او بالسلطان وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها للخليفة في خاصته [2] .

لم يقتصر الارتباك السياسي على الوزارة بل تعداها الى مؤسسات الدولة الاخرى ، فقد تنحصر في نفر من الناس بسبب قرابتهم من الخليفة ، كالذي ذكر عن المأمون حيث ولى ابنه العباس الجزيرة والثغور والعواصم ، وولى اخاه ابا اسحاق المعتصم الشام ومصر وامر لكل واحد منهما ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة الف درهم [3] و شهد محمد بن يقطين وهو على حرس ذي اليمنين (طاهر ابن الحسين) على ان بعض الناس تولوا وظائف لايستحقونها ولا دراية لهم بها ، بقوله : ما اعجب اشياء احدثها الامير يعني ذا اليمنين من توليته سعيد ابن الجنيد ديوان الخراج وهو بستاني وباداب البقر احذق منه بالكتابة ، وولى ابا زيد ديوان التوقيع والخاتم وهو لايحسن الكتابة قليلا ولا كثيرا . فلما

---

[1] التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٢٣٢ .

[2] ابن خلدون : المقدمة ، ص٢٣٩ .

[3] ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٤٠٩ .

قيل له : لماذا لاتحكى ذلك للامير؟ قال : ما هو شيء اقوله انا وحدي[1] .
والعبارة الاخيرة تدل على ان الرأي العام تناقل هذه الاحداث ، وابدى تذمره وسخطه منها .

لقد ساءت الاحوال العامة وارتبك النظام الاداري في العصر العباسي خلال القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، فالوزير يتولى الوزارة عاما او عامين ثم يعزل او يستقيل ، وله عدة ملايين من الدنانير فضلا عن الضياع والمباني وقد اكتسب هذه الثروة بالرشوة ونحوها من اسباب المظالم[2] ، ففي سنة (٢٢٩ م / ٨٤٣هـ) صادر الخليفة الواثق بالله كتاب الدواوين فاخذ من احمد إبن اسرائيل ثمانين الف دينار ، ومن سليمان بن وهب كاتب ايتاخ اربعمائة الف دينار ، ومن الحسن بن وهب اربعة عشر الف دينار ، ومن احمد بن الخصيب وكتابه الف الف دينار ، ومن ابراهيم بن رباح وكتابه مائة الف دينار[3] . وذلك لظهور خياناتهم واسرافهم في امورهم ، واكتنازهم الاموال ، واخذهم الرشاوي ، فأمر بمحاكمتهم فانفضح حالهم فضيحة بليغة[4] . وقد نسب التنوخي على لسان سليمان بن وهب شعرا قاله في حبسه منه[5] :

يااخي لو ترى مكاني في الحبس ومالي وزفرتي وعويلي
وعشاري اذا اردتُ قياما وقعودا في مثقلات الكبول
لرأيت الذي يغمك في الاعـ ـداءِ أذْ يسلكوا جميعاً سبيلي

لقد عبر الشعراء عن نقمة الرأي العام على الفوضى الادارية التي

---

[1] لابن طيفور : بغداد ، ص٥٩ .

[2] جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج٤ ، ص١٩٠ .

[3] الطبري : ج٩ ، ص١٢٥ .

[4] ابن كثير : البداية والنهاية ج١٠ ، ص٣٠١ .

[5] التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص١٥٠ .

وصلت اليها الدولة ولعل اصدق شعر في هذا الصدد ماقاله ابن المعتز[1] :

كم تائه بولاية وبعزله يعدو البريدُ
سكرُ الولاية طيبٌ وخُمارها صفعٌ شديدُ

وقد اظهر الناس استهانة بالوظائف وسخرية من بعضها لقصر عمر مثل هذه الوظائف ومن طريف ماروى : ان احدهم ولي النفاطات فأظهرتيها ، فقال فيه صديق له شاعر[2] :

لعمري لقد اظهرتَ تيها كأنما تَوليتَ للفضل بن مروانَ منبرا
بحفظ عُيونِ النفط احدثت نخوةً فكيف به لو كان مسكا وعنبرا

وظاهرة الرشوة وجمع الاموال سواء بالنسبة للوزير او بالنسبة للعامل الذي بها يستطيع الوصول الى الولاية ، ظاهرة تدل على تدهور الاوضاع السياسية ، وضعف سلطة الخلفاء بسبب سيطرة الاتراك والعناصر الاجنبية الاخرى وصراعها المستمرعلى السلطة ، وصف احد الشعراء هذه الاوضاع وكأنه يريد ان يقنع نفسه والآخرين من كثرة العزل والتولية قائلا[3] :

لاتجزعنَّ فكل وال يعزلُ وكما عُزلتَ ففي قريب يعزلُ
ان الولايةَ لاتدومُ لواحدٍ ان كنت تنكره فاين الاولُ
وكذا الزمان بما يسرك تارةً وبما يسوءكَ مرةً يتنقلُ

ب / اساليب جباية الضرائب :

ومن عوامل التذمر التي حفل بها القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي سوء طرق جباية الخراج ، والضرائب الفادحة على الباعة واهل الاسواق في المدن ، والاعتداء على الفلاحين ، ونهب غلاتهم فان بعض العمال كان يبعث

---

١. البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص١٦٨ .
٢. نفس المصدر السابق .
٣. البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص١٦٩ .

رجاله الى القرى « فيأتون الى البيدر فيقسمونه كما يشاؤون واذا تذمر الفلاح شتموه وحلقوا لحيته وضربوه وقد لايرضيهم ذلك فيغتصبون الضياع برمتها»[1] .

ومن مشاكل سوء جباية ضريبة الخراج ، انها تجبى في غير مواعيدها مما يحدث حيفا يصيب الزراع والفلاحين ، ولذا فانهم طالبوا السلطة بتنظيم وقت مناسب لجبايتها او تطبيق مايعرف بنظام الكبس الفارسي الذي حدد ميقات البدء في جباية الخراج بيوم النيروز[2] ، وهو وقت مناسب لنضوج الثمر وجني الحاصل . لاحظ المتوكل ذلك بنفسه في احدى جولاته ، ان الزرع مـايزال اخضر وان الغلال لم تدرك فقال لبعض مرافقيه : مادام الزرع لم يدرك فمن اين يعطي الناس الخراج ؟ فأصدر اوامره بالعمل بنظام الكبس فاخر الجباية الى منتصف حزيران بعد ان كانت تؤخذ في نيسان[3] ، وقد استحسن الرأي العام هذا الاجراء وخاصة الفلاحون وحمدوا للخليفة عمله هذا ، ولكن سرعان ما اوقف العمل بهذا النظام بعد مقتله وعادت فوضى الجباية كما كانت . وفي سنة (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) زمن المعتضد اعيد العمل به ثانية وقد جعله في الحادي عشر من حزيران بعد ان كان قد تقدم شهرين كاملين الى الحادي عشر من نيسان[4] .

من ذلك يتبين ان معظم خلفاء بني العباس ابان القرن الثالث الهجري التاسع للميلاد لم يحددوا وقتا معينا لجباية الضرائب ، وبخاصة الخراج منها بل

---

[1] الصابي : تاريخ الوزراء ، ص٩٢ .

[2] صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ص٣٩٠ .

[3] البيروني : الاثار الباقية عن القرون الخالية ص٣١ . وفي ص٣٣ اورد البيروني بيتا من الشعر عن علي بن يحيي المنجم في قوله : يوم نيروز لها يومٌ واحدٌ لايتأخر
من حزيران يُوافي ابدا في احد عشر .

[4] نفس المصدر السابق .

ان بعضهم كثيرا مايلجأ الى اجراءات اضطرارية وجبايات مجحفة في حق الزراع « ويفرض لها قدرا معلوما على الاثمان في الاسواق وعلى اعيان السلع[1] » وهو في ذلك مضطر لسد نقص بيت المال ، او لتغطية مصاريف بلاطه وحشمه وخدمه واعطياته وهداياه . ففي سنة (٢٨٤هـ / ٨٩٧ م) امر المعتضد بالله باستخراج خراج المواد لسنتين في سنة واحدة[2] ، وكثيرا مايعبر الناس عن ثقل الضرائب وسوء جبايتها ، بالشغب والوثوب على هذا العامل او ذاك فقد شكا اهل الرى ثقل الخراج الى المأمون فحط منه[3] ، ولما تظلم مجاوروهم وطالبوا شمولهم بالحط والتخفيف ، رفض وحاربهم وجبا منهم سبعة آلاف الف درهم بعد ان كانوا يتظلمون من الفي الف درهم[4] . وشكا الفلاحون ثقل ضريبة الخراج زمن المهتدى قائلين له : « فما معنى اخذنا لسنة لم نبتدىء بعمارتها[5] » . وفي سنة (٢٦٦هـ / ٨٧٩م) ، وثب اهل وادى القرى على عامل اسحاق بن محمد فقتلوه ومن معه من العمال[6] ، وذلك لثقل الضرائب بها ، وسوء جباية خراجها .

ذكر التنوخي[7] : ان عاملا للمكتفي طالب اهل الخراج بخراجه فتغيب عنه فأمر بأحراق بابه فاتصل الخبر بالخليفة فقبض على العامل فضربه على باب المسجد الف سوط . وازاء هذا الظلم فان بعض ا لناس كان ينتصف لنفسه

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص٢٨٠ .

(٢) الصابي : تاريخ الوزراء ص١٣ .

(٣) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤٦٠ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٣٩٩ .

(٥) الطبري : ج٩ ، ص٤٠٨ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٣٣٥ .

(٧) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٢٤ .

ولابناء جلدته في سوء معاملة عمال الخراج لهم ، بطرق انتقامية اكثر عملية من مجرد التذمر والشكوى ، كاللجوء الى القتل . فقد روى صاحب الفرج بعد الشدة[1] : ان عاملا للخراج اخذ خراجا من بعض الاكرة بالقهر والصفع فشكا هذا الفلاح ما اصابه الى ابن عمه واخرين من اقاربه ، وتآمروا جميعا على قتل هذا العامل .

وجدت الحركات المناوئة للسلطة العباسية في الظلم الفادح الذي اثقل كاهل الفئات الكادحة ، سبيلا لاستقطاب تأييد الرأي العام ، كالذي حصل في حركة الزنج والقرامطه والبابكية وغيرها من الحركات التي تظاهرت بالعدل وانصاف المظلومين واضمرت باطلا يوصل بها الى غايات دنيئة لحمتها وسداها حقد شعوبي يشكك بالتراث العربي الاسلامي من خلال تقويض الدولة العباسية .

٣ ـ الفتن والازمات :

ان من عوامل تذمر الرأي العام في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي كثرة الفتن والمنازعات والخصومات السياسية ، والثورات الاجتماعية ، والحركات الدينية والفكرية ، التي اضعفت بنية المجتمع العباسي ، وفرقت بين الناس ومنها من جلبت عليهم الويل والثبور وعظائم الامور .

آ ـ الحركات السياسية والاجتماعية :

اولى هذه الفتن التي شهدها القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي هي الفتنة بين محمد الامين واخيه عبد الله المأمون على امر الخلافة ، وقد رافق هذه الوحشة ، نزاع قومي بين العرب والفرس ، وانقسم الرأي العام العباسي الى

---

(١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص١١٢ .

فريقين : فريق يؤيد الامين وجله من العرب من اهل بغداد ، وفريق آخر مع المأمون وجله من الفرس من اهل خراسان الذين انتظموا في جيش ، قاده طاهر إبن الحسين وهرثمة بن اعين ، حاصرا به بغداد الى ان ضاق الامر بالامين عدة وعتادا ومالا ومناصرين ، وضعف جنده عن القتال الا باعة الطريق والعراة واهل السجون والاوباش والطرارين ، فكانوا ينهبون اموال الناس[1] . وهو اسلوب يفتقر الى النظام ويعتمد المطامع والمغانم اساسا ، مما جلب نقمة الرأي العام البغدادي على هذه الاعمال والقائمين بها بما فيهم الامين نفسه الذي حمله اهل بغداد تبعة اشعال الفتنة بخلعه المأمون وتولية ابنه موسى مع انه صغير السن ولقبه : الناطق بالحق[2] . فقد سخر الناس من هذه التولية فقال احد الشعراء [3] :

اضاع الخلافة غشُ الوزيرِ	وفسقُ الاميرِ وجهلُ المشير
فهذا يدوس وهذا يداس	كذاك لعمرى خلاف الامور
واعجب من ذاوذا اننا	نبايع للطفل فينا الصغير
ومن ليس يُحسن غسل استه	ولم يخل من بوله حجرُ ظير
وماذان لولا انقلاب الزمان	في العيرِ هذا او في النفيرِ

لقد آل امر الامين الى القتل الشنيع على يد رجل من العجم يقال له خميرويه غلام لقريش الدنداني مولى طاهر[4] . فكان مقتله طعنةً اصابت الرأي العام البغدادي المتمثل بكل مناصري الامين من السواد الاعظم من الناس

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٢٧٢ .

(٢) المسعودي : التنبية والاشراف ، ص٣٠٠ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٢٩٨ .

(٤) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤١٥ .

والعيارين والشطار واهل السوق ، حتى اشاعت العامة من العرب بان الامين لم يقتل وانه حيٌ وانه سينتصر لاتباعه[1] ، واكثر الشعراء في رثائه والتأسف عليه وذم اعدائه وقاتليه من آل طاهر وغيرهم[2] .

لم ينته الامر عند مقتل الامين بل ان الجند من اصحاب طاهر بن الحسين طالبوا بأرزاقهم ووثبوا به ولم يكن في يده مال فضاق به الحال حتى هرب وانتهبوا متاعه واحرقوا باب الانبار الذي على الخندق وباب البستان وشهروا السلاح ونادوا : ياموسى يامنصور وهما ولدا محمد الامين[3] . مما يدل على تذمرهم واحتجاجهم على ما حل بآل محمد الامين ، وما آل اليه حالهم بعد مقتله ، واستمر ذلك الى ان امر لهم طاهر برزق اربعة اشهر[4] .

لم يقتصر التذمر على بغداد وحدها بل امتد الى مناطق ا خرى ، فقد « اظهر الخلاف للمأمون في سنة (١٩٨ هـ / ٨١٣ م) ، نصر بن شبث من بني عقيل يسكن كيسوم شمالي حلب ، وكان في عنقه بيعة الامين وله فيه

---

(١) الطبري : ج٨ ، ص٥٠٠ .

(٢) ممن رثاه الحسين الضحاك :

اذا ذكروا الامين نعي الامينا — وان رقد الخلي حمى الجُفونا

فوا اسفاوان شمت الاعادي — واه على امير المؤمنينا

تعقد عزٌ متصل بكسرى — وملته وذلّ المسلمونا

« الطبرى ، ج٨ ، ص٥٠٣ »

وقال عمر الوراق وهو يبكيه ويهجو طاهرا :

من ذا اصابك يابغداد بالعين — الم تكوني زماناً قرةَ العينِ

يامن يخرب بغداد ليعُمرها — اهلكت نفسك مابين الطريقينِ

« الطبري ، ج٨ . ص٥٠٠ »

(٣) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤١٧ .

(٤) الطبري : ج٨ ، ص٤٩٦ .

هوى ، فلما قتل اظهر نصر الغضب وتغلب على ما جاوره واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب ، وقويت نفسه وعبر الفرات الى الجانب الشرقي وحدثته نفسه بالتغلب على المأمون[1] » ، فتوجه اليه عبد الله بن طاهر وحاصره سنة (٢٠٩هـ / ٨٢٤ م) بكيسوم وضيق عليه مدة خمس سنين الى ان طلب الامان وارسل الى المأمون سنة (٢١٠ هـ / ٨٢٥ م)[2] . والامر الجوهري في حركة نصر انها حركة قومية انتصف للامين باعتباره عربياً وقد عبر نصر عن ذلك بقوله : « ان هواي في بني العباس وانما حاربتهم محاماة على العرب لانهم يقدمون عليهم العجم[3] » ، وقوله في ابن طاهر : « ويلي عليه هو لم يقو على اربعمائة ضفدع تحت جناحه يعني الزط ، كيف يقوى عليّ بجلبه العرب[4] » .

وفي الكوفة اتخذ التذمر اسلوبا آخر ، فقد خرج فيها سنة (١٩٩ هـ / ٨١٤ م) ، محمد بن ابراهيم بن اسماعيل الذي يدعي النسب لآل البيت ، ويدعو الى الرضا من آل محمد وقد ناصره مدبر امره ابو السرايا واسمه السري بن منصور[5] ، وسبب خروجه كما ادعى انتصافه لطاهر بن الحسين بعد ان صرف امره الى الحسن بن سهل بتأثير من الفضل بن سهل وزير المأمون المتحكم بأمره[6] . مما اغضب بني هاشم في العراق وهاجت الفتن في الامصار وتباينت آراء الناس ، وقد قتل ابو السرايا سنة (٢٠٠ هـ /

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٢٩٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص٣٩٠ .

(٣) نفس المصدر ، ص٣٠٨ .

(٤) نفس المصدر ، ص٣٨٩ .

(٥) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ، ص٤٤٥ .

(٦) مؤلف مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، ج٣ ، ص٣٤٥ .

٨١٥ م) ، فطيف برأسه في العسكر وبعث بجسده الى بغداد فصلب نصفين[١] . وخرج في اليمن سنة (١٩٩ هـ / ٨١٤ م) ، « ابراهيم بن موسى بن جعفر العلوي مظهراً الخلاف للمأمون وقد قتل خلقاً وسبا واخذ الاموال فسمي ابراهيم الجزار[٢] » .

وظهر في نفس السنة بمكة الحسين بن الحسن الافطس ، « وكان قد خرج من قبل ابي السرايا ، فأمر بثياب الكعبة فُجردت حتى بقيت حجارة مجردة ثم كساها بثوبين وجه بهما ابو السرايا من خز رقيق مكتوب عليه اسم ابو السرايا داعية آل محمد اما كسوتها القديمة فقد قسمت بين اصحابه العلويين واخذ جميع ما كان في خزانة الكعبة من مال وصادر الناس وكبس عليهم منازلهم حتى افقر خلقا[٣] » ، واخرج من بها من ولد العباس واتباعهم بعد ان اخذ جميع مالهم وهرب اكثر الناس وبلغ بهم الطمع « الى ان حكّوا الذهب الخفيف الذي في اسفل اساطين المسجد الحرام وقلعوا الحديد الذي على شباك المسجد[٤] » ، ولما بلغهم مقتل ابو السرايا ، بايعوا محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بالخلافة وسموه امير المؤمنين فأقام شهرا ليس له منها الا الاسم فلم يلبثوا الا يسيرا حتى اقبل اسحاق بن موسى اليهم فقاتلهم حتى هزمهم[٥] وفي بغداد عمد المأمون الى مبايعة علي بن موسى الرضى لولاية العهد وذلك سنة (٢٠٢ هـ / ٨١٧ م) [٦] ولقبه

---

(١) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤١٤ . الفخري في الآداب السلطانية ، ص١٧٨ .

(٢) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج٣ ، ص٣٤٧ .

(٣) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤٢٥ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٢٤٥ .

(٥) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج٣ ، ص٣٤٩ .

(٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٦ ، ص١٤٢ .

بالرضي وامر الناس بلباس الخضرة ، وترك السواد مما حدا بأهل بغداد من بني العباس الى مبايعة منصور بن المهدى ولقبوه بالمرتضى [1] . ولما ضعف عن الامر بايع اهل بغداد ابراهيم بن المهدى ا لاسود ولقبوه بالمبارك [2] ويقال سمي المرضي [3] . ومن بعده ابن اخيه اسحاق بن موسى بن المهدي [4] .

وعظم على الناس امر ترك السواد واتخاذ لباس الخضرة شعارا جديدا ، ووجدوا فيه دسيسة فارسية اوحى بها الى المأمون الفضل بن سهل [5] ، وقالوا لانرض بالمجوسي ابن سهل حتى نطرده [6] . واجمع الرأي العام الاسلامي سواء منهم من كان في بغداد او في خراسان ومناطق اخرى على كره لبس الخضرة [7] ، وقالوا للمأمون : « تركت لباس اهل بيتك ودولتهم ولبست الخضرة [8] » . وبالفعل رضخ المأمون لمطالب الرأي العام وعدل عن اتخاذ اللون الاخضر شعارا للدولة وخلع على قواده السواد وذلك سنة (٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) [9] .

---

١. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٢ ، ص٢ . النبراس في تاريخ بني العباس للكلبي ، ص٤٦ .

٢. الذهبي : العبر في تاريخ من غبر ، ج١ ، ص٣٣٥ .

٣. الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٦ ، ص١٤٢ .

٤. مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٣٥٠ . الكامل لابن الاثير ، ج٦ ، ص٣٢٦ .

٥. الطبري : ج٨ ، ص٥٥٥ .

٦. العيون والحدائق : ج٣ ، ص٣٥٢ .

٧. السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٠٧ .

٨. ابن طيفور : بغداد ، ص٢ .

٩. الطبري : ج٨ ، ص٥٧٥ .

تجرد الرأي العام للنكير على الفساق والشطار الذين آذوا النـاس اذى شديدا واظهروا الفسق وقطع الطرق واخذ الغلمان والنساء علانية ، فكانوا يجتمعون فيأتون الرجل فيأخـذون ابنه فيـذهبون بـه فلا يقـدر ان يمتنع[1] ، ويخبرونه بالمال او بذهاب الولد ، ويأتون القرى وينهبون ما قدروا عليه من مال ومتاع[2] واول من تطوع لقتالهم « رجل من ناحية الانبار يقال له خالد الدريوش فدعا جيرانه واهل بيته واهل محلته على ان يعاونوه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابوه الى ذلك وشد على من يليه من الفساق والشطار فمنعهم مما كانوا يصنعون[3] » . وبعده قام « رجل من اهل الحربية يقال له سهل بن سلامة الانصاري من اهل خراسان يكنى ابا حاتم ، فدعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه وعلق مصحفا في عنقه ثم بدأ بجيرانه واهل محلته فأتاه خلق كثير[4] » ، وكان في الاسواق وارباضها ومنع كل من يخفر ويجبي المارة وقال : « لاخفارة في الاسلام[5] » .

وفي سنة (٢٠٢ هـ / ٨١٧ م) ظفر ابراهيم بن المهدي بسهل بن سلام المطوع فحبسه ، لاجتماع عامة اهل بغداد حوله[6] .

انشغل الرأي العام الاسلامي سنة (٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) بأمور ثلاثة .

---

(١) الطبري : ج٨ ، ص٥٥١ .

(٢) الكامل : ج٦ ، ص٣٢٤ .

(٣) الطبري : ج٨ ، ص٥٥٣ .

(٤) الكامل : ج٦ ، ص٣٢٥ .

(٥) الخفارة انه كان يأتي الرجل بعض اصحاب البساتين فيقول : بستانك في خفري ، ادفع عنه من اراده بسوء لي في عنقك كل شهر كذا درهما ، الطبري ، ج٨ ، ص٥٥٢ .

(٦) ابن الاثير : الكامل : الكامل ، ج٦ ص٣٤٥ .

فقد قبض فيها على ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب الامام المعروف بابن عائشة ومحمد بن ابراهيم الافريقي ومالك بن شاهي ، وغيرهم ممن كان يسعى لبيعة ابراهيم بن المهدي وكانوا قد اتعدوا ، ان يقطعوا الجسر اذا خرج الجند يتلقون نصر بن شبث[1] ، فأودعوا سجن المطبق ، ثم انهم شغبوا فيه وارادوا نقب السجن والخروج وانهم دسوا في حرق سوق العطارين والصيارفة والصفارين واسواق اخرى في بغداد[2] . فأمر المأمون بضرب اعناقهم وصلب ابن عائشة فكان اول عباسي صلب في الاسلام[3] . والامر الاخر الذي شغل الرأي العام الاسلامي هو زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل لكثرة ماصرف على هذا الزواج من مبالغ قدرت بما يزيد على خمسين مليون درهم[4] ، والحدث الثالث هو ان احد جند الخليفة قد قبض على ابراهيم بن المهدي وهو متنقب في زى امرأة[5] ، فكان ذلك مدعاة للسخرية والتذمر .

شهد القرن الثالث الهجري حركة بابك الخرمي التي اعارها الرأي العام الاسلامي جل اهتمامه ، وتعاطف معها نفر من الناس لسبب او لاخر ، في حين نقمت عليها جماعة العامة وجمهور المسلمين في بغداد وخارجها ووجدوا فيها خروجا على الدين وضربا من الكفر ، كما وجدت فيها السلطة العباسية دعوة الى الانفصال وتحريضا على تقويض دعائم اركانها ، واعتبرها العرب رغبة في اعادة ملك فارس . والبابكية : « طائفة من الناس بايعوا رجلا يقال لهُ

---

(١) الطبري : ج٦ ، ص٣٩٠ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص٩٧ .

(٣) الكامل : ج٦ ، ص٣٩٢ .

(٤) ابن طيفور : بغداد ، ص١١٥ .

(٥) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص٤٨ .

بابك الخرمي ، وكان خروجه في بعض الجبال بناحية اذربيجان في ايام المعتصم[1] » او قبل ذلك[2] .

والحركة مع انها كما قلنا ، طموح فارسي في تصور العرب ومجاهرة بالانفصال في نظر السلطة العباسية ، ودعوة اباحية ذات جذور وثنية في رأي المسلمين ، فان قطاعات لابأس بها من الرأي العام الاسلامي وغير الاسلامي قد تعاطفت مع هذه الحركة ، فالامم الاخرى من غير العرب ولاسيما الفرس ، وجدت فيها خلاصا من الحكم العربي يتيح لهم اعادة امجادهم السالفة .

والامبراطورية الرومانية رأت فيها عامل هدم وضعف للدولة العباسية ، وفرصة قد تمنحهم النصر والغلبة وحصر المد الاسلامي . وهذا واضح في مساعدة امبراطور الروم توفيل بن ميخائيل لبابك . فقد بادر توفيل هذا الى « الايقاع بأهل زبطره فاسرهم وضرب بلدهم وسبى من المسلمات اكثر من الف امرأة[3] » وذلك عندما ساءت احوال خليفة بابك على يد الجند العباسي . ويرى الطبري[4] : « ان هذا الموقف المعادي رسخ في ذهن المعتصم حرب الروم وفتح حصون عمورية بعد الانتهاء من حرب بابك مباشرة » .

---

(1) الغزالي : فضائح الباطنية ، ص١٤ .

(2) ذكر ابن الجوزي في كتابه : تلبيس ابليس ، ص١٠ : « ان خروج البابكية كان سنة ٢٠١ هـ » ، اما المسعودي في كتابه : التنبية والاشراف ص٣٠٥ فقد اعتبر « خروجه سنة ٢٠٠ هـ في خلافة المأمون » .

(3) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٤٧٩ .

(4) الطبري : ج٩ ، ص٦٧ .

استهوت مبادىء البابكية[1] ، الدينية والاجتماعية ، عددا من الناس : كما استأثرت باهتمامات قطاعات من الرأي العام الساخط على بعض مظاهر الظلم الاجتماعي والتزمت الديني ، وصمهم الغزالي بالاباحية بقوله[2] : « ان لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفؤون سرجهم وشموعهم ، ثم يتناهبون النساء ، فيثب كل رجل الى امرأة فيظفر بها ويزعمون ان من استولى على امرأة استحلها بالاصطياد ، فان الصيد من اطيب المباحات » . كما عرفوا بالمرونة والتساهل في اقامة الشعائر والفرائض فهم « يتظاهرون باتيانها ولكنهم لايصلون في السر ولايصومون في شهر رمضان ولايرون جهاد الكفرة[3] » .

ولما تعاظم امرهم وجه المعتصم « العساكر لمحاربتهم وقبله فعل المأمون سنة (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م)[4] » ، وكان آخرها « الجيش الذي ارسله المعتصم سنة (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) بقيادة الافشين الذي التقى بجيش بابك سنة (٢٢٢هـ / ٨٣٦ م) ، فهزمه هزيمة منكرة واخذ بابك اسيرا الى المعتصم سنة (٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) الذي امر بقطع اطرافه وصلبه[5] » .

المتتبع للاحداث في زمن المعتصم يجد ان خطر الخرمية كان يحدق بالدولة ، وان المعتصم نفسه قد احتاط لهذا الخطر ببنائه سامراء ، قال مرة لابي

---

(١) « والبابكيه ينسبون اصل دينهم الى امير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين ويزعمون ان اباه كان من الزنج وامه بعض بنات ملوك الفرس ويزعمون ان شروين كان افضل من محمد ومن سائر الانبياء » .

ـ البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص٢٦٩ . وكذلك فضائح الباطنية للغزالي ص١٥ ـ ١٦ .

(٢) الغزالي : فضائح الباطنية ، ص١٥ .

(٣) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص٢٦٩ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٤٤١ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٥٥ .

الوزير احمد بن خالد : « اشترلي بناحية سامراء موضعا ابنِ فيه مدينة ، فاني اتخوف ان يصيح هؤلاء الخرمية صيحة فيقتلوا غلماني[1] » . والخرمية وصفهم ابن الاثير « اصحاب ليل[2] » .

وتعتبر حركة الزنج التي قام بها العبيد السود المسخرون للعمل في اقطاعيات البصرة في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، من الثورات التي استأثرت بأهتمام الرأي العام الاسلامي مدة تزيد على اربع عشرة سنة (٢٥٥ / ٨٦٨ ـ ٢٧٠ / ٨٨٣[3]) ، وقد دعا لها علي بن محمد الذي ظهر في فرات البصرة مدعيا النسب الى الامام علي (رض) ، وتنقل في البحرين وبغداد وسامراء والبصرة[4] ، وفيها عمد الى راية كتب فيها بحمرة وخضرة الآية : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله[5] » ، واتخذها شعارا له ، وكتب اسمه واسم ابيه وعلقها في رأس مرادي وخرج في السَحَرِ يدعو العبيد السود لمساندته ، فكان اول من اجتمع عليه العبيد الشورجيون[6] وآخرون وقد جمعهم وكون منهم جيشا كبيرا هدد به السلطة العباسية .

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص١٧ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٤٥٩ .

(٣) السامر : ثورة الزنج ، ط٢ ص٧٢ . ومواضع اخرى من الكتاب .

(٤) الطبري : ج٩ ، ص٤١٠ .

(٥) سورة التوبة : الآية ١١١ .

(٦) الشورج نوع من الاملاح تغطي اراضي العراق السبخة ، والعبيد الشورجيون طائفة من الزنج انتشروا حول انهار البصرة وعملهم جمع الشورج في اكوام .

السامر : الزنج ، ص٣٤ .

لقد قاسى الزنج وجند الدولة العباسية الامرين ، حتى ان بعض المؤرخين ، قدر عدد من قتل من كلا الطرفين بـ « الف الف وخمسمائة الف[1] » ، ولايهمنا معرفة عدد من قتل بالضبط بقدر ماتهمنا الآثار والنتائج السيئة المتمثلة في الاضرار المادية كالقتل الجماعي والتخريب العشوائي ، وما اصاب الزراعة والتجارة من شلل تترتب عليه عجز في موارد بيت المال وارتفاع في الاسعار وقلة في الاقوات[2]

تابع الرأي العام الاسلامي الاحداث التي رافقت حركة الزنج ، وعاشها بعض الناس وتضرروا منها .

في حين عصرت قرائح الهجائين منهم في سب وشتم الزنج وصاحبهم ، هذا الشاعر يحيى بن محمد الاسلمي يقول : لما وصله نبأ مقتل صاحب الزنج [3] :

اقولُ وقد جاءَ البشيرُ بوقعةٍ ... اعزت من الاسلامِ ما كان واهيا
جزى الله خير الناس للناس بعدما ... ابيح حماهم خير ما كان جازيا

وقال يحيى بن خالد مادحا الخليفة ومباركا الانتصار[4] :

يابن الخلائف من ارومة هاشم ... والغامرين الناس بالافضال
افنيت جمعَ المارقين فأصبحوا ... متلددين قد ايقنوا بزوال
صارَ الموفق بالعراق فأفزعت ... من بالمغاربِ صولة الابطال

---

[1] ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص٤٨ . وفي كتاب الفخري في الآداب السلطانية ، ص٢٠٣ ، ذكر عدد القتلى بالفي الف وخمسمائة الف انسان .

[2] السامر : ثورة الزنج ، ص١٧٦ .

[3] ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٤٤

[4] الطبري : ج٩ ، ص٦٦٤ ـ ٦٦٥ .

وقال اخر يعرف الزنج ساحرا[1] :

اين نجوم الكاذب المارق   ما كان بالطب ولا الحاذق

لم تنته حركة الزنج وافكارهم بمقتل صاحبهم وانخذال امرهم ، فقد كان لهم بواسط سنة (٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م) حركة مضادة ، اذ تجمعوا وصاحوا : انكلاى يامنصور ! وكان انكلاى والمهلبي وسليمان بن جامع والشعراني والهمداني من قواد الزنج ، محتبسين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام ، فلما سمع الموفق بشغبهم ، امر احد غلمانه بضرب اعناق زعمائهم المحبوسين[2] .

والباحث في حركات القرن الثالث الهجري الاجتماعية ، لايغفل واحدة من كبريات تلك الحركات التي شغلت المجتمع الاسلامي لوقت طويل وعرفت بحركة القرامطة[3] . واستأثرت بأهتمام الرأي العام آنذاك الذي انقسم ازاءها بين مؤيد يجد في نحلتهم تسامحا وعدلا ، ومعارض رماهم بالالحاد والتأثر بآراء ومذاهب زرادشت ومزدك الفارسية[4] .

---

(١) نفس المصدر ، ج٩ ، ص٦٦٤ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٤٢٠ . الطبرى ، ج١٠ ، ص١١ .

(٣) لتسميتهم بالقرامطة قولان : احدهما نسبة الى رجل من خوزستان قد قدم سواد الكوفة ونزل على رجل يقال له كرميتة لحمرة في عينيه وهو بالنبطية حاد العينين ، والقول الثاني نسبة الى رجل من دعاتهم يقال له حمدان بن قرمط وهو من سواد الكوفة ويميل الى الزهد ، وقد اخذ تعاليمه من احد دعاة الباطنية .

ابن الجوزي : تلبيس ابليس ، ص١٠١ .

الطبري : ج١٠ ، ص٢٣ ـ ٢٥ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص١١٠ .

تسلل القرامطة الى اهوية الناس بطرق وبرامج مغرية ، فقد منوا الناس بأصلاح احوالهم الاقتصادية السيئة ووعدوهم بتوفير الحياة السعيدة والعيش الرغيد وهذا واضحٌ في زعم داعيتهم وهو في الكوفة بقوله : « وغرضي ان ادعوا اهلها من الجهل الى العلم ومن الشقاوة الى السعادة وان استنفذهم من ورطات الذل والفقر واملكهم مايستغنون به عن الكد والتعب[1] » .

وقد بالغ القرامطة في فرض الضرائب العديدة على اتباعهم التي كانت تحمل الى « بيت الجماعة » وتوزع منه الاموال على المحتاجين من القرامطة حتى لم يبق بينهم فقير[2] .

استمر القرامطة يخرجون هنا وهناك ويدعون لدعوتهم في العراق وبلاد الشام ومصر وبلاد الحجاز ، وكانت تلحق بهم الضربة تلو الضربة على يد جند الخلافة العباسية ، ويرافق ذلك عادة اضرار تصيب السكان الآمنين والمرافق العامة ، فكثيرا مايرحل الناس عن منازلهم وقراهم اذا سمعوا بقدوم القرامطة كالذي حدث في سواد الكوفة سنة (٢٨٩ هـ / ٩٠١ م[3]) . ولاتخلو حركتهم من اسلوب العنف وهذا مايؤخذ عليهم الى جانب امور اخرى ، من ذلك ان احد رؤسائهم المدعو زكرويه بن مهرويه القرمطي ، قد اوقع بقافلة خراسانية تريد الحج وقتل منهم زهاء عشرين الف رجل واخذ منهم مالا بقيمة الف دينار[4] وذلك سنة (٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م) . مما جلب نقمة الرأي العام

---

١. الغزالي : فضائح الباطنية ، ص١٣ .

٢. بندلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ص١٦٣ .

٣. المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٧ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٨٦ .

٤. ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٥٤٩ .

الاسلامي عليهم وطالب الكثير من المسلمين الخليفة بالانتقام منهم .

لم ينته امر القرامطة بأنتهاء القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي بل استمر بعض منهم يدعون لدعوتهم في حين واضب الخلفاء العباسيون على ملاحقتهم ومطاردتهم .

ب / المنازعات الفكرية والدينية :

تعتبر محنة القرآن ، من المسائل المهمة التي شغلت الرأي العام الاسلامي فترة من الزمن وقد بدأت في عهد المأمون واستمرت في ايام المعتصم والواثق الى ان « نهى المتوكل عن القول بخلق القرآن والجدل في الكلام[1] » . فقد عمد المأمون اول دخوله بغداد الى جمع الفقهاء واهل العلم فأجتمع اليه منهم اربعون رجلا ، وجلس يسألهم في مسائل الشريعة والخلافة ، وتوالت مثل هذه المناظرات والمناقشات مما يدل على انه « اباح الكلام واظهر المقالات[2] » وجاهر بآراء تخالف آراء علماء اهل السنة وجمهور كبير من العوام ، كالقول بأفضلية الامام علي (رض) على غيره من الخلفاء ، وهذا الهوى عند المأمون ظاهر في توليته العهد لعلي بن موسى الرضا العلوي[3] ، الذى وجد فيه العلويون ومن شايعهم من المسلمين ، عملا محمودا يصلح ان يكون اساسا للتفاهم مع العباسيين .

لقد كان لهذه المناظرات نتائج سلبية ادت الى انقسام الرأي العام الاسلامي وظهور المجادلات الكلامية والمنازعات الدينية ، واستمر هذا الحال

---

(1). السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص١٣٨ .

(2). الخضري : محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ـ الدولة العباسية ـ ص٢١٠ .

(3). الطبري : ج٨ ، ص٥٥٤ .

مدة تزيد على الاربع سنوات الى ان عمد المأمون الى فرض سلطاته وتعميم رأيه في ان القرآن مخلوق[1] .

عندما كتب المأمون الى اسحاق بن ابراهيم والي بغداد من قبله كتابا فيه آيات وأدلة ترجح ماذهب اليه من ان القرآن مخلوق ، وامره بأمتحان القضاة والمحدثين والفقهاء في ذلك[2] . واراد الخليفة بهذا ان يستطلع رأي الناس ، وبالفعل جمع اسحاق نفرا منهم كبشر بن الوليد وعلي بن ابي مقاتل واحمد بن حنبل وابي الحسين الزيادي وآخرين ، فأجابوا جميعا ان القرآن غير مخلوق ، وان أمرنا امير المؤمنين بشيء سمعنا واطعنا كما قال علي بن ابي مقاتل[3] . ولنأخذ نموذجا لاجاباتهم .

قال اسحق لبشر بن الوليد « ماتقول في القرآن ؟ فقال : قد عرفت مقالتي لامير المؤمنين غير مرة : قال فقد تجدد من كتاب امير المؤمنين ماترى ، فقال : اقول القرآن كلام الله ، قال : لم اسألك عن هذا ، مخلوق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ، قال : مالقرآن شيء ؟ قال : هو شيء ، قال فمخلوق ؟ قال ليس بخالق ، قال : ليس اسألك عن هذا مخلوق، هو ؟ قال : ما احسن غير ماقلت وقد استعهدت امير المؤمنين الا اتكلم فيه وليس عندي غير ماقلت لك[4] » . فأخذ اسحاق بن ابراهيم رقعة ، كانت بين يديه فقرأها عليه ووقع عليها بشر ، ومثل ذلك فعل مع الآخرين وارسل اجاباتهم الى المأمون كما طلب[5] .

---

(١) مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، ج٣ ، ص٣٧٦ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٤٦٨ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٦ ، ص٤٢٥ .
(٤) الطبري : ج٨ ، ص ٦٣٧ .

(٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣١٠ .

كتب المأمون كتابا آخر الى عامله ببغداد : « ان اشخص سبع نفر منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي وابو مسلم مستجلي يزيد بن هارون ويحيى بن معين وزهير بن حرب ابو خيثمة واسماعيل بن داود واسماعيل بن ابي مسعود واحمد بن الدوزقي فاشخصوا اليه فامتحنهم وسألهم عن خلق القرآن فأجابوا جميعا ان القرآن مخلوق فأشخصهم الى مدينة السلام [1] » .

وبعذ تسعة ايام ورد كتاب المأمون بالرد على واحد من المعارضين كما جاء في اجابتهم المحررة في كتاب اسحاق الى المأمون [2] . والملاحظ على اجابات المأمون اسلوب العنف ، والامر بأستعمال القوة فيمن نفى التشبه وقال بعدم الخلق فقد جاء في رده على بشر بن الوليد « فأن لم يتب فأضرب عنقه وابعث الي برأسه [3] » وعند ذلك اجاب القوم كلهم ، ان القرآن مخلوق الا اربعة وهم : احمد بن حنبل ومحمد بن نوح والحسن حماد سجاده وعبدالله بن عمر القواريري ، فقيدهم وأرصدهم ليبعث الى المأمون فأجاب في اليوم الثاني سجاده وفي اليوم الثالث القواريري واصر احمد بن حنبل ومحمد بن نوح وأمر بأرسالهما الى طرسوس فلما كانوا في بعض الطريق بلغهم موت المأمون فردوا الى الرقة ثم اذن لهم بالرجوع الى بغداد [4] .

استمر المعتصم والواثق في القول بخلق القرآن وامتحان الناس على ذلك فقد امر الواثق بأمتحان اهل الثغور ومن خالف ضرب عنقه [5] . واشترط لمن يفدى من المسلمين ممن كان بيد الروم امتحانا ، فمن قال : القرآن مخلوق

---

(1) ابن طيفور : بغداد ص١٨٧ .

(2) الطبري : ج٨ ، ص٦٤١ .

(٥) الكامل : ج٦ ، ص٤٢٧ .

(4) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٢٧٤ .

(5) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٥٣٢ .

فودى به واعطي دينارا ومن أبى ذلك تُرك بيد الروم[1] .

الذي يهمنا في محنة القرآن ، انعكاساتها وآثارها على الناس زمن بني العباس ، فقد تحرك ببغداد سنة (٢٣١ هـ / ٨٤٥م) قوم مع احمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي وجده مالك بن الهيثم احد نقباء بني العباس[2] ، وسبب ذلك ان احمد بن نصر كان يغشاه اهل الحديث واظهر الممانعة والخلاف لمن يقول بأن القرآن مخلوق وناصره في ذلك رجل يعرف بابي هارون السراج وآخر يقال له طالب[3] . وانهما اعطيا كل رجل ديناراً واتعدوا مع اصحابهم ليلة الخميس لثلاث خلت من شعبان ليضربوا بالطبل فيها ويثوروا على الواثق وكان احدهما في الجانب الشرقي من بغداد والآخر في الجانب الغربي[4] ، فقد اتفق ان اعطيا فيمن اعطيا رجلين من بني اشرس دنانير يفرقانها في جيرانهم فانتبذ بعضهم نبيذا واجتمع عدة منهم على شربه فلما ثملوا ، ضربوا بالطبل ليلة الاربعاء قبل الموعد بليلة فأكثروا ضرب الطبل فلم يجبهم احد فانكشف امرهم واعترف احدهم وهو عيسى الاعور ، فصيروا في الحبس وحمل ستة منهم الى الواثق وهو بسامرا[5] .

ومن نتائج هذه المحنة ماورواه التنوخي[6] : « من ان احد المعتزلة في البصرة قال : ان القرآن مخلوق بحضرة الغوغاء من العوام ، فوثبوا عليه وحملوه الى نزار الضبي والى البصرة ، فحبسه ، فأجتمع المعتزلة على ذلك وتجمع منهم

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص١٤٢ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٢٠ .

(٣) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ، ص٤٨٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٣٠٤ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٢١ .

(٦) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٢٠٨ .

اكثر من الف رجل وبكروا الى باب الامير ، وقال زعيمهم اسماعيل الصفار البصري المعتزلي : اعز الله الامير ، بلغنا انك حبست رجلا لانه قال : ان القرآن مخلوق وقد جئناك ونحن الف وكلنا يقول : ان القرآن مخلوق ، وخلفنا من هذا البلد اضعاف عددنا يقولون بمقالتنا فأما حبست جميعا مع اخينا او اطلقه معنا ، فأستجاب لهم الوالي تجنب حدوث الفتنة .

ومن المسائل الدينية التي شغلت الرأي العام واستأثرت بأهتمامه ونقمته احيانا ، موقف السلطة العباسية من العلويين الذين كانوا كثرة وفي الكوفة في الكرخ ببغداد ، ونواحٍ اخرى [1]، وقد حاول المأمون ارضاءهم والتقرب اليهم عندما عهد بالخلافة من بعده الى علي بن موسى الرضا [2] ، في حين ان المتوكل قد جاهرهم العداء ونكل بهم وبذلك خالف سيرة اسلافه من العباسيين ، فتذمر من سياسته هذه العامة من اهل بغداد ولاسيما الشيعة الذين جاهروا في شتمه والتعريض به على الحيطان والمساجد [3] .

وقد يكون هذا العداء الذي ابدأه المتوكل ضد العلويين بين الاسباب التي ادت الى مقتله على يد ابنه المنتصر وان كان بعض المؤرخين قد عزاه بالتخصيص الى البطانة المنحرفة التي احاطت به [4] .

ويذهب ابن الاثير [5] « الى ان هذه السيئة قد غطت جميع حسنات المتوكل وفي مقدمتها نهيه الناس عن القول بخلق القرآن » . ولما استخلف المنتصر سنة

---

(١) جرونيباوم : حضارة الاسلام ، ص٢٤٢ .

(٢) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٤٣٦ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٤٧ .

(٤) ابن الطقطقي : الفخري في الاداب السلطانية ، ص١٩٢ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٥٦ .

(٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) « كف عن مطاردة آل ابي طالب والبحث عنهم واجاز زيادة قبر الحسين وقبور آل البيت الاخرى وامر برد فدك الى ولد الحسن والحسين واطلق اوقافهم ومنع التعرض لشيعتهم(1) » ، وقد لقيت هذه الاجراءات هوى ورضى عند اهل بغداد ولاسيما الشيعة منهم . وقد عبر عن ذلك يزيد بن محمد المهلبي بقوله(2) :

ولقد بررت الطالبية بعدما ... ذموا زمانا بعدها وزمانا

ورددتَ الفة هاشم فرأيتهم ... بعد العداوة بينهم اخوانا

أنست ليلُهمُ وجُدتَ عليهم ... حتى نَسُوا الاحقاد والاضغانا

لو يعلم الاسلاف كيف برَرْتهمَ ... لرأوك اثقل من بها ميزانا

وممن جاهر بعدائه للسلطة العباسية ، ابو الحسين يحيى بن عمر العلوي كما يدعي النسب(3) ، الذي خرج الى الكوفة زمن المتوكل ، وفيها اجتمع عليه جمع الاعراب فأحتوى على بيت مالها ، وفتح سجنيها واخرج من فيها ثم انه خرج الى سوادها وتبعته جماعة من الزيدية(4) ، كما تولاه اهل بغداد من العامة وغيرهم ممن ينسب الى التشيع واحبوه اكثر من كل من خرج قبله من اهل البيت ، وايده الجزارون والمساجين من الخرمية(5) . وهكذا فقد حظيت حركة ابي الحسين برضى بعض المسلمين ، حتى ان احدا من الجزارين لم يجب الى طلب اخراج الحدقة والغلصمة من جسده ، وتوعدوا من يقدم على ذلك(6) .

(1) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٣٥ .

(2) نفس المصدر ، ج٤ ، ص١٣٦ .

(3) الطبري : ج٩ ، ص٢٦٦ .

(4) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٥٦٩ .

(5) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١١ ، ص٥ .

(6) الطبري : ج٩ ، ص٢٦٩ .

وبمقتله والتمثيل به ، عم الحزن في نفوس الناس ، واظهر العوام والخواص السخط والتذمر ، فقد دخل داود بن الهيثم ابو هاشم الجعفري على محمد بن عبد الله وهو في مجلسه يتقبل التهاني ، وقال له : ايها الامير : انك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله (ص) حيا لعزي به فلم يرد عليه محمد بشيء فخرج داود وهو يقول[1] :

يابني طاهر كلوه مريئا ان لحم النبي غير مرى

ان وترا يكون طلبه الله لوتر نجاحه بالحرى

وقال آخر[2] :

بكت الخيل شجوها بعد يحيى وبكاه المهندُ المصقولُ

وبكته العراق شرقاً وغرباً وبكاه الكتابُ والتنزيلُ

وهناك احداث محلية استأثرت بأهتمام الناس في المناطق التي وقعت فيها ، من ذلك ظهور رجل بسامراء سنة (٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م) يقال له محمود بن فرج النيسابورى الذي زعم انه نبى وانه ذو القرنين[3] . وكان يتردد على خشبة بابك وهو مصلوب ، وقد اتبعه على هذه الضلالة تسعة وعشرون رجلا ، وقد نظم لهم كلاما في مصحف زعم ان جبريل جاء به من الله[4] . فرفع امره الى المتوكل فأمر به فضرب بالسياط الى ان مات[5] ، وحبس اصحابه وكان بينهم شيخ ادعى النبوة بعده ثم انكرها بعد ضربه[6] .

---

(1) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٢٩ .

(2) نفس المصدر السابق .

(3) الطبري : ج٩ ، ص١٧٥ .

(4) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٣١٤ .

(5) الطبرى : ج٩ ، ص١٧٥ .

(6) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٥٠ .

وذكر الجوزي[1] : ان جماعة من اهل البدع الاعاجم قدموا بغداد فارتقوا منابر كانت للعوام فكانوا يقولون : ليس لله في الارض كلام وهل المصحف الاورق وعفص وزاج ؟ وان الله ليس في السماء فما زالوا كذلك حتى هان تعظيم القرآن في صدور بعض العوام وصار احدهم يسمع فيقول هذاهوالصحيح؟ والا فالقرآن شيء يجيء به جبريل في كيس فضج الناس بالشكوى من هذا الكفر الصريح .

وانشغل الرأي العام الاسلامي زمن المتوكل (٢٣٥ هـ / ٨٤٩م) بمشاكل دينية ولدتها سياسة المتوكل فقد سبق ان ذكرنا انه كان شديد الانحراف عن آل علي[2] ، كما انه ميز النصارى واهل الذمة عن سواهم من الناس بلباس الطيالسة العسلية والزنانير[3] . وبأخذ العشر من منازلهم وان كان المنزل واسعا صير مسجدا[4] . وبأبعادهم من الدواوين واعمال السلطان ولايتعلموا في كتاتيب المسلمين وان يجعل على ابواب دورهم صور شياطين من خشب مسموره تفريقا عن منازل المسلمين ، وان تسوى قبورهم مع الارض[5] ، فكانت هذه الاعمال مدعاة للسخرية وسببا في تذمر الرأي العام بأعتبار ان الاسلام دين يؤمن بالتسامح والمجادلة الحسنة[6] .

---

(١) صيد الخاطر ، ص١٩٤٥ .

(٢) الفخري : في الاداب السلطانية ، ص١٩١ .

(٣) الطبري : ج٩ ، ص١٧١ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٣١٣ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٥٣ .

(٦) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

الفصل الرابع

موقف الرأي العام من المؤسسات العامة

اولا ـ حالة الخلافة.

ا ـ مسألة الخلافة في نظر الرأي العام الاسلامي.

ب ـ حالة الخلافة في القرن الثالث الهجري.

ثانيا ـ موقف الرأي العام من القضاء.

ما من مسألة استأثرت باهتمام الرأي العام الاسلامي منذ وفاة الرسول (ص) ، كمسألة الخلافة ، فمع ان اجماع الصحابة قد انعقد على ضرورة وجود امام يخلف رسول الله ويتولى امور الامة[1] فانهم اختلفوا في امر تسمية الخليفة اول الامر ثم انعقد اجماعهم اخيرا على بيعة ابي بكر بن ابي قحافة (رض) الذي اجتمعت فيه كل صفات العربي المسلم[2].

ان ماحفل به اجتماع السقيفة من مناقشات واراء وما اعقبه من احداث جاء بالخلفاء الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي (رض الله عنهم جميعا) على التوالي ، قد دللت على انتصار المبدأ الديمقراطي الذي يمثله مبدأ الشورى الاسلامي والذي احتفظ في ثناياه ببعض ملامح القبيلة العربية .

ولامجال لذكر كل التفاصيل والملابسات التي تتعلق بالخلافة الاسلامية ، ولكن الذي يهمنا في هذا الصدد ان مسألة الخلافة قد شغلت الرأي العام انذاك ، وانها اي الخلافة قد شهدت تحولا جذريا بانتقال الخلافة الى بني امية ومن بعدهم الى بني العباس . ذلك ان الخلافة بعد الفترة الراشدة قد خرجت من اطارها الاختياري الذي يستلزم بيعة الامة ورضاها الى ملكيه وراثية تستند على نظام التوريث الذي ادخله معاوية بن ابي سفيان ذلك ان معاوية قد عهد الى ابنه يزيد في حياته[3] وهو ما يتعارض مع مبدأ الشورى الذي اكده الاسلام[4] .

---

(١) الطبري : ج٣ ، ٢٠٢ ، كما جاء على لسان ابي بكر في اول خطبة له عند توليه الخلافة .

(٢) القمي : كتاب المقالات والفرق ، ص٣ .

(٣) الفخري : الاداب السلطانية ، ص٨٥ .

(٤) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

حرص الخلفاء المتعاقبون من امـويين وعبـاسيين ، عـلى الاخذ بهـذا النظام ، بل ان بعضهم بالغوا في تطبيقه فمهدوا بالخلافة لاكثر من واحد من ابنائهم كالذي حدث عندما عهد عبد الملك بن مروان لابنيه الوليد ومن بعده سليمان[1] ، « فلما تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك عهد الى عمر بن عبد العزيز ثم من بعده الى يزيد بن عبد الملك[2] » ، ومن قبيل ذلك ما عهد به الخليفة المتوكل العباس لاولاده الثلاثة واحدا بعد الآخر وهم المنتصر والمعتز والمؤيد[3] ، فكان ذلك مدعاة للخصومة والانقسام ، وقد يعهد احدهم لابنه دون اخيه كما يحدث للامين عندما خلع اخاه المأمون وجعلها في ابنه موسى[4] ، فكان من نتائج ذلك قيام الفتنة بين الاخوين والتي راح ضحيتها الامين نفسه وانقسم الناس من اهل بغداد الى من هومشايع للامين ومؤيد للمأمون .

ومما استحدثه بنو العباس انهم تحالفوا مع الفرس في نشر الدعوة العباسية فلما قدر لهم الفوز بها جعلوا الوزارة من حصتهم[5] ، مما مهد لدخول العنصر الاجنبي الفارسي اولا والتركي فيما بعد . وبحلول سنة (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) وما بعدها ، اصبح للاتراك دور بارز في الدولة العباسية وبالتدريج تسنموا زمام الامور حتى لم يبق للخليفة الا الاسم والمركز الديني ظاهريا .

لقد استندت الخلافة العباسية الى نظرية الحق الملكي المقدس (The Divine Right of Kings) اي الحكم بتفويض من الله لا من الشعب ، وهي نظرية

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج٢ ، ص٥٥ .

(٢) الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص١٣ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٤٨٧ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٢٩١ .

(٥) الفخري : الآداب السلطانية ، ص١٢١ .

ادخلها الفرس وقد تمثلت بقول المنصور « انما انا سلطان الله في ارضه[1] » .

ب / حالة الخلافة في القرن الثالث الهجري :

آلت الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري الى الضعف والتدهور واصبحت في نظر الكثير من الناس مجرد منصب اسمي لاسلطة فعلية له ، قابل للتغيير والتبدل من وقت لآخر تبعا لمشيئة الامراء الاتراك اصحاب النفوذ الحقيقي ، وليس للخليفة الا مظاهر السلطة الدينية ، هذه السلطة التي بدأت تدريجيا تفقد تأثيرها السحري في نفوس الناس ، وهو امر اقتضته الصفة الزمنية الغالبة على الخلافة العباسية .

لقد جرت المظاهر الجديدة التي استحدثت او طورت في العصر العباسي ، كنظام الوراثة ، والعهد لاكثر من واحد ، ومظاهر الترف والبذخ والابهة التي لم تكن لتعرفها الخلافة الراشدية ، ودخول العنصر الاجنبي في الحياة العامة ، والمظهر الاخير في نظري اهم كل المظاهر فعالية ، فقد كان لها دور بارز في احتدام الصراع العنصري وفي قيام الفتنة بين الامين والمأمون ، هذه الفتنة التي غذى اوارها الفرس ، فقد قيل ان المأمون « عزم على اجابة الامين في خلع نفسه والموافقة على مبايعة موسى بن الامين الا ان الفضل بن سهل وهو فارسي متنفذ خلا بالمأمون وشجعه على الامتناع وضمن له الخلافة وقال هي في عهدتي ونهض ابن سهل لاستمالة الناس وضبط الثغور[2] » ، وبمحاصرة بغداد من قبل جند المأمون وجلهم من اهل خراسان ، ساءت احوال بغداد وفقد الامين السيطرة على امور الدولة وفي آخر ايامه حاول التودد الى الرأي العام وكسب رضاه ، خطب مرة في جمع من قواده وجنده قائلا : « فقد علمتم غفلتي كانت ايام الفضل بن الربيع وزير على ومشير فمادت به

---

(١) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص٤٩ .

(٢) الفخري : الآداب السلطانية ، ص١٧٣ .

الايام بما لزمني من الندامة في الخاصة والعامة الى ان نبهتموني فانتبهت . . . . .
واجتهدت ـ علم الله ـ طلب رضاكم بكل ماقدرت عليه واجتهدتم ـ علم الله ـ في مساءتي في كل ماقدرتم عليه[1] » . وهو في سجنه قال لصاحب مظالمه : « لاتقل لوزرائي الا خيرا فمالهم ذنب ولست بأول من طلب امرا فلم يقدر عليه[2] » . وهي عبارة مصداقة لحال الخلافة في عهده وعهد بعض من اسلافه . لقد شغلت الفتنة بين الامين والمأمون الرأي العام الاسلامي ردحا من الزمن ، وكان لها نتائج سيئة جدا على المجتمع الاسلامي وقد سبق ان اوضحنا بعض تلك النتائج في مكان سابق من هذا البحث[3] .

وصف ابن كثير بغداد سنة (١٩٧ هـ / ٨١٢ م) والفتنة على اشدها قائلا[4] : « والناس في بغداد في قلاقل واهوية مختلفة وقتال وحريق وسرقات وساءت بغداد فلم يسبق فيها احد يرد عن احد كما هي عادة الفتن » وفي ذلك قال احدهم[5] .

من ذا اصابك يابغداد بالعين الم تكوني زمانا قرة العين

لما تولى المأمون الخلافة رسميا سنة (١٩٨هـ / ٨١٣م) كانت بغداد قد وجمت لما حدث فيها ، ولولا وضوح نهج الخليفة الجديد ومقدرته السياسية

---

(١) الطبري : ج٨ ، ص١٩٨ .

(٢) نفس المصدر ج٨ ، ص٤٨٦ .

(٣) يمكن مراجعة ص١٤٨ وما بعدها .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٢٣٩ .

(٥) نفس المصدر ، ج١٠ ، ص٢٣٨ .

واستمالته العلويـين بمبايعـة علي بن مـوسى الرضـا للخلافـة من بعده[1] ، لاستمرت الفتنة تاريخا اطول ولكان لها نتائج اسوأ ، فقد عرف المأمون بحسن معاملته للرعية ومناظرته للفقهاء منهم وسماع شكواهم ، وكان يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ، جاءه مرة رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله في يده فوقف على طرف البساط وقال : السلام عليكم ، فرد عليه المأمون ، فقال : اخبرني عن هذا المجلس الذي انت فيه ، جلسته بأجتماع الامة ام بالمغالبة والقهر ؟ قال : لابهذا ولابهذا ، بل كان يتولى امر المسلمين من عقد لي ولاخي فلما صار الامر الي علمت اني محتاج الى اجتماع كلمة المسلمين في المشرق والمغرب على الرضابي . . . حياطة للمسلمين لي ان يجمعوا على رجل يرضون به فأسلم اليه الا فمتى اتفقوا خرجت له من الامر ، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه وذهب[2] ، كما عرف عنه انه كان في بعض الاحيان لايعير اهتماما للشكاوى البسيطة ذات الطابع الشخصي وخاصة التي لايعرف اصحابها ورأيه في ذلك ان هذه الصغائر لو اعيرت اهتماما لتراكمت واصبحت كبائر وجلبت نقمـة ورأيا عاما متذمرا ، « رفع اليه ان رقاعا قد وجدت في طرقات بغداد فيها شتم للسلطان فقال : هذا امر ان اكبرناه كثرغمنـا به واتسـع علينا حـرقه وامـر اصحاب اخباره بتمزيق مثل هذه الرقاع متى وجدوها قبل ان ينظروا فيها »[3] . وقال لاخيه قبل وفاته : « . . . . لاتغفل امر الرعية ، الرعية الرعية ! العوام العوام فان الملك بهم وبتعهدك المسلمين والمنفعة لهم الله الله فيهم وفي غيرهم

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية ، ص١٧٢ ، ص١٧٦ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٢٧ .

(٣) ابن طيفور : بغداد ، ص٣٧ .

من المسلمين[1] » .

لقد اظهرت المناظرات التي امر المأمون بعقدها لعلماء بغداد ، تباين آراء الناس في امور دينية كثيرة[2] ، وهو في ذلك يمهد للقول بخلق القرآن وقد ذكر انه بادىء الامر عزم على فرض هذه الفكرة على الناس فرضا ولكن الذي حال دون ذلك مشورة له من يحيى بن اكثم ويزيد بن هارون قائلين له : اترك العامة على معتقداتها ولاتتدخل في شؤون دينها[3] . ومسألة اخرى راعى المأمون فيها رأى الناس واهويتهم وهي انه لما هم بلعن معاوية اشير عليه : بأن العامة لاتحتمل هذا والرأي ان تدع الناس على ما هم عليه ولاتظهر لهم انك تميل الى فرقة من الفرق فان ذلك اصلح في السياسة واحرى من التدبير[4] » « واكتفى المأمون بنزع المقاصير من المساجد الجامعة وقال هذه سنة احدثها معاوية[5] » .

وبحلول سنة (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) ومجيء المعتصم الذي كانت امه تركية تدعى ماردة[6] ، وميله للعنصر التركي وجمعه اياهم من شتى الامصار بالشراء وبطرق اخرى حتى شكل منهم جيشا وحرسا خاصا يثق بهم ، مما اثار تذمر اهل بغداد لكثرة ما كان يحدث بينهم من احتكاكات ومنازعات[7] ، حتى ان احد شيوخ بغداد اعترض موكب المعتصم وقال له : « يا ابا اسحاق لاجزاك الله خيرا عن الجوار . جاورتنا مدة فرأيناك شر جار ، جئتنا بهؤلاء العلوج من غلمانك الاتراك فأسكنتهم بيننا ، فأيتمت بهم صبياننا وأرملت نساءنا لنقاتلك

---

(١) الطبري : ج٨ ، ص٦٤٨ .
(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص٤٢ .
(٣) احمد عبد الجواد الدومي : احمد بن حنبل ، ص١١٦ .
(٤) ابن طيفور : بغداد ، ص٥٠ .
(٥) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ، ص٤٦٨ .
(٦) المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص٣٠٥ .
(٧) سبق ان اوضحنا ذلك في مكان سابق من هذا البحث ص١٢٩ ومابعدها .

بسهام السحر يعني الدعاء[1] » ، فايقن المعتصم ما آلت اليه الاحوال ووجد من الصلاح الابتعاد بجنده الاتراك ، فلجأ الى بناء سامراء واسكنهم متخذا منها حاضرة للدولة العباسية بدل بغداد ، ولم يكن ذلك الا حلا مؤقتا لم يرتضه اهل بغداد وخاصة العرب منهم الذين اعتبروه مناصرة للاتراك . وخروجا عن تقاليد الدولة .

تدخل الاتراك بصورة فعلية في شؤون الدولة وفي امر اختيار الخليفة وذلك بعد وفاة الواثق الذي لم يعهد بالخلافة لاحد ، مما مهد للامراء الاتراك فرصة مبايعة المتوكل ، فقد روى الطبري انه لما توفي الواثق سنة (٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م)[2] : « حضر الدار احمد بن ابي دؤاد وايتاخ ووصيف وعمر بن فرج . . . واخرون فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق وهو غلام امرد فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة صافية فاذا هو قصير فقال وصيف : اما تتقون الله ، تولون مثل هذا الخلافة وهو لايجوز معه الصلاة . . . . . . الى ان جيء بجعفر المتوكل وهو خائف ان يكون الواثق لم يمت بعد الى ان رآه بعينه مسجى ثم البسه بن ابي دؤاد الطويلة وعمه وقبله بين عينيه وقال : السلام عليك ياامير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، واختاروا له لقب المتوكل[3] » : وقد وصفت ايام المتوكل بالامن والرخاء ، فقد اسقط المكوس ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية وفي ذلك يقول المعتز[4] :

اما ترى ملك بني هاشم عادَ عزيزاً بعدما ذلا
ياطالباً للملك كنْ مثله تستوجب الملك والا فلا

(١) الفخري : الآداب السلطانية ، ص١٨٨ .

(٢) الطبري : جـ ٩ ص١٥٤ .

(٣) الطبري : جـ ٩ ص١٥٥ . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد جـ ٧ ص١٦٥ ـ الكتاب العربي .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٥٨ .

ونهى عن الكلام في القرآن واطلق من كان في السجون من اهل البلدان ومن اخذ في خلافة الواثق فأطلق سراحهم جميعا حتى انه عهد الى بعضهم بالوظائف « فقد ولى يحيى بنِ خاقان ديوان الخراج وموسى بن عبد الملك ديوان الضياع وكانا محبوسين[1] » . وغالى بعضهم فأعتبره ثالث الخلفاء بعد ابي بكر وعمر بن عبد العزيز[2] ولم يؤخذ عليه الا عداؤه لآل البيت ومطاردته[3] لهم ومع ماعرف به عهد المتوكل من رخاء وأمن الى حد ما[4] ، فان انقسام الامراء الاتراك على انفسهم بين مؤيد للخليفة ومعارض له وكان من بين الاخيرين ابنه المنتصر[5] ، الذي تمكن وبمساعدة القاعدة الاتراك من قتله شر قتله سنة ٢٤٧ هـ / (٨٦١ م) فانتقلت الخلافة الى ابنه المنتصر محمد بن جعفر[6] ، وبحلول هذا منيت الخلافة العباسية باكثر من طعنة وقد اثقلتها الاحداث المتكررة التي ان دلت على شيء فانما تدل على ضعف هيبة الخليفة وسيطرة الامراء الاتراك على زمام الامور ، اما دعواهم بالحرص على الخلافة ، وتظاهرهم بالانقياد لامر الخلفاء ، فلم يكن منهم الا مجاملة لمشاعر واحاسيس الرأي العام الاسلامي ، ولعل ماقاله المعتز من شعر يوضح الصورة التي وصلت اليها الخلافة[7] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ، ص٤٨٤ .

(٢) الخطيب البغدادي : / تاريخ بغداد ، ج٧ ص ١٧٠ .

(٣) الفخري) الآداب السلطانية ، ص١٩١ - ١٩٢ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٦٩ .

(٥) الفخري : الآداب السلطانية ، ص١٩٢ .

(٦) المسعودي : التنبية والاشراف ، ص٣١٤ .

(٧) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٣٦٩ . في تاريخ الوزراء للعباس ص٢٤١ ذكر الشطر الاول من البيت « خليفة مقتسم . . . » ولم يذكر قائله وفيمن قيل .

وفي مروج الذهب ج٤ . ص١٤٥ ان هذين البيتين في المستعين بالله ولم يذكر اسم قائلها .

خليفةٌ في قفصٍ بين وصيف وبغا
يقولُ ماقالا له كما تقولُ الببغا

هذه الحال السيئة لم ترضِ الخليفة المستعين بالله نفسه ، فلما لم يجد وسيلة لايقاف تدخلات الاتراك في شؤون الدولة عمد على الهرب الى بغداد ، فلحق به بعض امراء الاتراك يعتذرون اليه ويطلبون منه العودة فلم يجبهم الى ذلك وقال لهم قوله المعروف « انتم اهل بغي وفساد واستغلال للنعم . . . .[1] » فعمدوا الى اخراج المعتز بالله من السجن وعاهدوه على قتال المستعين وا خذ البيعة منه ، ازاء ذلك انقسم الاتراك ، من كان منهم في بغداد مع المستعين ومن كان في سامراء مع المعتز ، وجرت بين الفريقين وقعات ، قتل في وقعة واحدة منها نحو الاربعين الف من البغاددة[2] ، حتى ضعف امر المستعين وتخلى عنه اقرب الناس اليه كمحمد بن عبد الله بن طاهر ، فأضطر الى قبول الصلح وخلع نفسه سنة (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م)[3] ، فبايعوا المعتز بالله أبا عبد الله بن محمد بن المتوكل ورضوه خليفة[4] ، وفي ذلك قيل[5] :

ان الامورَ الى المعتز قد رجعت والمستعين الى حالاتهِ رجعا

اندفع المعتز بالله راغبا في اصلاح امور الدولة واعادة هيبة الخلافة ، خطب مرة في جماعة بعد توليته : « اما تنظرون الى هذه العصابة التي ذاع نفاقهم وغار شأوهم ، الهمج الطغام والاوغاد الذين لامسكة بهم ولا اختيار

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص٢٨٣ .

(٢) الذهبي : العبر في خير من غبر ، ج٢ ، ص٢ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٦٢ .

(٤) الطبري : ج٩ ، ص٢٨٣ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤٠ ، ص١٦٩ .

لهم ولاتمييز معهم ، قد زين لهم تقحم الخطأ سوء اعمالهم . . . ولايصلح الا رجل قد تكاملت فيه خلال اربع : حزم . . . وعلم . . . وشجاعة . . . وجود[1] » ، فلما احس الاتراك بنواياه هذه تحججوا عليه قائلين : اعطنا ارزاقنا ، وهم يعرفون مسبقا خلو يديه وافلاس خزائنه ، فثاروا عليه وقتلوه بالدبابيس[2] ، وفي ذلك قال الشعراء وهم يعبرون عن لسان حال الناس[3] :

قتلوه ظلماً وجوراً فالفوه   كريم الاخلاقِ غير جزوعِ
اصبح التركُ مالكي الامرَ والعا   لم ما بين سامع ومطيع

بمقتل المعتز بالله بويع المهتدي بالله ابو عبد الله محمد بن الواثق ، وقد كان « احسن الخلفاء مذهبا واجملهم طريقة وسيرة واظهرهم ورعا ، وجلس للمظالم وتشبه بعمر بن عبد العزيز[4] » ، وفي عهده تبرم بابك التركي وكان كلوما غشوما فأمر المهتدى بقتله[5] ، فشغب عليه الاتراك وهاجوا وأخذوه اسيرا وعذبوه ليخلع نفسه فلم يفعل فخلعوه وقتلوه سنة (٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م)[6] .

استمرت الخلافة العباسية على هذا المنوال ، العوبة بيد الامراء الاتراك يولون ويعزلون من شاءوا ، وقد انتعشت الخلافة بصورة مؤقتة بين سنة (٢٥٦ ـ ٢٩٥ هـ / ٨٦٩ ـ ٩٠٧ م) وهي الفترة التي تشمل خلافة المعتمد

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص٣٦٦

(٢) الذهبي : العبر في خير من غبر ج٢ ، ص٩ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٧٩ .

(٤) الفخري : الآداب السلطانية ، ص١٩٩ .

(٥) النبراس في تاريخ بني العباس ، ص٨٨ .

(٦) الطبري : ج٩ ، ص٤٦٢ .

والمعتضد والمكتفي[1] .

وصف المعتمد على الله ابو العباس احمد بن المتوكل بالضعف وكان « هو واخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة ، للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بأمرة المؤمنين ولاخيه طلحه الامر والنهي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء[2] » ، وقد تمكن عليه اخوه ابو احمد الموفق وضيق عليه حتى انه احتاج في بعض الاوقات الى ثلاثمائة دينارا فلم يجدها فقال يصف حاله[3] :

اليس من العجائبِ ان مثلي يرى ماقلّ ممتنعا عليه
وتُؤخذ باسمهِ الدنيا جميعاً وما من ذاكَ شيء في يديه
اليه تُحمل الاموالُ طرا ويُمنع بعض مايجبى اليه

ومن بعده « بويع المعتضد بالله ابو العباس احمد بن الموفق طلحة بن المتوكل سنة (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ، والدنيا خراب والثغور مهملة[4] » ، حتى انه لم يجد في بيت المال غير سبعة وعشرين درهما زائفة فلما عمرت على يديه ، لحسن سياسته الاقتصادية وتقتيره ، صار دخل المملكة يزيد على الف الف دينار في كل سنة[5] ، ولما مات وجد في بيت المال بضعة عشر الف الف دينار[6]

اهتم المعتضد برأي الناس فيه وفي امور دولته وكان يستطلع ذلك

---

(١) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ، ص٢٧١ .

(٢) الفخري : الآداب السلطانية ، ص٢٠٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٤٥٥ .

(٤) الفخري : الآداب السلطانية ، ص٢٠٦ .

(٥) الحصان : الحسبة ، ص٧١ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص١٣٦ .

بنفسه ، روى الصابي[1] : ان ابا الطيب احمد بن اسماعيل قال : مضيت يوما على الرسم الى الديوان اذ لحقني فارس وسألني عن مذهب الوزير الفلاني وعما يقوله الناس في تصرفات موظفي الدولة وهو يبين بعض مثالبهم ويريد رأيي . فقلت له : على أحسن مايزام ، فلما انصرف عرفت انه الخليفة المعتضد . وذات مرة طرق سمعه ، ان قطاناً قال في السوق : ليس للمسلمين ناظر في امورهم : فأستدعاه المعتضد قائلا له : فأين انا وأي شغل شغلي ؟ قال : ياامير المؤمنين انا رجل سوقي لا اعرف غير الغزل والقطن ، ومخاطبة النساء والعامة ، ولم اقصدك بل قصدت المحتسب[2] ، وفسر المعتضد اهتمامه في امور بسيطة كهذه قائلا : مثل هذا اذا انتشر على السنة العوام تلقفه بعضهم عن بعض وتجرؤا عليه وتربوا على قوله حتى يصير منهم كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد يولد تذمرا في نفوسهم على السياسة والدين فتثور الفتن على السلاطين[3] .

وقد كره الناس شدته ، وتذمر العامة منه بعد ان امرهم بلزوم اعمالهم وترك الاجتماع ومنع القصاص من القعود على طرقات بغداد ومحالها واسواقها ، ومنع اهل الفتيا وغيرهم من القعود في المسجدين وطرد الباعة من رحابها هذا ماكان قد عقد العزم عليه حتى انه قال اذا تحركت العامة او نطقت وضعت سيفي فيها[4] ، ومن شدة حرصه وتقتيره انه ذات ليلة نادمه ابن حمدون

---

1. الصابي : تاريخ الوزراء ص٢٠٦ .

2. الحصان : الحسبه ص٧١ .

3. نفس المصدر ، ص٧٢ .

4. ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٤٨٦ .

فأضحكه وادخل الحبور الى قلبه فدفع اليه المعتضد دينارا واحدا[1] . ومع استحسان الناس لسيرة المعتضد بالله كطابع عام يميز سياسته ، فان هناك بعض السلبيات التي اغضبت الرأي العام محليا وعلى نطاق اوسع وقد سبق ان ذكرنا بعضا منها خلال البحث .

تذمرت العامة سنة (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) مطالبة بأقامة الحد على اهل الفساد والكفر ، وقد روى[2] : ان خادما اسمه وصيف قد ادخل السجن بحجة انه شتم الرسول (ص) فاجتمع ناس من العامة ومضوا الى باب السلطان فلقيهم ابو الحسين بن الوزير فصاحوا به فأعلمهم انه قد انهى خبره الى المعتضد فكذبوه واسمعوه ماكره ووثبوا بأعوانه ورجاله ومضوا الى دار المعتضد بالثريا فاسمعوا الخليفة ماتذمروا من اجله مباشرة ، وهم في ذلك لايطالبون بأقامة الحد على هذا الخادم وحده بل على اهل ا لفساد قاطبة .

ولما « إستوبأ المعتضد بغداد وكان يرى دخان الاسواق يرتفع ويقول ، كيف يفلح بلد يخالط هواءه هذا فأمر ان لايزرع الارز حول بغداد ولايغرس النخل[3] ، مما جلب عليه نقمة اهلها ساكني هذه الاحياء الذين يمتهنون هذه الزراعة .

وعندما اراد بناء قصر فوق الشماسية ببغداد ابتاع ما للناس هناك من الدور قسرا فتذمر البغاددة منه عموما وسكنة الشماسية خصوصا حتى قال الناس : « ما احدث المعتضد شيئا يخالف الحق كأخذ دور الشماسية واجبار

---

(١) ابن الجوزي : الاذكياء ، ص٣١ .

(٢) الطبري : ج١٠ ، ص٥٢ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص١٤٤ .

اهلها على البيع[1] » .

بويع للخلافة بعده المكتفي ابو محمد علي بن المعتضد ، وقد صرف المبالغ الطائلة في سبيل الحصول على بيعة الجند الاتراك له

فقد ارسل مبلغ عشرة الاف درهم الى بدر غلام المعتضد ليصرفها على اصحابه ليضمن بيعتهم له ، وخلع على القواد وكانوا نيفا وثلاثين ، خلعا واعطى كل منهم مائة الف درهم[2] . وفي زمانه ظهر القرامطة « وهم قوم من الخوارج خرجوا وقطعوا الدرب على الحاج واستأصلوا شأفتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد حاربهم المكتفي فأوقع بهم[3] » .

ونحن نذكر حالة الخلافة العباسية ابان القرن الثالث الهجري ، لابد لنا ان ننوه الى سمة بارزة للخلافة العباسية تمثلت في مظاهر البذخ والصرف الطائل والترف ، والانغماس في اللهو والملذات من قبل الخليفة وحاشيته ممن ضمه بلاطه الواسع ويتعداه ذلك الى وزرائه وبعض القادة والامراء . واذا اخذنا بنظر الاعتبار والحتمية وجود طبقات مسحوقة تعيش حياة الفاقة والفقر ادركنا حالة التذمر والسخط الذي كان عليه الرأي العام المتمثل في العوام من الناس .

وليس ادل على حياة البذخ التي كان عليها خلفاء بني العباس في هذا القرن الذي نحن بصدده من مظاهر الابهة والصرف التي احاطت زواج المأمون ببوران من عطايا ونفقات وولائم وحلي ، فقد بلغ ما « انفقه الحسن بن سهل خمسين مليون درهم[4] » وقابله المأمون « بأن وهبه عشرة ملايين درهم وقيل

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص١٤٥ .

(٢) الطبري : ج١٠ ، ص٨٩ .

(٣) الفخري : الآداب السلطانية ، ص٢٠٨ .

(٤) الطبري : ج٨ ، ص٦٠٨ .

مليون دينار واقطعه فم الصلح[1] » . وروى ابن طيفور[2] : « ان بعض الزهاد نظر الى بناء المأمون وابوابه فصاح : واعمراه ، فسمعه المأمون فأمر بأحضاره وقال له : ما احوجك الى ان قلت ماقلت ؟ قال : رأيت آثار الاكاسرة وبناء الجبابرة فقال له المأمون : أفرأيت ان تحولت من هذه المدينة فنزلت ايوان كسرى بالمدائن كان لك ان تعيب نزولي هناك ؟ قال : لا ، قال : فاراك انما عبت اسرافي في النفقة ؟ قال : نعم ، قال : فلو وهبت قيمة هذا البناء ، كنت تصيح به كما صحت الآن ؟ قال : لا ، قال : وقد بلغت النفقة عليه ثلاث الآف الف وهو ضرب من مكايدتنا الاعداء » . ولما اعذر المتوكل ابنه المعتز جعل الدنانير والدراهم اكواما يأخذ منها من يشاء[3] ، حتى « بلغ ماصرف بست وثمانين مليون درهم ونيف[4] » . وبنى لابنه هذا قصرا في قادسية سامراء بمبلغ خمسة وعشرين مليون درهم[5] وغير ذلك امثلة كثيرة جئنا على بعض منها بشيء من التفصيل عند ذكر طبقة الخاصة في مكان سابق من هذا البحث . ولاسبيل لنا الان في اعادته ، الا ان الذي نتوخاه من كل ماذكرناه الان وماسبق ان فصلناه هو ان حياة الترف التي كان عليها خلفاء بني العباس ووزراؤهم والامراء الاتراك ابان القرن الثالث الهجري جلبت عليهم النقمة والتذمر وماحركات الشغب والحوادث اليومية والثورات الاجتماعية واشعار السخرية وما الى ذلك الا دليل على هذا التذمر .

---

[1] ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص١٠٠ . في ثمار القلوب ذكر الثعالبي « المبلغ باربعة الاف دينار » ص١٦٦ .

[2] ابن طيفور : بغداد ، ص٣٩ .

[3] الثعالبي : لطائف المعارف ، ص١٢٢ .

[4] ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص١١٩ .

[5] نفس المصدر ، ص١٢ .

ثانيا ـ موقف الرأي العام من القضاة :

بتطور المجتمع الاسلامي تبلورت مهمة القضاء الى ان اصبح مؤسسة اجتماعية لها مساس مباشر بأحاسيس ومشاعر الجماهير ، يلجأ اليه المظلومون ويحتكم عنده المتخاصمون ، ومن هنا كان اهتمام السلطة الاسلامية بأصلاح هذه المؤسسة ووضع آداب وصفات وحدود اشترط توفرها في من يوكل له القضاء وللرسول والخلفاء الراشدين اليد الطولى في هذا المجال .

حافظ القضاء على هيبته واستقلاله بعيدا عن السياسة وميول الحاكمين زمن الراشدين وفي عهد بعض الخلفاء الامويين ، اما العصر العباسي ، فقد استجدت امور كثيرة على القضاء منها ، تأثره بالسياسة وابتعاده عن روح الاجتهاد في الاحكام وذلك لظهور المذاهب ، فكان القاضي في العراق يحكم وفق مذهب ابي حنيفة ، وفي الشام والمغرب وفق مذهب مالك ، وفي مصر وفق المذهب الشافعي[1] .

ابتدع العباسيون منصب قاضي القضاة الذي يشبه الى حدما منصب وزير العدل اليوم ، وكان يعين في الولايات قضاة ينوبون عنه ، كما شهدت بدايات القرن الثالث الهجري ، اتساعا في سلطة القضاة ، فبعد ان كانوا ينظرون في القضايا المدنية والجنائية ، اصبح يفصل في الدعاوى والاوقاف وتنصيب الاوصياء ، وفي بعض الاحيان قد تضاف اليه الشرطة والمظالم والقصص والحسبة ودار الضرب وبيت المال . وكان لكل ولاية قضاة يمثلون المذاهب المختلفة ، والعادة ان يكونوا اربعة يمثلون المذاهب الاربعة المعروفة ينظر كل منهم في النزاع الذي يقوم بين من يدينون بعقائد مذهبه[2] .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص٢٨٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص٢٨١ .

القضاء شأنه شأن اية مؤسسة اجتماعية اخرى يتأثر تأثرا شديدا في الدرجة الاولى بأمرين اولها : الاوضاع السياسية التي عليها الدولة ، وثانيهما شخصية القاضي او الحاكم نفسه فسيرته الحسنة او السيئة تجد لها تطبيقا عمليا في ممارساته ومناظراته للناس المتخاصمين والمتظلمين ، وتنعكس مساوىء القضاء على مشاعر الرأي العام لما له من مساس في حياة الجماعة ، ويعبر الشعب عن سخطه ورضاه بالشعر وهو الاكثر تداولا او بالنادرة والحكاية وقلما يلجأ الى اساليب العنف ومرد ذلك ان ظلم القاضي ينحصر في اغلب الاحيان بفرد او افراد قلائل ويتكون نتيجة ذلك رأي متذمر فردي ومؤقت يزول السبب والمسبب ، ذكر ان « رجلين تنازعا بباب الجسر ، احدهما من العظماء ، والاخر من السوقة ، فقنع الذي من الخاصة الذي من العامة ، فصاح العامي : واعمراه ذهب العدل فلما رفع امرهما الى المأمون انصفهما[1] » . وركب المأمون بالشماسية وخلف ظهره احمد بن هشام فصاح به رجل من اهل فارس : الله الله يا امير المؤمنين فان احمد بن هشام ظلمني واعتدى علي فقال : كن بالباب حتى ارجع ، وقال لابن هشام : انصفه والا تعرضت للعقاب[2] . وكان من عادة المأمون ان يجلس للمظالم يوم الاحد ، تظلمت امرأة الى المأمون ، فقال لها من خصمك ؟ فقالت القائم على رأسك العباس ابنك ، فأمر بأجلاسهما معا وسماع مظلمة الامرأة واجاب شكواها[3] .

ومع ما عرف عن المأمون من سيرة حسنة ورعاية لمؤسسات الدولة ، فان القضاء لن يسلم من المطاعن ، سخر الرأي العام البغدادي من قاضٍ ولاه

---

(١) ابن طيفور : بغداد ، ص٣٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص٥٦ .

(٣) الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص٨٥ .

المأمون عسكر المهدي اسمه بشر بن الوليد في شعر منه[1] :

يـا أيها الـرجلُ المـوحدُ ربـه قـاضيك شـرُ بن الـويـد حمارُ
ينفي شهـادة من يـدين بمـا بـه نـطق الكتـابُ وجـاءت الاثـارُ
ويعـد عـدلا من يقـول بـأنـه شيـخٌ يحيط بـجسمـه الاقـطارُ

ومن المثالب التي رافقت القضاء في بدايات القرن الثالث الهجري ، مانسب الى بعض القضاه من انحرافات خلقية ، ولعل يحيى بن اكثم[2] قاضي المأمون المعروف كان محور هذه الاتهامات وفي ذلك يقول الثعالبي[3] : « انه كان اذا رأى غلاما يفسده وقعت عليه الرعدة وسال لعابه وبرق بصره وكان لايستخدم في داره الا المرد الملاح ويقول : قد اكرم الله تعالى اهل جنته بأن اطاف عليهم الغلمان في حال رضاه عنهم لفضلهم على الجواري فما بالي لا اطلب هذه الزلفى والكرامة في دار الدنيا معهم » . هذا الشذوذ ، كان مدعاة لسخرية الرأي العام الاسلامي لشيوع صيته في اكثر بقاع الدولة ، وقد قيل فيه شعر عبر بصدق عن مشاعر الناس تجاه القضاء ، ومن ذلك قول احدهم[4] :

لا افـلحـت امـه وحـق لهـا بـطول لـعـن وطـول اتـعـاس

---

(1) ابن الاثير : ج٦ ، ص٣٨٦ .

(2) اصله من مرو وقد اتصل بالمأمون ايام مقامه بها وصحبه الى بغداد ، فأصبح من اقرب الناس اليه ، وكان متقدما في الفقه وآداب القضاة وقد ولاه قاضي القضاة وامر بالا يحجب عنه ليلا ولا نهارا .

« الثعالبي : ثمار القلوب ص١٥٦ »

وقبل ذلك ولي قضاء البصرة قبل تأكد الحال بينه وبين المأمون .

« المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢١ .

(3) الثعالبي : ثمار القلوب ، ص١٥٦ .

(4) ابن طيفور : بغداد ، ١٦٩ .

ترضى بيحيى يكون سائسها وليس يحيى لها بسواس
ماأحسن الجورَ ينقضي وعلى الناس اميرٌ من آل عباس[1]

وعبر ابن ابي نعيم عن مشاعر اهل البصرة عندما كان يحيى قاضيا فيها قائلا : [2]

ياليت يحيى لم يلده اكثمهُ ولم تطأ ارض العراق قدمه

واشترط الواثق في قضاته ان يكونوا على مذهب الدولة عندما شكا اليه اهل البصرة سنة (٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) ، في قاضيهم الذي عاكسهم في القول بخلق القرآن[3] ، ومنهم من بالغ في امر فرض مذهبه على الناس قسرا ، فقد كان عبد الرحمن بن زيد بن حنظلة المخزومي قاضي مكة ، « خبيث الرأي يمتحن الناس ويخيفهم ويقيم كل جمعة اسود ينادي حول المسجد الحرام : القرآن مخلوق وكلاما غيره مع انه قليل العلم شديد العصبية[4] » .

---

(١) ذكر هذا البيت في مروج الذهب للمسعودي ج٤ ، ص٢٢ : « ما احب الجور ينقضي وعلى الامة وآل من آل عباس » . وفي الاذكياء لابن الجوزي ، ص٩٨ :

« لاحب الجور ينقضي وعلى الامة وآل من آل عباس » . وفي ثمار القلوب للثعالبي ، ص١٥٨ ذكر صدر البيت : « ما ان ارى الجور ينقضي » .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٢ . اخبار القضاة لوكيع ، ج٢ ، ص١٦٣ .

ايضا ابن طيفور في كتابه بغداد ص١٧٠ ـ ١٧١ الذي ذكر هذا البيت ضمن قصيدة طويلة .

(٣) وكيع:اخبار القضاة ، ج٣ ، ص١٧٥

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٦٨

وفي بعض الاحيان ، قد يتوسط القاضي بين الرعية والخليفة او الوزير فينقل شكاواهم ، كالذي ذكر عن « اسماعيل بن اسحاق الازدي القاضي الذي حمل مرة نحو ثمانين رقعة الى حضرة الوزير عبد الله بن سليمان لينظر فيها[1] » . وكان القضاة يجلسون في المساجد للنظر في المحاكمات التي تؤول اليهم وخاصة في الامصار التي تقع خارج بغداد ، وبعض المحاكمات تكون مفتوحة يشهدها الناس ، فقد ذكر : « ان القاضي محمد بن منصور ، كان يجلس للحكم في المسجد الجامع بسوق الاحواز ، وقد اجتمع الناس من حوله[2] » واذا اريد عقاب احد عقابا فوريا ضرب بالسياط امام باب المسجد والناس شهود على ذلك . وكما سبق ان قلنا ان حالة القضاء ارتبطت بالامور السياسية التي عليها الدولة ، فكما سخر الرأي العام من الوزارة والولاية والخلافة ، سخر ايضا من القضاء ، ففي سنة (٢٣٧ هـ / ٨٥١م) تندر الناس في قاضيين اعورين ولاهما يحيى بن اكثم لما تسنم منصب قاضي القضاة بعد احمد بن ابي دؤاد ، اذ ولي حيان بن بشر قضاء الشرقية وسوار بن عبد الله العنبري قضاء الجانب الغربي[3] ، وفي ذلك قال اصحاب ابن ابي دؤاد[4] :

رأيتُ من الكبائرِ قاضيين	هما احدوثةٌ في الخافقين
هما اقتسما العمى نصفين قدا	كما اقتسما قضاءَ الجانبين
وتحسبُ منهما من هزَّ رأسا	لينظرَ في مواريثٍ ودينِ
كأنك قد وضعتَ عليه دنا	فتحت بزاله من فردعينِ
هما فأل الزمان بهلكِ يحيى	اذا افتتحَ القضاء بأعورينِ

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٨٢ .
(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص٢٣ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٣١٦ .
(٤) الطبري : ج٩ ، ص١٨٩ .

وفي سنة (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) ولي المنتصر ابا عمره احمد بن هاشم المظالم فقال الناس فيه على لسان احد الشعراء ساخرا[1] :

يــاضـيــعــةَ الاســلامِ لمــا وَلي مــظالمَ الــنــاسِ ابــو عــمــرهْ
صُــيرَ مــأمــونــا عــلى امــةٍ ولــيس مــأمــونـا عــلى بَــعَــره

وشهد عهد المهتدي بالله (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ / ٨٦٨ - ٨٦٩ م) على قصره ، انتعاشا لمكانة القضاء ، ونظر الناس اليه بشيء من الاكبار والاعجاب ، وقد تولى المهتدي بنفسه النظر في المظالم ، « وبنى قبة لها اربعة ابواب وسماها قبة المظالم وجلس فيها للعام والخاص[2] » . وكان « اذا جلس للمظالم امر بان توضع كوانين الفحم في الاروقة والمنازل عند تحرك البرد فاذا ادخل المستظلم امر بأن يُدفأ ويجلس ليسكن ويثوب اليه عقله ويتذكر حجته ثم يدنيه ويسمع منه ، ويقول : كيف يدلي المتظلم بحجته اذا لم يُفعل به هذا وقد تداخلته رهبةُ الخلافة وألمُ البرد[3] » .

تظلم رجل من ابن للخليفة المهتدي ، فأمر بأحضاره واقامة الى جانب خصمه ليحكم بينهما ، فقال الرجل للمهتدي : يا امير المؤمنين ما انت الا كما قيل[4] :

حــكــمــتــمــوه فــقضى بــيــنــكــم ابــلجُ مــثــلُ الــقــمــر الزاهــرِ
لايــقــبــل الرشــوة في حــكــمــه ولا يــبــالي غــبــنَ الخــاسرِ

وهذا السلوك العادل الذي عرف به المهتدي ، من مباشرة النظر في

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص٢٣٩ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٨٣ .

(٣) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٤٠ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٢٣٤ .

المظالم بنفسه وخطبه في المسجد الجامع كل جمعة والصلاة بالناس ، لم يرض الاتراك وحتى العامة تثاقلت من هذه السيرة التي لم تكن لتعتاد عليها ، فنقموا عليه وتآمروا على خلعه ومن ثم قتله[1] .

وهناك امثلة لقضاة انصفوا الناس وكسبوا رضا الامة واتجهت اليهم انظار المظلومين ، واذا اخذنا بنظر الاعتبار تدهور حالة الخلافة ، وسيطرة الامراء الاتراك على امورها ، ونقمة الناس على هذه الاوضاع ، وندرة هذا الصنف من القضاة ، كبروا في نظرنا ونحن نتصفح احداث هذه الحقبة ، فكيف هم في نظر من عاصروها . اورد ابن الجوزي[2] ، نموذجا لقاض عادل هو احمد بن بديل الكوفي ، « فقد اراد موسى بن بغا ان يجمع ضيعة كان فيها سهم ليتيم فرفض ابن بديل طلبه ودافع عن حق اليتيم الذي امتنع عن بيع السهم العائد له » . وبعث اليه المعتز مرة فقال له المعتز : اتعبناك ابا جعفر ؟ فقال : اتعبتني وروعتني فكيف بك اذا سئلت غني ؟ فقال : ماأردنا الا الخير اردنا ان نسمع العلم ، فقال القاضي وتسمع العلم ايضا ؟ الا جئتني ؟ فان العلم يؤتى ولايأتي ثم وعظ المعتز حتى ابكاه[3] .

لقد تدهورت منزلة القضاء في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري تدهورا لم يشهد له مثيل ، حتى اصبح مثار سخرية الرأي العام الذي ضاق بالاوضاع السياسية الفاسدة ذرعا والذي آمل ان يجد له في القضاء مايرد ظلامته . فبعض القضاة كانوا من الضعف الى الدرجة التي اصبحوا فيها العوبة بيد الامراء الاتراك وغلمانهم ، وازاء ذلك فقد القضاء هيبته وتعرض

---

(1) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٨٣ .

(2) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص٩ .

(3) نفس المصدر ، ج٥ ، ص١٠ .

رجاله للاهانة ، ذكر التنوخي[1] : « ان احد غلمان الموفق وكان مخمورا قد اعتدى على الجذوعي القاضي حاكم واسط وكان قد حضر بطلب من المعتمد للمشاورة ، وذلك بأن صفعه في دنيته حتى غاص رأسه فيها » . ومن شدة ضعفهم ان اصبح بعضهم وسيلة بيد الخلفاء والامراء يسخرونهم لقتل خصومهم السياسيين ، ومثل ذلك حدث زمن المكتفي : اذ انه لما خرج بدر غلام المعتضد ، ارسل الخليفة اليه القاضي ابا عمر محمد بن يوسف يبلغه الامان على ماله ونفسه وولده ، فلما آمن قتله احد غلمان السلطان ، وهو في طريق العودة[2] ، فأثار ذلك حفيظة الرأي العام وتكلم الناس وقالوا : ابوعمر القاضي كان السبب في قتله ، وفي ذلك قيل[3] :

قلْ لقاضي مدينةَ المنصورِ	بم احللتَ اخذَ رأس الاميرِ
عند اعطائه المواثيق والعهد	على انها يمينٌ فجور
ياقليلَ الحياء ياكذبَ الامة	ياشاهداً شهادة زور
ليس هذا فعل القضاه ولايحسنُ	امثاله ولاةُ الجور
يابني يوسف بن يعقوب اضحى	اهل بغداد منكُم في غرورِ

وهكذا بتدخل الاجانب وازدياد نفوذهم وضعف سلطة الخلفاء العباسيين وتسرب الفساد الى مؤسسات الدولة ، ضعف القضاء واصبح سخرية تتناقل الالسنة احداثه كنوادر مضحكة يتفكه بها الرأي العام .

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٢٦ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٥١٨ .

(٣) الطبري : ج١٠ ، ص٩٣ .

الفصل الخامس

اماكن تجمع الرأي العام في القرن الثالث الهجري

١ ـ السجون.

٢ ـ الأسواق.

٣ ـ المساجد.

٤ ـ الاجتماعات العامة.

اماكن تجمع الرأي العام في القرن الثالث الهجري

١ ـ السجون :

اعار الرأي العام الاسلامي حالة السجناء وأوضاعهم العامة ، والاسباب والمبررات التي ادت بهم الى السجن جل اهتمامه وانقسم ازاء ذلك بين رأي راض يجد في الاجراء عدلا ، واخر ناقم يجد فيه جورا وظلما ، كما ان السجناء انفسهم وبعد ان عجت بهم السجون الكثيرة اصبحوا يشكلون رأيا عاما ساخطا حتى بالنسبة لاولئك الذين يعترفون بجرمهم ، لذلك كله فقد اهتم الفقهاء والمشرعون باحوالهم ووضعوا البرامج وسطروا النصائح لانصافهم ، وفي هذا المجال لابد ان نورد ماكتبه ابو يوسف للرشيد ، وهو في ذلك سابق لغيره من الفقهاء ، قال وهو يخاطب الخليفة : « فانك ان اجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة ، وول ذلك رجلا من اهل الخير والصلاح يثبت اسماء من في السجن ممن تجرى عليهم الصدقة وتكون الاسماء عنده ويدفع ذلك اليهم شهرا بشهر . يقعد ويدعو بأسم رجل رجل . . . ويكون للاجراء عشرة دراهم في الشهر لكل واحد وليس كل من في السجن يحتاج ان يجري عليه وكسوتهم في الشتاء قميص وكساء وفي الصيف قميص وازار ، ويجري على النساء مثل ذلك كسوتهن في الشتاء قميص ومقنعة وكساء وفي الصيف قميص وازار ومقنعة . واغنهم عن الخروج في السلاسل يتصدق عليهم الناس . . . انه ربما مات منهم الميت الغريب فيمكث في السجن اليوم واليومين حتى يستأمر الوالي في دفعه وحتى يجمع اهل السجن من عندهم مايتصدقون ويكثرون من يحمله الى المقابر فيدفن بلا غسل ولا كفن

ولاصلاة عليه[1] » . وهو بذلك يوضح الحالة التي كان عليها السجناء ابـان العصر العباسي الاول ، وكـان المسجون اذا دخـل السجن كتبت قصته في سجل خاص وفيه المدة التي ينبغي ان يقضيها في السجن وجرت العـادة ان ينزعوا ثيابه فيلبسونه غيرها ثم يقيد ويحدد مكانه في السجن وبعد ذلك يقدم له الطعام[2] .

لقد اصبح السجن سـلاحا في يـد السلطة الحاكمـة والمتنفذين وقـوة يكيدون بها للتخلص من اعدائهم ومناوئيهم ، والاسباب والحجج التي تؤدي الى السجن كثيرة على هذا الاساس الذي ذكرناه .

من هذه الاسباب اعمال الاجرام واللصوصية وقـطاع الطرق ، فقـد نقب قوم من اللصوص بيت المال في دار العامة واخذوا ما فيه من مال ، فتبعهم صاحب الشرطة وقبض على بعضهم واودعهم السجن[3] ، وروى الطبرى في جملة ماارواه عن احداث سنة (٢٧٤ هـ / ٨٨٧م)[4] : ان احد اللصـوص ويدعى صديق الفرغاني قد دخل سامراء فأغار على اموال التجار وقطع الطريق على الناس يسلبهم مايملكون الى ان ظفر به فقطعت يده ورجله وأيدي جماعة من اصحابه وأرجلهم وحبسوا جميعا . وحبس المعتضد بالله ثلاثة من الجند بتهمـة السرقـة واودعهم السجن[5] ، وذكر ابن الجـوزي في كتابـه الموسـوم (الاذكياء) امثلة كثيرة عن اعمال اللصوص التي تؤدي بهم الى الحبس . ولعل

---

(١) ابو يوسف : كتاب الخراج ، ص١٥٠ - ١٥١ .

(٢) صلاح الدين المنجد : الخلفاء والخلعاء ، ص١٣٣ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٢٣ .

(٤) الطبري : ج١٠ ، ص١٣ .

(٥) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٣٣١ - ٣٣٣ .

تهمة مناوأة السلطة والخروج على ارادتها اكثر الاسباب التي تؤدي بأصحابها الى السجن او القتل في بعض الاحيان ، واحداث القرن الثالث الهجري الجمة تدلل بأكثر من دليل على ذلك فقد سُجن العباس بن المأمون لما دعا لنفسه[1] ، والح المأمون في طلب الفضل بن الربيع وزير الامين ، « حتى انه نادى في الجانبين من جاء به فله عشرة الاف درهم واقطع غلته ثلاثة الاف دينار في كل سنة ... ومن وجد عنده بعد النداء يضرب خمسمائة سوط ويؤخذ ماله وتهدم داره وبحبس طول عمره[2] » ولقي الافشين على يد المعتصم لما غضب عليه ، اشد انواع العذاب وحبسه . . . « وكان يطعم في كل يوم رغيفا حتى مات فأخرجوه وصلبوه على باب العامة ثم احرق ورمى به في دجلة[3] » ولما قُتل ابو الحسين يحيى بن عمر زمن المستعين سنة (٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) ، قبض على من بقى من اتباعه وحبسوا في سجن الجديد بسامراء « وقد اصابهم جوع واساءة » [4] . وحبس الخليفة المعتمد ابنه ابا العباس لما شغب عليه مع نفر من الجند[5] . ولما نكب ابن الفرات في نهاية القرن الثالث الهجري ، قبض على ابي امية قاضي البصرة ، فأودع السجن فأقام فيه مدة الى ان مات فيه ، فكان اول قاض يموت في السجن[6] ، وهناك امثلة كثيرة في هذا المجال سبق ان اشرنا اليها في فصول سابقة من هذا البحث .

---

(١) البلخي : البدء والتاريخ ، ج٦ ، ص١١٤ .

(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص١٣٩ .

(٣) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٢٩ .

(٤) الطبري : ج٩ ، ص٢٧٠ . مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٥٦٩ .

(٥) الطبري : ج١٠ ، ص١٥ .

(٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٧ ، ص٥١ .

لقد كان لسوء الاحوال الاقتصادية اثر في انتشار التعامل بالدين والتسليف ، كما ادى تدهور الاوضاع السياسية والاجتماعية الى تفشي الرشوة والمحسوبية والاختلاس لذلك اصبحت الديون والمصادرات سببا يؤدي الى السجن ، كالذي حدث لكتاب الدواوين في عهد الخليفة الواثق بالله سنة (٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م) ، فقد « امر بضربهم واستخلاص الاموال منهم لظهور خياناتهم واسرافهم في امورهم[1] . . . »

ومن عجائب وغرائب القرن الثالث الهجري : « ان الوزارة كانت سبيلا الى السجن في غالب الاحيان وندر من نجا من الوزراء ولم يسجن وربما قتل ولم يحبس[2] » ، فقد سجن محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم والواثق بعد ان صودرت امواله ونهبت دوره وضياعه ، وعذب امر عذاب الى ان مات في حبسه زمن الخليفة المتوكل[3] ونكب ونفي ابن الخصيب وزير المستعين[4] وحبس ابو الصقر وزير المعتمد[5] . ولما قتل المتوكل على يد الاتراك قتل معه وزيره الفتح بن خاقان وكان في حضرته[6] .

ولايمكننا ونحن في صدد الاسباب التي تؤدي الى السجن ، ان نغفل العامل الديني المؤثر على نفوس الناس وخاصة العوام منهم ، فاذا ما جاهر احد بشتم الرسول او الائمة وادعى الالحاد وعاب الاديان ، فان مصيره السجن

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٢٠١ .

(٢) المنجد : الخلفاء والخلعاء ، ص١١٧ .

(٣) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٣٢ . الطبري : ج٩ ، ص١٥٩ .

(٤) الطبرى : ج٩ ص٢٥٩ .

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص١٢٤ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٩٩ .

وقد يقتل اذا ماثبت كفره والحاده بعلم ورضى الرأي العام الاسلامي ان لم يكن بطلب منه بأعتبار فعلة كبيرة توجب الحد ، ويمكن ان نسمي هذا العامل اجمالا (بالزندقة) وهي تهمة شاعت في العصور الاسلامية المختلفة وبخاصة في العصر العباسي ، وكانت بحق سلاحا ماضيا بيد الخلفاء والمتنفذين لضرب خصومهم ومناوئيهم ، آخذين بنظر الاعتبار ان ماذكرناه لاينفي عدم وجود من ادعى الزندقة فعلا ، فقد « بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول ماني ويقول بالنور والظلمة من اهل البصرة فأمر بحملهم اليه بعد ان سموا واحدا واحدا . . . وأمر بقتلهم جميعا[1] » ، وفي سنة (٢٣٧ هـ / ٨٥١ م) : « ادعى رجل النبوة وتأول القرآن على غير تأويله ، فتبعه قوم من الغوغاء ، فكان من شرائعه انه كان ينهي عن قص الشعر وتقليم الاظفار . . . ولما قبض عليه امتنع عن التوبة فصلب[2] » . وادعى رجل آخر النبوة ايام المأمون فحمل اليه مؤثقا بالحديد[3] . وكانت تهمة المجاهرة بالكفر كثيرا ماتؤدي الى هياج الرأي العام مطالبا بقصاص المذنب ، روى الطبرى[4] « انه في سنة (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) ، اخذ خادم نصراني اسمه وصيف وادخل الحبس بحجة انه شتم النبي (ص) ، ثم اجتمع من غد هذا اليوم ناس من العامة مطالبين بأقامة الحد عليه . . . وتداعى الناس من الاسواق واماكن اخرى ومضوا الى باب السلطان فلقيهم ابو الحسين ابن الوزير فصاحوا به فأعلمهم انه قد انهى خبره الى المعتضد فكذبوه واسمعوه ماكره ووثبوا بأعوانه ورجاله حتى

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٩ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٦٦ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٥ .

(٤) الطبري : ج١٠ ، ص٥٢ .

هربوا منهم ومضوا الى دار المعتضد بالثريا . . . واخبره الخبر مباشرة . . . فأمر بالنظر في امر الخادم . . . ولم يكن للخادم بعد ذلك ذكر ولا كان للعامة في امره اجتماع » .

لما تشدد المأمون ومن جاء بعده من خلفاء بني العباس الآخرين ، في محنة خلق القرآن ، اصبح ذلك ذريعة بيد الخليفة وبطانته لحبس وتعذيب من يخالف هذا الرأي الذي يمثل هوى السلطة آنذاك ، فقد حبس الامام احمد بن حنبل زمن المأمون والمعتصم وتعرض لتعذيب قاس الى ان فقد وعيه تحت تأثير السياط ، ومن جهة اخرى كانت جموع محتشدة من العامة خارج فناء القصر قد ثارت ثائرتها حنقا وسخطا على هذه المعاملة السيئة[1] . وحبس بشر بن الوليد وكان يتولى قضاء الجانبين ببغداد ، في منزله ووكل ببابه الشرطة ونهى ان يفتي احد بشيء ، لانه لايقول القرآن مخلوق[2] . وفي سنة (٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) « امر الواثق ان يتتبع من وسم بصحبة احمد بن نصر ممن ذكر انه كان متشايعا له : فوضعوا في الحبوس ، ثم جعل نيف وعشرون رجلا وسموا في حبوس الظلمة ومنعوا من الصدقة التي يعطاها اهل السجون ، ومنعوا من الزوار وثقلوا بالحديد . . . . فجعلوا في محابس بغداد[3] » .

وهناك اسباب اخرى ادت الى السجن كتهمة الدعارة والفساد والخصومات الشخصية والمنازعات الفردية والعائلية والعشائرية التي عرف منها المجتمع العباسي في القرن الثالث الشيء الكثير .

---

(١) ولتر . م باتون : احمد بن حنبل والمحنة ، ص١٥١ (ترجمة عبد العزيز عبد الحق ، دار الهلال ، ١٩٥٨) .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٧ ، ص٨٣ .

(٣) الطبري : ج٩ ، ص١٣٩ .

لقد انتشرت السجون في مراكز المدن الكبيرة وبخاصة في بغداد ومن بعدها سامراء واشهر سجون الدولة العباسية طرا هو سجن (المطبق)[1] ، الذي كان لاسمه رهبة في نفوس الناس[2] ، يسجن فيه المجرمون الخطرون والخصوم الا لداء ومن يراد التخلص منه ممن تصدر بحقه احكام طويلة .

ويعتبر المطبق من اكبر اماكن تجمع الرأي العام في العصر العباسي لكثرة من فيه من السجناء الذي ضاق بهم في بعض الفترات على سعته ، كما شهد حركات شغب ومحاولات فرار قام بها السجناء وهم في هذه المواقف ، ومواقف اخرى سلبية يعبرون عن تذمرهم واستياءهم من احوالهم في السجن او من الاوضاع السياسية العامة التي آلت بهم الى ما هم عليه ، من ذلك ماشهده سجن المطبق في بداية القرن الثالث الهجري ، فقد ذكر انه لما « ظفر المأمون بابراهيم بن عائشة وجماعة معه منهم مالك بن شاهي النفري من اهل السواد ومحمد بن ابراهيم الافريقي وكانوا قد خرجوا على السلطة ، فحبسهم في المطبق فأستمال ابن عائشة السجناء الآخرين حتى حملهم على الوثوب والشغب وحاولوا ان ينقبوا السجن فسدوا الباب من داخل ولم يدعوا احدا يدخل عليهم ، فرفع محمد بن عمران صاحب الشرطة خبرهم الى المأمون فحضر نفسه الى المطبق ليلا ومعه جماعة من قواده ودعا بابراهيم فضرب عنقه وقتل الذين كانوا معه»[3] .

قد لايكتفي الخليفة بالسجن والقتل وحدهما ، فيعمد الى التشهير

---

(1) اليعقوبي : البلدان ، ص٩ ، وقد حدد موقعه بين باب البصرة وباب الكوفة على سكة المطبق ووصفه بالحبس الاعظم .

(2) المنجد : الخلفاء الخلعاء ص١١٧ .

(3) نفس المصدر ، ج٢ ، ص٤٥٩ .

والمجاهرة بالجرم كأن يصلب في مكان معروف ليراه الناس ، كالذي حدث لابن عائشة وجماعته ، فبعد ان قتل ابراهيم « في السجن ليلة السبت من سنة (٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) امر بصلبه على الجسر الاسفل لمدة ثلاثة ايام ، فلما كان يوم الاربعاء امر بأنزاله ودفنه[١] » ، ولما وقعت الفتنة بين العامة والامراء الاتراك الذين تغلبوا على امر الخلافة وقتلوا المتوكل واستضعفوا المنتصر والمستعين بعده ، تذمر الرأي العام الاسلامي « فنهض جمع من العامة الى السجن فأخرجوا من كان فيه ، وقطعوا الجسرين ، ونادوا بالنفير ، فأجتمع خلق كثير وجمع غفير ونهبوا اماكن متعددة وذلك في الجانب الشرقي في بغداد ، وفي سامراء عمد عامتها الى السجن فأخرجوا من كان فيه كالذي حدث في بغداد[٢] » . وفي سنة (٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م) نقب المطبق من داخله وأخرج منه بعض المحابيس الذين ركبوا دوابا اعدت لهم وهربوا فأغلقت ابواب فأخذوا وعذبوا وأمر بصاحبهم الدوباني العلوي فقطعت يده ورجله من خلاف[٣] . وبعد ذلك بست سنوات نقب المطبق مرة اخرى واخرج من فيه من السجناء[٤] .

وفي المطبق يقضي السجين مدة طويلة ان لم يقتل وقد يحكم عليه بالاشغال الشاقة ، روى التنوخي[٥] : « عن ابي علي الوكيل على ابواب القضاة ببغداد ، ويعرف بالناقد ، قال : كنت اقيم خبر المحبوسين في المطبق بمدينة

---

(١) ابن طيفور : بغداد ، ص١١٣ .

(٢) ابن كثير : البداية النهاية ، ج١١ ، ص٣ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٤١٩ .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص١٤٧ .

(٥) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص١١١ .

السلام فرأيت فيه رجلا مغلولا على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلا فسألته عن قصته فقال : انا والله مظلوم فقد اتهمت بقتل رجل انا لم اقتله فأخذني صاحب الشرطة ثم عرضت فضربت ضربا شديدا ، وعوقبت اصناف العقوبات وانا انكر ، فتدخل اهلي وشفعوا لي عند اصحاب الجاه واستشهد خلق كثير على حسن سيرتي وبراءتي فأعفيت من القتل ونقلت الى المطبق وفي هذا الحديد منذ ست عشرة سنة » .

وفي زمن الخليفة المعتصم « بنى حبس في بستان موسى[1] ، وهو حبس كبير كانت له شهرة كالمطبق في بغداد[2] » ، وقد سماه اليعقوبي بالحبس الكبير[3] لايسجن فيه الا من عظم امره وكبر جرمه وخاصة الخصوم السياسيون ، فقد حبس فيه محمد بن القاسم بن علي بن عمر العلوي الصوفي ، وكان قد اسره عبد الله بن طاهر وبعث به الى المعتصم ، « فأمر بحبسه في اسفل بيت من هذا السجن فلما استقر به اصابه من الجهد لضيقه وظلمته ومن البرد لندى الموضع ورطوبته ما كان يتلفه من ساعته ، فلما اشرف على الهلاك ، امر المعتصم بأخراجه وقد زال عقله واغمى عليه ، فطرح في الشمس وطرحت عليه لحف وامر بحبسه في بيت آخر بالبستان فوقه غرفة وكان في البيت خلاء الى الغرفة التي تليها وفي الغرفة ايضا خلاء آخر الى سطحها[4] » . وقد وصف العلوي طريقة

---

(١) امر المعتصم ببنائه في بستان موسى بسامراء وكان القيم به مسرور مولى الرشيد ، ويرى الراكب بناءه من دجلة ومن داخله كالبئر العظيمة قد حفرت الى الماء او قريب منه ثم فيها بناء هيئة المنارة مجوف من باطنه وله من الداخل مدرج قد جعل في مواضع من التدريج مستراحات وفي كل مستراح شبيه بالبيت يجلس فيه رجل واحد على مقداره يكون فيه مكبوبا على وجهه ليس يمكنه ان يجلس ولا يمد رجله .

(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص١١٩ .

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٦ .

(٤) التنوخي : الفرج بعد الشدة ج١ ص١١٩ ،

خلاصه من هذا السجن المرعب الذي كاد ان يودي بحياته قائلا : « كنت ادبر امري في التخلص منذ حبست ، فقد عملت من اللبد الذي اتخذته وطائا وفراشا حبلا ، وكان على باب البيت قوم وكلوا بي يحفظونني لايدخل منهم احد وانما يكلمونني من خلف الباب ويناولونني من تحته ما اتقوت به ، فقلت لهم : ان اظفاري قد طالت جدا وقد احتجت الى مقراض فجاءني رجل بمقراض ، ويمضي العلوي في تدبير خطته قائلا لهم : ان في هذا البيت فيرانا تؤذيني اذا قربوا مني فأقطعوا لي جريدة من النخل تكون عندي اطردهم بها ففعلوا ، فأخذت اضرب بها في البيت واسمعهم صوتها اياما ، ثم قشرت الخوص عنها وقطعتها على مقدار يوهم انه من عمل الفيران ويستطرد قائلا : فضممت كل ماقطعته منها بعضه الى بعض وقطعت اللبد وضفرت منه حبلا تسلقت به الى الغرفة ومن الغرفة الى سطحها وشددت القيد في ساقي فلما كانت ليلة العيد تدليت بالحبل الى بستان مجاور وفررت سنة (٢١٩ هـ / ٨٣٤م) [١] » .

ومن السجون المعروفة (سجن باب الشام) وقد سمي بذلك نسبة الى مكانه في باب الشام[٢] . ويظهر ان اكثر من حبس فيه كانوا من اصحاب الجرائم ، ففي سنة (٢٥٥ هـ / ٨٦٨م) زمن المهتدى « اجتمع جماعة من الجند والشاكرية ومعهم جماعة من العامة حتى صاروا الى سجن باب الشام ليلا فكسروا بابه واطلقوا في الليلة اكثر من كان فيه ، فلم يبق فيه من اصحاب الجرائم احد الا الضعيف والمريض والمثقل . . . وسد باب السجن بباب الشام بآجر وطين[٣] » .

---

(١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص١٢٠ .

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص١٦ .

(٣) الطبري : ج٩ ، ص٤٠١ .

وهناك سجن في بغداد عرف بسجن (مالك بن نصر) فتحته العامة سنة (٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م) لما شغبت واخرجت منه جماعة من نواحي خراسان والصعاليك من اهل الجبال والمحمرة وغيرهم ، وقطعوا احد الجسرين وضربوا الاخر بالنار وانحدرت سفنه وانتهبت ديوان قصص المحّبسين وقطعت الدفاتر والقيت في الماء[1] .

وهناك سجون اخرى متفرقة في بغداد وسامراء وهي ثانوية من حيث الاهمية كالذي في شارع الياسرية ، وسجن دار الشرشر بجوار دار عمارة ، وسجن العامة في درب الموصل وقد سجن فيها على التوالي احمد بن حنبل بعد ان اعيد من الرقة وهو في قيده الى بغداد[2] .

ولما غضب المعتصم على قائدة الافشين « حبسه في الجوسق ثم بنى له حبسا مرتفعا وسماه لؤلؤة داخل الجوسق[3] » وقد عرف فيها بعد بسجن الافشين ، وذكر ابن الاثير في معرض سرده لاحداث عام (٢٥١ هـ / ٨٦٥م)[4] . . . . « ان المعتز والمؤيد قد حبسا في الجوسق في حجرة صغيرة » .

ومن سجون سامراء « سجن الجديد » وقد حبس فيه جماعة من اتباع يحيى بن عمر سنة (٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) في خلافة المستعين[5] . وفي سنة (٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م) حبس فيه سبعة من الخوارج[6] .

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص٢٦٢ .
(٢) باتون : احمد بن حنبل والمحنة ، ص١٢٨ .
(٣) الطبري : ج٩ ، ص١٠٦ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٤٢ .
(٥) مسكويه : تجارب الامم ، ج٦ ، ص٥٦٩ .
(٦) الطبري : ج١٠ ، ص٣٤ .

والى جانب هذه السجون كانت هناك سجون اخرى في قصور الخلفاء والامراء ومتولي الشرطة عرفت بـ (سجون الدور) وانتشرت في العصر العباسي ، وبخاصة القرن الثالث الهجري الذي نحن بصدد البحث عنه ، بمثابة اداة بيد الخلفاء ، والوزراء ، واصحاب السلطة لضرب اعدائهم والتنكيل بهم ، فقد حبس ابزاهيم بن المهدي بأمر من الامين في سرداب اغلق عليه ومكث فيه ليلة[1] . وحبس الامين قبل مقتله « في دار ابن صالح الكاتب من اتباع طاهر بن الحسين وكان معه محبوسا صاحب المظالم احمد بن سلام[2] » وأمر المأمون ، الفضل في حبس عمرو بن بهنوني ، قائلا : « يافضل خذ عمرا اليك وقيده وضيق عليه ليصدق عما صار له من مالي فقد احتاز مالا جليلا وطالبه به ، فقلت : نعم وأمرت بأحضاره واخليت له حجرة في داري واقمت له مايصلحه وتشاغلت عنه بأمور السلطان . . . . وفي اليوم الثالث اخرج لي رقعة قد اثبت فيها مايملك في الدور والضياع والعقار والاموال والكسوة والفرش والجوهر والكراع والقماش بقيمة عشرين الف الف درهم . . . فلم يعجب المأمون تساهلي فأمر ان اسلم عمرو الى محمد بن يزداد ، ففعلت فلم يزل يعذبه بانواع العذاب حتى يبذل له شيئا فلم يفعل[3] » .

ووصف احمد بن حنبل حاله وهو محبوس في دار اسحاق بن ابراهيم قائلا : « فوجه الي في كل يوم برجلين : احدهما يقال له احمد بن رباح والاخر شعيب ! فلا يزالان يناظرانني حتى اذا ارادا الانصراف دعى بقيد فزيد بقيودي ! فصار في رجلي اربعة اقياد . . . واحضرت مرة امام المعتصم وهو

---

(١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص١١٣ .

(٢) الطبري : ج٨ ، ص٤٨٦ .

(٣) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص١٠٦ .

جالس على كرسي . . . . وتقدم الجلادون فجعل يتقدم الرجل منهم فيضربني سوطين فيقول له المعتصم شد قطع الله يدك ، ثم يتنحى ثم يتقدم الاخر فيضربني سوطين ، فلما ضربت تسعة عشر سوطا ، قال الامام احمد : فذهب عقلي[1] » .

وفي بعض الاحيان قد يحبس الشخص في داره وهو مانسميه الان بالاقامة الاجبارية ، وتفرض عليه غرامة نقدية عادة ، فقد سخط المعتصم على الفضل بن مروان فأمر بحبسه وتقييده في داره وغرمه الف الف دينار وستمائة الف دينار[2] . والطريف في الحادث ان الرأي العام شمت لما اصاب ابن مروان وقد لاقى الناس منه الامرين فرفعت فيه القصص والاشعار من ذلك ما وجد مكتوبا على حائط داره[3] .

تفرعنت يافضل بن مروان فأعتبر ... فمثلك كان الفضل والفضل والفضلُ
ثلاثة املاك مضوا لسبيلهم ... ابادهم التنكيلُ والحبسُ والقتلُ
وانك قد اصبحتَ في الناسِ لعنة ... ستودي كما اودى الثلاثة من قبل

ولم يكن الخلفاء وحدهم هم الذين يسجنون ويعذبون مخالفيهم بل فعل ذلك الوزراء والقادة فقد روى عن محمد بن الفضل الجرجاني قال : « كنت اتولى ضياع عجيف ، فرفع علي اني خنته واخربت الضياع فانفذ الي من يقيدني فأدخلت عليه في داره بسر من رأى على تلك الحال وهو يطوف على ضياع فيها ، فلما نظرني شتمني فقال : اخربت الضياع ونهبت الاموال والله لاقتلنك ،

(1) ابو الفضل بن صالح بن الامام محمد : مخطوطة عن محنة الامام ، نشرت ضمن كتاب احمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا لاحمد عبد الجواد الدوحي ص١٦٩ - ١٧٤ .

(2) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٣٠ .

(3) نفس المصدر ، ص٥٣١ .

هاتوا السياط فأحضرت وسحبت للضرب فلما رأيت ذلك ذهب علي امرى وبلت على ساقي وادخلت الحبس بعد ذلك[1] » .

تتفاوت معاملة الخلفاء للسجناء بين الشدة واللين فانه لما غضب الواثق على كتاب الدواوين امر بحبسهم في بيوت ، قال احمد بن المدبر : « حبست في محبس كان فيه احمد بن اسرائيل وسليمان بن وهب وكنا نتحدث ونأكل جميعا وربما ادخل النبيذ فنشرب[2] » ، وعلى نقيض ذلك روى التنوخي ان سليمان بن وهب قال : « اخذني اسحاق بن ابراهيم فقيدني بقيد والبسني جبة فأقمت كذلك نحو عشرين يوما لايفتح علي الباب الا مرة واحدة في كل يوم وليلة ويدفع لي فيها خبز شعير وماء حار[3] » . وذات مرة غضب الواثق على اخيه جعفر المتوكل ، فأمر محمد بن عبد الملك ان يحبسه ويجز شعره ويضرب به وجهه ويرسله اليه مقيدا[4] . وتفنن المتوكل في وسائل تعذيبه لخصومة واعدائه ، فقد انتقم من محمد بن عبد الملك وعذبه شر عذاب ووضعه على تنور من خشب فيه مسامير واقفل عليه الباب والمسامير تدمي جسده واقفا وجالسا فما مكث بعد ذلك الا اياما حتى مات ، ووجد على حائط البيت الذي كان فيه التنور الشعر التالي[5] :

تعب البلى بمعللي ورسومي ودفنتُ حيا تحت ردم غُمُوم

---

(١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ص٨١ .

(٢) الجهشياري : نصوص ضائعة من الوزراء والكتاب ، ص٦٥ . تحقيق ميخائل عواد ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٤ .

(٣) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص١٣٣ .

(٤) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٣١ .

(٥) نفس المصدر ، ص٥٣٢ .

لـزم البـلى جسمي وأوهن قُـوتي   ان الـبـلى لمـوكـلٌ بـلزوم

وسجن سليمان بن وهب في كنيف وفي ذلك قال : فأخذني اسحق بن ابراهيم صاحب الشرطة وحبسني في كنيف واغلق علي خمسة ابواب فكنت لا اعرف الليل من النهار[1] . ولما قبض على ابي الحسن بن ابي طاهر وابيه ، حُبِسا في حجرة دار ضيقة واجلسا على التراب[2] . ولقي احمد بن اسرائيل وابو نوح اشد اصناف العذاب على يد صالح بن وصيف الذي جردهما من مالهما « وضرب كل منهما خمسمائة سوط الى ان ماتا ودفنا ، ولما بلغ المهتدى خبرهما قال : اما عقوبة الا السوط والقتل اما يكفي الحبس ؟ انا لله وانا اليه راجعـون يكرر ذلـك مرارا[3] » وقد لايكتفى بـالحبس فيلجأ المتنفـذ منهم خليفة كـان او وزيرا او صاحب جاه ، الى تعذيب وقتل السجين ، وروى التنوخي[4] : « ذكر القاضي ابن عمرو وكان قد حبس معه ابو المثنى القاضي ومحمد بن داود بن الجراح في دار واحدة في ثلاثة ابيات متلاصقة وذات ليلة فتحت الابواب على محمد بن داود فأخرج واضطجع على المذبح وذبح كما تذبح الشاة فجردوا جثته وطرحت في بئر الدار » .

ولعل اكثر خلفاء بني العباس عناية واهتماما بالسجون واصلاح حالها هو المعتضد بالله ، فقد خصص لها في ميزانيته الف وخمسمائة دينار في الشهر وعين لهم اطبـاء ، كانـوا يدخلون عـلى المساجـين ويحملون الادوية والاشـربـة ، ويطوفون على سائر الحبوس ويعالجون فيها المرضى كما جعل لهم ديوانا خاصا

---

(١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص٣٤ .

(٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص٥٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٢٠١ .

(٤) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص١٠٨ .

تكتب فيه قصصهم في دفاتر خاصة يرجعون اليها دائما[1] ، ولكن العيب الذي اخذه الرأي العام عليه هو شدته وقسوته وتعذيبه لخصومه بشتى انواع العذاب ، وقد استحدث في هذا المجال اصنافا جديدة ، أمر مرة برجل ، « فسد بالقطن انفه سدا شديدا وفمه وعيناه واذناه ومنخراه وذكره وسوءته ثم كتف وترك فلم يزل ينتفخ ويزيد الى ان طار قحف رأسه ومات[2] » .

وفي السجن قد يتعلم السجين صناعة او حرفة وخاصة اذا ماقضى فيه مدة طويلة[3] ، فقد تعلم عبد الله بن المعتز صناعة نسج التكك وهو محبوس في دار من دور بغداد . . . . وكان لاينام الليل من شدة الخوف واكثر مازاولها في اوقات النهار[4] ، وفي ذلك قيل[5] :

تعلمتُ في السجنِ نسجَ التكك وكنتُ امرأ قبل حبسي ملِك
وقيدتُ ركوب الجياد وما ذاكَ الا بدور الفلك

وتمتع بعض المساجين من علية القوم بقسط وافر من اللهو واللعب والمعاملة الحسنة ، فقد روى عن احمد بن المدبر انه : كان يتحدث مع اصحابه وفي بعض الاحيان يدخل عليهم النبيذ فيشربوا معا وهم في السجن[6] ويلاحظ على سجون القرن الثالث ، تنوعها وتعددها وكثرة اقسامها ، فقد خصص كل قسم لصنف معين من السجناء فهناك حبس للزنادقة وآخر للعوام وثالث

---

(1) المنجد : الخلفاء والخلعاء ، ص١٣٦ .
(2) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٧٧ .
(3) متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج٢ ، ص١٦٥ .
(4) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص٨١ .
(5) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٣٤ .
(6) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص١٤٩ .

للنساء[1] . وكانت بعض سجون الدور بعهدة القهرمانات ، واشهرهن في نهاية القرن الثالث الهجري امرأة يقال لها زيدان ، وقد جعلت في دارها سجنا سجن فيه علي بن داود بعد وزارته ومن قبله وكل بابن الفرات عندها ، كما سلم اليها ايضا الامير الحسين بن حمدان[2] .

وجدير بالذكر ان هذه السجون التي عرفت بسجون الدور ، قد خصصت لعلية القوم تميزا لهم عن الآخرين من سواد الناس ، وهو امر بدهي اوجبه الواقع الاجتماعي الذي كان عليه المجتمع الاسلامي في القرن الثالث الهجري .

٢ ـ الاسواق :

وجدت الاسواق عند العرب في الجاهلية والاسلام ، وان كانت بعض اسواق الجاهلية ذات الطابع الموسمي ، قد تفوقت في شهرتها ، كسوق عكاظ ومجنة وذى المجاز وغيرها[3] .

لم تقتصر هذه الاسواق على البيع والشراء ، بل اشتهرت بكونها مجتمعات تعقد فيها العقود والمعاهدات والاتفاقات ، ومواضع يعلن فيها كل ماله اثر بالجماعة ، وساحات محاكم يجلس فيها المتخاصمون للاستماع الى قرار ينطق به شخص مهاب ، اتفقوا على تحكيمه في نزاعهم ، ومراكز يتجمع فيها الرأي العام قبل الاسلام[4] .

بتطور المجتمع الاسلامي وانتقال العرب الى افاق العالم الخارجي عن

---

(١) المنجد : الخلفاء والخلعاء ، ص١٢٨ .
(٢) المنجد : الخلفاء والخلعاء ، ص١٣١ .
(٣) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٧ ، ص٣٧١ .
(٤) نفس المصدر ، ج٧ ، ص٣٨٤ .

طريق الفتح الاسلامي ، تعددت هذه الاسواق وتخصصت وازدحم فيها العوام والخواص ، وزاول فيها اصحاب الصنائع صنائعهم ، وعرض فيها الباعة سلعهم ، وسخط فيها الساخطون واعتصم في سوحها وقبابها المشاغبون والثائرون ، وتسكع في طرقاتها المكدون والمشعوذون ، وطمع في مخزونها اللصوص والشطارون . وسنحاول في بحثنا هذا ان نسلط الضوء على تحركات الرأي العام وتجمعاته والصيحات التي ارتفع بها صوته سخطا او رضى في القرن الثالث الهجري الذي زخر بالتناقضات والمفارقات وقامت في مدنه عديد من الاسواق ، حتى اصبح لكل حرفة وصنعة سوق مخصص لاهلها[1] ، يبيعون فيه سلعهم ومنتجاتهم ، ومن خلال عملهم اليومي واجتماعاتهم المتكررة ، التي كثيرا تنعقد في المساجد ايام الجمع[2] ، يتدارسون اوضاعهم سعيا وراء تحسينها .

تفوقت بغداد على سواها من المدن الاسلامية بكثرة اسواقها ، لتمتعها بمركز سياسي مرموق باعتبارها حاضرة الدولة العباسية ، ولموقعها الستراتيجي ، الذي جعل منها محطا لانظار القريب والبعيد والخاص والعام من الناس .

انقسمت اسواق بغداد الى شطرين : اسواق في الجانب الشرقي اي جانب الرصافة ، كسوق العطش الذي حول اليه المهدي كل ضرب من التجار

---

(١) ابو المطهر الازدي : حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص٢٢ .

واوضح اليعقوبي في كتاب البلدان ، ص١٤ ، ذلك بقوله « وكل سوق مفردة وكل اهل منفردون بتجاراتهم وكل اهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم » .

(٢) كالمسجد الذي امر ببنائه المنصور لاهل الاسواق ، يجتمعون فيه اوقات فراغهم وايام الجمع ، كي لايدخلوا المدينة ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٨٠ .

فشبه بالكرخ وسماه سوق الري فغلب عليه سوق العطش[1] ، واخرى في الجانب الغربي اي جانب الكرخ الذي تمركزت فيه معظم اسواق بغداد ذات الطابع الشعبي[2] .

شهدت اسواق بغداد وعلى وجه الخصوص اسواق الكرخ ، احداثا حسيمة وحركات شغب كثيرة ، فقد جعل طاهر بن الحسين لما دخل بغداد ، من سوق الكرخ مكانا يستأمن فيه اهل بغداد اذا ارادوا الامان ووضعوا السلاح وبايعوا المأمون[3] ، مما يدل على ان السواد الاعظم من مناوئيه قد شغبوا وتحركوا في هذا السوق الكبير . ولما شغب ابن عائشة وجماعته في عهد المأمون ، اتهم بأنه قد وشى في حرق سوق العطارين والصيارفة والصفارين والغرائين[4] . وعزا التنوخي[5] سبب الحريق الى : « ان جملا عليه قصب اجتاز في سوق

---

(1) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١، ص٩٣ . اليعقوبي : البلدان ، ص١٩ وقد وصفها « بالسوق العظمى الواسعة » .

(2) جدير بالذكر ان الاسواق عند مدينة بغداد كانت في طاقاتها الاربع في كل واحد منها سوق ، يقدم الخدمات للطبقة الراقية القاطنة في المدينة ، الا انه وبعد مضي حوالي عشر سنوات من بناء مدينة بغداد ، نقلت الاسواق من المدينة الى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول وقطيعة الربيع وغيرها من المناطق بامر من المنصور ، وبمرور الايام اصبح بأمكان اهل السوق الاقامة فيها بموافقة الخليفة او بغير علم منه ـ المجلة التاريخية ، العدد الثاني ، حول مدينة بغداد ، ترجمة د . حسين قاسم العزيز ـ ص١٥ . وعبر اليعقوبي في كتابه البلدان ، ص٢٠ عن ذلك بقوله : « والكرخ اوسع الجانبين لكثرة الاسواق والتجارات في الجانب الغربي » .

(3) مؤلف مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحدائق ، ج٣ ، ص٣٣٥ .

(4) ابن طيفور : بغداد ، ص٩٧ ـ ٩٨ .

(5) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص١٠١ .

الخرازين وكان رجل يثقب لؤلؤا وبين يديه نار فوقع طرف القصب على النار فاشتعلت وبلغت الجمل في لحظة ، فكان الجمل كلما احس بوقع النار عدا وتنافض الشرار من جانبي الطريق فحرق كل مايجتاز به فلم يزل على ذلك الى ان تلف الجمل وتشاغل الناس بطفي الحريق الواقع في الدور والعقار فكان حد ما احترق من اول سوق الخرازين الى طاق الحراني[1] . . . . وتلف ناس كثير وزالت نعم عظيمة بذهاب الامـوال » . ومن الطريف وحسن الصـدف ان الشاعر الجماز[2] ، قد ذكر احد تلك الحرائق التي شهدتها الاسواق آنذاك من خلال هجائه لابي السمط[3] قائلا[4] :

اجتمعَ الناسُ وصاحوا : الحريق ببـاب عثمـان وسـوق الـرقيـق
فـجـاء مـروان عـلى بـغـلةٍ فـانشدَ الشعـرَ فـأطفـا الحريق

انتشرت في بغداد وفي مناطق اخرى خارجها ، اسواق لها تسميـات بحسب مايباع فيها وهي مايمكن ان ندعوه بـالاسواق المتخصصـة ، كسوق

---

(1) « طاق الحراني بالجانب الغربي قالوا : من حد القنطرة الجديدة وشارع طاق الحراني الى شارع باب الكرخ منسوب الى قرية تعرف بورشال ـ ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٥ .

(2) هو محمد عمر بن عطا ، شاعر اديب بصري وكان ماجنا خبيث اللسان معاصرا لابي نواس واكبر منه سنا ، دخل بغداد ايام الرشيد والمتوكل ويقصد بالجماز : الوثائب ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص١٢٥ .

(3) هو ابو السمط مروان الاصغر ، عاصر الواثق والمتوكل كان ساقطا بارد الشعر ، مدح المتوكل وولاة العهود الثلاثة ـ ابو الفرج الاصبهاني : الاغاني ، ج١١ ، ص٢ - .

(4) الجاحظ : رسائل الجاحظ ، ج٢ ، ص٢٣٢ .

اللحم[1] التي تعرض فيها الماشية والدواب والطيور للبيع والشراء فقد : « انفذ فارس من الجند الذين كانوا ينوبون في دار الفضل بن سهل ، دابة قد زمنت لتباع في سوق اللحم . . .[2] » ومنهم من يسميها بسوق الدواب[3] وفي الاحداث ان « احمد بن عبدالله بن عبد الرحيم ممن صنف التاريخ قد ضربته دابة فمات في يومه وكان يمشي في سوق الدواب[4] » ، وسوق القصابين الذي جعل في اخر الاسواق بأمر من المنصور لما نقلت الاسواق الى باب الكرخ[5] ، وسوق دار البطيخ قبل ان تنقل الى الكرخ في درب يعرف بدرب الاساكفة وقد نقلت الى داخل الكرخ[6] . وهناك اسواق بأسماء بعض ايام الاسبوع[7] كسوق الثلاثاء في بغداد بالجانب الشرقي[8] ، وموقعه على وجه التحديد : بين مربعة الحرس بالشماسية وباب الازج[9] ، وقد « تجمع فيه جند احمد بن الموفق لما دخل بغداد برأس صاحب الزنج وكان جيشا لم ير مثله في سوق الثلاثاء الى المخرم . . .[10] » ، وروى التنوخي[11] انه : « كان لشيخ من التجار مال قليل

---

(١) وقد سماه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج١ ، ص١١٤ (بسوق الغنم) .
(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص١٤٠ .
(٣) كالخطيب البغدادي : في تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١١٤ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص٧٠ .
(٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٨٠ .
(٦) نفس المصدر السابق ، ج١ ، ص٨١ .
(٧) يسميها المقدس ص٢٢٥ ـ ٢٢٦ بالاسواق الاسبوعية التي تقام في يوم معين من الاسبوع وتعرف باسم ذلك اليوم .
(٨) نفس المصدر السابق ، ج٧ ، ص٩٥ . اليعقوبي : البلدان ، ص١٤ .
(٩) الازدى : حكاية ابن القاسم البغدادى ، ص٢٢ .
(١٠) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص٧٠ .
(١١) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص١٩ .

على بعض القواد فما طله واستخف به ، قال : فعملت على الظلامة الى المعتضد لاني كنت تحملت عليه واستشفعت وتظلمت الى عبيد الله بن سليمان فلم ينجع ذلك فقال لي بعض اخواني على ان اخذ لك المال ولاتحتاج الى الظلامة الى المعتضد ، قم معي الساعة ، فقمت معه فجاء بي الى خياط في سوق الثلاثاء وهو جالس يخيط . . . » مما يدل على انه كان سوقا عامرا ومشهورا ولذلك يشار اليه كدليل يستدل به على بعض مواضع بغداد[1] . ومنها سوق الاربعاء ، ذكر ابو الحسن الصيدلاني قال : « كان عندنا بسوق الاربعاء حدث لحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه وكانت تضرب عليه فحمل الى الاحواز فعولج بكل شيء فما نجع فيه دواء فرد الى بيته فأجتاز بنا طبيب متجول فوصف له دواء شفي به[2] » . وهناك سوق بهذا الاسم في الموصل يقع على ضفة نهر سمي بنهر سوق الاربعاء[3] . ويرد في احداث ثورة الزنج ذكر سوق الخميس كأحد المواضع التي تحصن فيها الزنج ففي سنة (٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م) شخص الموفق لمحاربة صاحب الزنج وبعث بأبنه ابي العباس الى سوق الخميس وكان الشعراني صاحب العلوي قد تحصن بها في جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع[4] » ، وقد بنى صاحب الزنج لاتباعه مدينة في سوق الخميس سماها المنيعة[5] . وفي احداث سنة (٢٦٩ هـ / ٨٨٢ م) « انتهى

---

(١) وقد اشار اليه ابن بطوطة بقوله : « وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الاسواق عظيمة الترتيب واعظم اسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء كل صناعة فيها على حدة وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة وفي اخره المدرسة المستنصرية » رحلة ابن بطوطة ، ج١ ، ص١٤١ .

(٢) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص١٠٧ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٣٥ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص٢٠٧ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٣٤٢ .

اصحاب الموفق الى سوق لصاحب الزنج كان اتخذها مظلة على دجلة سماها الميمونة . . . فهدمت واخربت [1]» وفي الاسواق التي التجأ اليها الزنج لما اشتد الامر عليهم سوق كانت تعرف بسوق الحسين وقد نقل اليها ماكان في الاسواق السابقة التي اكتسحها جند السلطان[2] . ولعل سوق المباركة تعتبر من اعظم اسواق الزنج « وكانت في ظهر دار الهمداني متصلة بالجسر الاول المعقود على نهر ابي الخصيب ، وهي معقل عظيم تجمع فيه الزنج وبه تجارتهم وقوام اقتصادهم ، وقد حاصرها الموفق من جهاتها الثلاث وأضرم النار في طرف من اطرافها . . .[3] » وورد ايضا اسم سوق الريان وقد تحصن فيه اصحاب السلطان قبالة الزنج[4] .

ووجدت في بغداد سوق خاصة لبيع النبيذ ومنهم من يبيع فيها الدواء فكان الناس يؤمون هذا السوق لشرب النبيذ بحجة شراء الدواء وهي حجة مفضوحة عند المحتسب ، فقد ذكر ان ابا سعيد الاصطخرى من اصحاب الشافعي قد ازال هذا السوق لما قلد حسبة بغداد وقال : لايصلح الا للنبيذ المحرم باعتبار ان وجوده تحد صريح لما اتفق عليه رأى الفقهاء[5] . وفي حكاية ابي القاسم ذكر لعدد من اسواق بغداد « كسوق يحيى[6] ، ويلي باب الطاق وسوق العروس

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص٦١٨ .

(٢) نفس المصدر : ج٩ ، ص٦٣١ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٣٨٤ .

(٤) الطبري : ج٩ ، ص٤٢٤ .

٥) ابن الاخوة القرشي : معالم القربة في احكام الحسبة ، ص٣٦ .

(٦) ورد اسم هذا السوق عندما دخل احمد بن الموفق برأس صاحب الزنج الى بغداد اذ تجمع جنده في جيش لم ير مثله في سوق الثلاثاء الى المخرم وباب الطاق وسوق يحيى . . . ـ المنتظم ج٥ ، ص٧٠ ، كما ورد ذكره في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ج٦ ، ص٣٧٦ .

وسوق النحاسين والرفائين والحلائين . . . .[1] » وهناك سوق اللعب الذي يقع على طاق عرف بهذا الاسم يستأنس فيه الناس ويمرحون بلعب وجدت في هذا السوق وقد بقي هذا السوق ولم يعترض عليه احد من المحتسبين ويستندون في ذلك الى ان عائشة (رض) كانت تلعب بالبنات بمشهد رسول الله (ص) فلا ينكر عليها[2] .

وما تميز به القرن الثالث الهجري انتشار الرقيق باعداد كبيرة كظاهرة اجتماعية ورافق ذلك وجود اسواق خاصة في المدن لعرض وبيع وشراء هذا الرقيق وقد سميت بأسواق النخاسين يوكل عليها عامل خاص او عمال يتولون من قبل الاشراف اصحاب التجارة المربحة .

وانتشرت هذه الاسواق في المدن الكبيرة كبغداد وسامراء والبصرة وبلاد اليمن[3] ، يباع فيها الرقيق باسعار مختلفة تبعا لنوعيته فهناك الرقيق الابيض والاسود ، ومنهم الغلمان والجواري والخدم والحشم . وقد كانت هذه الاسواق مراكز لتجمع الرأي العام منهم الشارى والبائع والعارض والمنادى والمتفرج ومنهم الساخط الذي وجد في هذه التجارة مأساة انسانية ، وهو بذلك يشارك الرقيق مشاعرهم المتذمرة ، كيف لا وقد وضعوا في اقفاص ونودي عليهم بالمزاد وكأنهم سلع تباع وتشتري يحق لصاحبها امتلاكها ، ووجد الناقدون في امتلاك العبيد الذي اباحه الاسلام مثلمة مع ان الاسلام حض على فك رقابهم[4] .

---

(١) حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص٢٣ .
(٢) ابن الاخوة القرشي : معالم القرية في احكام الحسبة ، ص٣٦ .
(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص١٣ ، ٢٦ .
(٤) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

الى جانب الاسواق العمومية لبيع الرقيق هناك اسواق اخـرى صغيرة توجد عادة في الدور والمنازل الخاصة[1] ، او عند بعض التجار الكبار الذين تخصصوا ببيع انواع جيدة من الرقيق بأسعار غالية لايقدم عـلى اقتنائهـا الا الخواص من الناس كالخلفاء والوزراء[2] .

يعتبر سوق النخاسين في البصرة من الاسواق المشهورة يؤمها القاصي والداني نظرا لموقعها على طريق المواصلات البحرية الذي ينقل الرقيق بواسطته من انحاء مختلفة من العالم ، ذكر ابن الجوزي[3] : ان ابا العينين اشترى غلاما من هناك بثلاثين دينارا وهو يساوي اكثر من ذلك بكثير . وفي سامراء وجدت « سوق الرقيق مربعة فيها طرق متشعبة ، وفيها الحجـر والغرف والحـوانيت للرقيق[4] . وكانت هناك في بغداد سوق كبيرة للنخاسين تقع في صينية الكرخ بين درب عون وطاق اللعب[5] . واورد الحريري في مقاماته[6] ، عـلى لسان الحرث بن همام ، وهو في بلاد اليمن وقد مات غلام له عزيز عليه قائـلا : « فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد فقلت : اريد غلاما يعجب اذا قلب ويحمد اذا جرب وليكن ممن خرجه الاكياس واخرجه الى السوق الافـلاس فاهتز كل منهم لمطلبي . . . . فلما رأيت النخاسين ناسين او متناسين . . برزت

---

(1) رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة مطبعة الزهراء ، بغداد ، ص٢٣ .

(2) ابن الساعي : نساء الخلفاء ، ص٤٧ .

(3) ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص١٥٩ .

(4) اليعقوبي : البلدان ، ص٢٦ .

(5) حكاية ابي القاسم البغدادي : ص٢٣ .

(6) مقامات الحريري : ص ٢٧٠ ـ ٣٧٢ .

السوق بالصفر - اي بالدنانير والدراهم - فاني لاستعرض الغلمان واستعرض الاثمان اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام وقبض على زند غلام وقال :

مَنْ يشتري مني غلاماً صنعا في خَلقه وخُلقه قد برعا
بكل ما نُطْتَ به مضطلعا يُشفيكَ ان قالَ وان قُلتَ وعى

قال فأعجبني واشتريته بمائتي درهم[1] .

اتخذ الرأي العام من الاسواق مراكز يتجمع فيها وبخاصة في اوقات الازمات والفتن فقد « تجمع اصحاب المعتز من الغوغاء والسوقة ، واصحاب الحمامات وغلمان الباقلي في السوق وناحية الشارع في نحو من الف رجل والسلاح في ايديهم[2] » . وفي سنة (٢٥١ / ٨٦٥) تجمع الغوغاء بسامراء « فانتهبوا سوق اصحاب الحلي والسيوف والصيارفة واخذوا جميع ما وجدوا فيها من متاع وغيره ، فأجتمع التجار الى ابراهيم المؤيد اخي المعتز فشكو ذلك اليه واعلموه انهم كانوا ضمنوا لهم اموالهم وحفظها عليهم فقال لهم : كان ينبغي لكم ان تحولوا متاعكم الى منازلكم[3] » .

تبرز اهمية الاسواق كمراكز لتجمع الناس من خلال احداث الزنج فقد « تجمع زهاء اربعة الاف رجل او يزيدون من اصحاب السلطان وفي مقدمتهم قوم عليهم ثياب مشهرة واعلام وطبول في سوق الريان وعلى رأسهم رجل من الاتراك يكني ابا هلال[4] » من التجار والباعة واصحاب السوق والمنتفعين اعداء الزنج . وفي المناسبات العامة والافراح تزين الاسواق والدكاكين بعلائم

---

(١) مقامات الحريري : ص٣٧٤ .

(٢) الطبري : ج٩ ، ص٢٥٦ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٤٩ .

(٤) الطبري : ج٩ ، ص٤٢٤ .

الزينة والبهرجة وتكتظ بالناس كالذي حدث في اواخر القرن الثالث الهجري عندما ورد رسول صاحب الروم الى بغداد اذ « وقف الجند على اختلاف اجيالهم صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين ايديهم الجنائب . . . وقد اظهروا العدد والاسلحة الكبيرة من اعلى باب الشماسية والى قريب من دار الخلافة وبعدهم الغلمان والخدم والخواص . . . الى حضرة الخلافة بالبزة الرائقة والسيوف والمناطق المحلاة واسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظارة وقد اكترى كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة[1] » .

وهناك اماكن في الاسواق والشوارع العامة يتجمع فيها الناس لامر معين او حدث يجلب انتباه الرأي العام ، ويدخل في هذا المجال المشاجرات الفردية التي تستأثر باهتمامات الناس ، والاماكن التي يقف فيها الباعة المتجولون الذين ينفردون ببيع سلعة نادرة او بضاعة رخيصة ، او دواء يشفي مرضا او امراض ، وهذا الصنف انتشر في بغداد في اكثر من شارع وجانب ، كالذي ذكره ابن طيفور[2] : من ان بائعا في شارع الخلد ، كان ينادي على دواء لبياض العين قد انثالوا عليه من كل جانب .

٣ ـ المساجد :

بظهور الاسلام اصبح المسجد اقدس مكان للعبادة ، يؤم فيه الخليفة او الوالي او الامام الناس في الصلاة بأوقاتها الخمس ، ويخطب من على منبره في جماعة المسلمين في امور الدين والدنيا بعد كل بيعة ، وفي ايام الجمع ، والاعياد ، والمناسبات الاخرى ، والمسجد افضل مركز لادارة شؤون الدولة

---

(١) الصابي : رسوم دار الخلافة ، ص١١ ـ ١٢ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ، ص٥٠ .

السياسية والاجتماعية ايام الحرب والسلم ، فقد استقبل فيه الرسول (ص) السفراء والرسل[1] ، وكان ابو بكر يجلس في ساحة مسجد النبي للنظر في شؤون الامة وهو اقرب الناس الى رسول الله[2] ، وعقدت في رحابه المعاهدات وتعالت في ارجائه صيحات الحرب وهمسات السلام وعبارات النصح والارشاد ، واتخذ لوقت قريب مقرا لاجتماع العلماء واصحاب الرأي ، ومعهدا لنشر العلم والمعرفة يتعلم فيه الناس اصول الدين واللغة ، ومنتدى للشعر والادب والمناظرة ، ومجلسا للنظر في المظالم والخصومات . واتخذه القضاة مكانا لعقد جلساتهم ومرافعاتهم ومحكمة للتقاضي ، وموضعا يحجز فيه المتهم مؤقتا الى حين صدور الحكم الفوري عليه وفق مبادىء الاسلام[3] .

كان اول مسجد اسس في الاسلام هو مسجد قباء ، وقد شارك الرسول (ص) في وضع لبناته الاولى ، وفي المدينة بنى المسلمون مسجدهم المعروف الذي دفن فيه رسول الله[4] ، والذي على غراره بنيت المساجد الاسلامية الاخرى كمسجد البصرة والكوفة ومسجد عمرو بن العاص في مصر وجامع القيروان في شمال افريقيا وجامع واسط في العراق .

اتخذ المسلمون من المساجد معاهد للدراسة والتدريس اقتداء بما جرى عليه الرسول عندما اتخذ من المساجد اماكن لتجمع الرأي العام وحلقات للدرس عن ابي واقد الليثي قال : « بينما رسول الله (ص) في المسجد فأقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله (ص) وذهب واحد ، فاما احدهما فرأى

---

(١) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص١٥٧ .

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ، ج١ ، ص٢٣٣ .

(٣) سبق ان اوضحت ذلك في بحث السجون .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٩٤ - ٤٩٨ .

فرجة فجلس واما الآخر فجلس خلفهم ، واما الآخر فأدبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله (ص) قال : الا اخبركم عن الثلاثة اما احدهم فأوى الى الله فأواه الله واما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه واما الآخر فاعرض فاعرض الله عنه[1] » ، وذات مرة دخل كعب بن زهير على الرسول (ص) وهو في المسجد بين اصحابه ، طالبا منه الامان وانشد : « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول[2] » ، وهو شعر غزل اصغى له الرسول والحاضرون من المسلمين وقد انعقد نيتهم للصلاة ، فلنا ان نقيس على ذلك امورا اخرى تتعدى كون المسجد مكانا للعبادة ، ومعهدا لتعليم امور الدين ، مما يدل على المكانة المرموقة التي احتلها المسجد في حياة الجماعة الاسلامية .

ان كون المسجد مدرسة يتعلم فيها الناس امور الدين والدنيا ، حقيقة لاغبار عليها فقد تنوعت وتعددت حلقات الدرس والمناظرة في المساجد وخصصت الكراسي والاساطين والزوايا ، لتدرس فيها مختلف صنوف المعرفة التي لم تقتصر على المعارف الدينية بل تعدتها الى العلوم الصرفة كالكيمياء والطبيعيات والطب والرياضيات . فقد روى صاحب الاغاني[3] : ان شيخا من اهل الكوفة دخل مسجد المدينة ببغداد بعد ان بويع الامين بسنة فاذا عليه جماعة وهو ينشد .

لهفي على ورقِ الشباب ... وغصونهِ الخُضرِ الرطاب
ذهبَ الشبابُ وبان عني ... غير منتظر الاياب . . . الخ

قال : فجعل ينشدها وان دموعة لتسيل على خديه ، فلما رأيت ذلك لم اصبر ان ملت فكتبتها وسألت عن الشيخ فقيل لي هو ابو العتاهية . وفي سنة

---

(1) صحيح البخارى : ج1 ، ص63 .

(2) الاصبهاني : الاغاني ، ج15 ، ص149 .

(3) الاصبهاني : الاغاني ، ج3 ، ص148 .

(٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) رحل الطبري الى مصر واملى في مسجد عمرو شعر الطرماح عند بيت المال في الجامع [١] .

استمر المسجد في القرن الثالث الهجري مركزا لتجمع الرأي العام الاسلامي في العبادة وعند الازمات والشدائد ومنبرا يدعى الناس فيه للجهاد ، والولاء ، والنصيحة ، والموعظة الحسنة . وكانت للخطب التي تلقى من على منبره كل جمعة ومناسبة اثر كبير في نفوس الناس وقد مارس بعض الخلفاء الخطابة في المساجد كما فعل الخليفة المهتدى بالله الذي كان « يحضر كل جمعة الى المسجد الجامع ويخطب الناس ويؤم بهم [٢] » .

ومن مراسيم الخلافة التي اصبحت تراثا اسلاميا ، مبايعة الخليفة بيعة عامة في المسجد والذي يلاحظ على هذه البيعة انها اصبحت شكلية في منتصف القرن الثالث الهجري بعد ضعف الخلافة العباسية وسيطرة الاتراك على مقاليد الامور ، ومع ذلك فقد حافظوا عليها ارضاء للرأي العام الاسلامي « ففي سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م بايع القواد والموالي والشاكرية واهل بغداد الخليفة المعتز وخطب له في المسجد الجامع ببغداد في الجانب الشرقي والغربي [٣] » فكان ذلك بمثابة البيعة العامة له في حين ان بيعته الخاصة انحصرت برغبة نفر من الامراء الاتراك نادوا به خليفة مكان اخيه المستعين الذي تنازل عن الخلافة قسرا [٤]

يحتل المسجد مكانة مقدسة في نفوس المسلمين كمركز رئيس للعبادة التي هي ركن اساس في صرح الدين الاسلامي ، يلجأ اليه الضعفاء والمظلومون

---

(١) ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ج٤ ، ص٢٤٣ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٨٣ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٦٦ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص١٦١ .

كلما اصابتهم لحاجة وخصاصة ، وقد يتخذه الناقمون حصنا يتحصنون فيه كحرم آمن ، عندما خرج العامة على المهتدى سنة (٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) « صاروا الى دار اشناس وقد صيروها مسجدا جامعا لهم فوقف ووقفوا له في الرحبة واجتمع منهم زهاء مائة وخمسين فارسا ونحو خمسمائة راجل[١] » . وعندما طلبوا صالح بن وصيف « اجتمعوا في مسجد لجين ام ولد المتوكل بسامراء[٢] » . ولما ضاق الامر بالزنج في حصار الموفق لهم تحصنوا في المسجد الجامع فكان حماسهم في الدفاع عن المسجد وقدسيته يفوق حماسهم وهم في خارجه وقد استغل صاحبهم العلوي ذلك في إلهاب مشاعرهم الدينية[٣].

ومع ما للمسجد من قدسية دينية ورابطة اجتماعية في نفوس المسلمين فان الازمات والمشاغبات قد تبطل هذه القدسية ، وتحول دون اداء الناس لصلواتهم وشعائرهم ، فقد « منع اهل المدينة من الصلاة في مسجد الرسول (ص) اربع جمع لا جمعة ولا جماعة بدخول محمد وعلي ابني الحسين بن جعفر المدينة سنة (٢٧١ هـ / ٨٨٤م)[٤] » .

اتخذت المساجد مراكز لتوعية الناس واشعارهم بأوضاعهم وتعليمهم امور دينهم والى مايراد منهم فعله محاربة للباطل والمنكر والاوضاع الشاذة ، ففي سنة (٢٧٢ هـ / ٨٨٥م) « ضجت العامة بسبب غلاء السعر واجتمعت للوثوب بالطائي ، فأنصرفوا من مسجد الجامع للنصف من شوال الى داره بين باب البصرة وباب الكوفة وجاءوه من الكرخ فأصعد الطائي اصحابه على

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص٤٤٤ .

(٢) نفس المصدر ، ج٩ ، ص٤٥١ .

(٣) الطبري : ج٩ ، ص٦١٨ ، بالاضافة الى ما اورده ابن الاثير في الكامل ، ج٧ ، ص٣٧٦ .

(٤) الطبري : ج٩ ، ص٧ .

السطوح فقتل بعض العامة وجرحت منهم جماعة ولم يزالوا يقاتلونهم الى الليل حتى انصرفوا[1] » .

ومن فوق منابر المساجد روج اصحاب المبادىء والافكار مبادئهم وافكارهم ، روى ابن الجوزى[2] : « ان جماعة من اهل البدع والاعاجم ، قدموا بغداد فارتقوا المنابر فكان معظم مايقولونه للعوام : ليس لله في الارض كلام . . . . وان الله ليس في السماء ، فكان ذلك مدعاة لانقسام الناس بين اكثرية من جماعة السنة تحارب هذه الاقوال ، واقلية منهم ساورتهم الشكوك وتسربت الى اذهانهم الريبة والشبهات » .

واتخذ الناس من المسجد مكانا يقضون فيه جزءا من اوقاتهم يتجاذبون فيه اطراف الحديث وينظمون تحت سقوفه وبين رحابه اعذب الاشعار ، « فقد حدث ابو العتاهية قائلا : قدمنا من الكوفة ثلاثة فتيان شبان ادباء وليس لنا ببغداد من نقصده ، فنزلنا غرفة بالقرب من الجسر ، فكنا نبكر فنجلس في المسجد الذي بباب الجسر في كل غداة وكنا نستعرض المارة ونقول فيهم مانشاء فاذا ما مرت امرأة سألنا عن اسمها وعملنا فيها شعرا . . . . . .[3] » .

ولابأس ونحن بصدد البحث عن المساجد باعتبارها مركزا مهماً من مراكز الرأي العام الاسلامي ، ان نذكر ان هذه المساجد قد انتشرت في بغداد انتشارا لانظير له كأماكن للعبادة تقام فيها الصلوات الخمس بأوقاتها ، وان بعضا منها تخصصت بصلاة الجمعة والخطبة ، وهي ماتعرف بالمساجد الجامعة التي امتازت بسعتها وتعدد اقبيتها ، وقد اورد ابو المطهر الازدى[4] بعضها عند

---

(١) الطبري : ج١٠ ، ص١٠ .

(٢) ابن الجوزى : صيد الخاطر ، ص١٤٥ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٦ ، ص٢٥٤ .

(٤) ابو المطهر الازدى : حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص٢٣ .

وصفه لبغداد ، كجامع المنصور[1] ، وجامع الرصافة[2] ، وجامع القطيعة[3] ، وجامع براثا[4] ، وغيرها .

واضاف الخطيب البغدادي الى ذلك : مسجد الخضر الذي يقع على مقربة من قبر معروف الكرخي[5] ، ومسجد ابن شاهين بالجانب الشرقي[6] ، والمسجد الجامع يسر من رأى[7] ، وذكر ابن بطوطة[8] : « ان ببغداد من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة احد عشر مسجدا منها بالجانب

---

(١) وفي زمن المعتضد بالله زيدت مساحة هذا المسجد الجامع ليستوعب الفائض من المسلمين ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٠٨ ـ .

(٢) وهو المسجد الجامع الذي بناه المهدي في اول خلافته وهو ثاني مسجد بمدينة السلام بعد مسجد المدينة تقام فيه صلاة الجمعة ـ الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص١٠٩ .

(٣) نسبة الى قطيعة ام جعفر في الجانب الغربي بالقرب من نهر القلايين ـ الخطيب البغدادي ، ج١ ، ص١٠٩ .

(٤) ولعله هو ما اشار اليه الخطيب البغدادي بقوله : « وفي السوق العتيقة مسجد تغشاه الشيعة وتزوره وتظمه وتزعم ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلى في ذلك الموضع » ، ج١ ، ص٩٠ . وقد هدم بأمر من المقتدر بالله لاجتماع الشيعة فيه ومكث خرابا الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة حيث اصبح من المساجد الجامعة المعروفة في مدينة السلام .

الخطيب البغدادي : ج١ ، ص١٠٩ ـ ١١٠ .

(٥) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٢٧٦ .

(٦) نفس المصدر ، ج٦ ، ص٣٩٧

(٧) نفس المصدر ، ج٦ ، ص٢٦٨ .

(٨) رحلة ابن بطوطة : ج١ ، ص١٤٠ .

الغربي ثمانية وبالجانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جدا »[1] .

ويكفي ان نقول بان المسجد لازال يؤثر في الرأي العام بما له من قدسية دينية في قلوب المسلمين .

٤ ـ الاجتماعات العامة :

تعددت مراكز تجمعات الرأي العام الاسلامي في القرن الثالث الهجري بتعدد الاماكن التي يتردد الناس عليها في المناسبات والاعمال اليومية ، من هذه المراكز المتفرقة الحمامات التي وجد منها الكثير في بغداد وخارجها ، ومجالس المناظرة والمناقشة والجدل بعد ان اظهرت محنة القرآن وتباينت الفرق والمذاهب الاسلامية والمكتبات التي انشأها بعض الخلفاء اسنادا للعلم والمعرفة كدار الحكمة او بيت الحكمة في بغداد التي تحفظ فيها الكتب كما يحفظ مال الدولة في بيت المال[2] ، التي وضع نواتها الرشيد ونماها وقواها ابنه المأمون[3] . وكدار العلم بجانب الكرخ ببغداد ، وقد اشتملت على مئات الكتب في مختلف العلوم ، وكدار العلم في الموصل ، وفيها خزانة كتب في جميع العلوم وكانت وقفا لكل طالب علم ، وهناك دور الكتب في المساجد والربط ينهل منها المتعلمون عموما والطلاب والاساتذة في حلقات التدريس المنعقدة في المساجد على وجه الخصوص . وقد تنافس هواة العلم في تزويدها بالكتب ووقفها عليها .

تعتبر المناسبات العامة فرصا لتجمع الرأي العام واماكن يزدحم فيها الناس

---

(١) حصيت مساجد بغداد عموما بثلاثين الف مسجد ، خمسة عشر الفاً منها في جانب الكرخ « انظر : اليعقوبي : البلدان ، ص١٧ ، ٢٠ » .

(٢) احمد امين : ضحى الاسلام ، ج٢ ، ص٦٤ .

(٣) نفس المصدر ، ج٢ ، ص٦١ .

كمناسبات الافراح في الاعياد والولائم ، وحفلات الزواج والختان وايام الحج والزيارات الرسمية ومجالس السمر والغناء في قصور الخلفاء والاثرياء واعلان الجهاد او بعد الانتصارات في الحروب وقهر الاعداء . ومناسبات الافراح كالتجمع على المقابر والجنائز والمآتم العامة وعند الشدائد والازمات والكوارث الطبيعية ، وعند العتبات المقدسة التي يقصدها الناس للزيارة والتبرك وما الى ذلك مما يدخل في معتقدات العامة الدينية . وسنعرض لبعض هذه الاماكن والمناسبات كمراكز تجمع فيها الرأي العام الاسلامي في القرن الثالث الهجري .

وتأتي الاعياد الدينية في مقدمة المناسبات المفرحة التي توفر للناس فرصة الاجتماع في المسجد ، لاداء صلاة العيد والعادة ان يحضر الخليفة ، او من ينوب عنه . ويتعارف المصلون ، ويهنىء بعضهم بعضا من خلال هذا الاجتماع ، وعن طريق هذه الاجتماعات الثابتة يظهر الرأي العام افراحه وطقوسه التي تنم عن الرضى التام . وهناك حفلات الزواج وما يرافقها من ولائم ودعوات ومجالس طرب وغناء ولا ادل على ذلك من زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل « اذ كان عرسا لم يسمع بمثله في الدنيا[1] » . ومثل الوليمة العظيمة التي اولمها المتوكل لما اعذر ابنه المعتز[2] ، ويقدم احمد بن طولون نموذجا فريدا للولائم الباذخة التي اجتمع عندها العديد من الناس من اهل مصر[3] .
ويلاحظ على هذه الولائم كونها مركزا لتجمعات الطبقة الخاصة دون العامة التي تتضور جوعا .

---

(١) ابن طيفور : بغداد ص١١٥ .

(٢) الثعالبي : لطائف المعارف ، ص١٢٢ .

(٣) ابن الزبير : الذخائر والتحف ، ص١٠٥ .

وتشهد بيوت المحسنين من المسلمين ايام الحج الكثير من هذه الولائم التي يقيمها الحجاج الذين عادوا لتوهم من اداء هذه الفريضة المقدسة وصدورهم تجيش بعواطف دينية يحرصون على اظهارها بالبذخ والعطاء .

وجدير بنا ونحن بصدد هذه المناسبة ان نذكر ان الحج يعتبر وعلى مستوى عالمي موسمية لامثيل لها ومركزا فريدا يتجمع فيه الرأي العام الاسلامي حتى الوقت الحاضر .

ومن المراكز التي شهدها القرن الثالث الهجري ، مجالس المناظرة والمناقشة التي عقدت بأمر الخلفاء انفسهم ، « فقد امر المأمون عند دخوله بغداد ان يجمع له وجوه الفقهاء واهل العلم من اهل بغداد فاجتمع من اعلامهم اربعون رجلا وجلس المأمون لهم يناقشون في مسائل الحديث والعلم[1] » وتكررت هذه المجالس لما جاهر المأمون بالقول في خلق القرآن ، كالمجالس التي عقدها اسحاق بن ابراهيم والي بغداد بامر من المأمون نفسه عدة مرات[2] ، ومجالس اخرى عقدها العلماء والفقهاء والادباء للمناظرة في مسائل اللغة والعلم والمعرفة والاوضاع العامة التي عليها الدولة ، مما يدل على ان هذه المناظرات لم تقتصر على الامور الدينية ، فهي لذلك تعتبر مراكز عبر فيها الرأي العام الاسلامي عن كل مايشغل اذهان الناس آنذاك . وقد عقدت بعض هذه المجالس في قصور الخلفاء والامراء ، « حقد المهتدى بالله على احمد بن اسرائيل لما قيل له ان احمد قد ذكره بكلام بشع قبيح في مجلس المعتز بالله ورسم ان يضرب بباب العامة الف سوط »[3].

---

(١) ابن طيفور : بغداد ، ص٤٠ .

(٢) الطبري : ج٨ ، ص٦٣٤ .

(٣) البيهقي : المحاسن والمساوىء ، ص٥٣٨ ـ ٥٣٩ .

ومن بين اماكن تجمع الرأي العام العديدة التي شهدها القرن الثالث الهجري ، ظلت الاماكن الدينية كالعتبات المقدسة ، ومقابر الائمة والصالحين من اهم المراكز التي ازدحم فيها الناس ، يظهرون حول اعتابها الطاعة والتذلل والمغفرة ، واذا ما تعرضت هذه الاماكن لحيف او قهر ضج الرأي العام الاسلامي مدافعا عنها لما لها من هيمنة على نفوس الناس[1] .

ويكتظ الناس حول الجنائز ومدافن الموتى ، فقد اتخذ الناس من الموضع الذي علقت فيه جثة احمد بن نصر الخزاعي ، مكانا يجتمعون فيه « ولما هم المتوكل من انزالها عن الخشبة اجتمع الغوغاء والرعاع الى موضع تلك الخشبة وكثروا وتكلموا فبلغ ذلك المتوكل فوجه اليهم نصرا بن الليث فأخذ منهم نحوا من عشرين رجلا فضربهم وحبسهم[2] » وذكر ابن كثير[3] « ان الناس فرحوا فرحا شديدا لما أمر المتوكل بأنزال جثة احمد والجمع بين رأسه وجسده وان يسلم الى اوليائه ، واجتمع في جنازته خلق كثير جدا ، جعلوا يتمسحون بها وباعواد نعشه وكان يوما مشهودا ثم اتوا الى الجذع الذي صلب عليه فجعلوا يتمسحون به وارهج العامة بذلك فرحا وسرورا فكتب المتوكل الى نائبه يأمره بردعهم . . . وأمر بالكف عن القول بخلق القرآن واظهر اكرام احمد بن حنبل واستدعاه من بغداد اليه واكرمه » ، وتعتبر جنازة الامام احمد بن حنبل من اشهر جنائز القرن الثالث لكثرة من حضرها من الناس ، وقد قدر ابن خلكان[4] عددهم « بثمانمائة الف من الرجال وستون الف من النساء . . .

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص١٨٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج٧ ، ص٦٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص٣١٦ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج١ ، ص٤٨ .

واستمر التجمع على قبره مدة وان المصلين استمروا في صلاتهم بعد دفنه ، فقد روى احدهم انه لم يتمكن من الوصول الى قبر الامام الا بعد ايام من وفاته » .
ووصف المسعودي جنازة الامام احمد قائلا[1] : وكانت وفاته في خلافة المتوكل بمدينة السلام وذلك في شهر ربيع الاخر سنة (٢٤١ هـ / ٨٥٥م) ودفن بباب حرب في الجانب الغربي . . . وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع في جنازة من سلف قبله ، وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد في الامور منها : ان رجلا منهم كان ينادي العنوا الواقب عند الشبهات » . كما اظهر الناس السنة والطعن على اهل البدع وكانوا يلعنون بشر المريسي والكرابيسي بأصوات عالية واقام الناس اياما يزدحمون على القبر[2] . وفي بعض الاحيان لايتهيأ للسلطة نصب جثث الخارجين عليها خوفا من التذمر وحتى لو تمكنت من ذلك فان مدة النصب تكون قصيرة فقد « نصب رأس يحيى بن عمر بباب العامة بسامرا فأجتمع عليه وكثروا وتذمروا فنصب لحظة ثم حط ورد الى بغداد لينصب بها بباب الجسر فلم يتهيأ ذلك لكثرة من اجتمعوا فلم ينصبه بل جعل في صندوق[3] » .

ومن الاماكن المعروفة ببغداد التي يجتمع عندها الناس ، موضع الدير العتيق الذي وراء نهر عيسى ، وقد تعرض هذا الدير الى النهب والهدم من قبل العامة سنة (٢٧١ / ٨٨٤) حتى انهم « انتهبوا كل ما كان فيه من متاع وقلعوا الابواب والخشب وهدموا بعض حيطانه وسقوفه ، فصار اسماعيل صاحب شرطة بغداد من قبل محمد بن طاهر فمنعهم من هدم مابقي منه . . . »[4] .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ ، ص١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٢) باتون : احمد بن حنبل والمحنة ، ص٢٢٨ .

(٣) الطبري : ج٩ ، ص٢٧٠ .

(٤) الطبري : ج١٠ ، ص٨ . الكامل لابن الاثير ، ج٧ ، ص٤٢٠ .

ومن مراكز تجمع الرأي العام ، الحمامات التي كثر عددها في بغداد وخارجها فمنها ما كان عاما لكل الناس ، ومنها ماكان خاصا في قصور الخلفاء والامراء والوزراء ودور الاغنياء ، ومنها ما كان مخصصا للرجال ويقابل ذلك حمامات خاصة بالنساء

وللحمامات اهمية اجتماعية باعتبارها مركزا يرتاده الناس من مختلف الطبقات ، بالاضافة الى العديد من العمال الذين يشتغلون فيها ، كصاحب الصندوق والقيم ، والوقاد ، والزبال والمزين والحجام ، وآخرين كثيرين ، [1] قدرهم الصابي بثلثمائة وستين الف عامل اشتغلوا في ستين الف حمام زمن المعتضد .

والملاحظ على الحمامات العامة خضوعها لرقابة المحتسب الذي يبث عيونه على ابوابها لمنع احتكاك الشباب بالنسوة عند الدخول والخروج [2]

---

(1) الصابي : رسوم دار الخلافة ، ص١٩ .

(2) نفس المصدر ، ص٢٠ . احصيت حمامات بغداد بعشرة الاف حمام ، خمسة الاف منها في جانب الكرخ ، انظر : « اليعقوبي : البلدان ، ص١٧ ، ٢٠ » .

المصادر ومراجع البحث

اولا ـ المصادر الاولية :

الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد ابو الفتح (٨٥٠ هـ = ١٤٤٦ م) .

١ ـ « المستطرف من كل فن مستظرف » جزءان ، مطبعة المشهد الحسيني بمصر (١٩٦٥ / ١٣٨٥) .

ابن ابي طالب ، امير المؤمنين : علي (٤٠ هـ = ٦٦٠ م) .

٢ ـ « نهج البلاغة » (٣ اجزاء) ، جمع الشريف الرضي ، شرح محمد عبده مؤسسة الاعلمي ، بيروت .

ابن الاثير ، علي بن احمد ابي الكرم الملقب عز الدين (٦٣٠ هـ = ١٢٣٢ م) .

٣ ـ « الكامل في التاريخ » (١٣ جزءاً) ، دار صادر ودار بيروت بلبنان (١٩٦٥ / ١٣٨٥) .

ابن الاخوة القرشي ، محمد بن محمد بن احمد (٧٢٩ هـ = ١٣٢٨ م) .

٤ ـ « معالم القربه في احكام الحسبة » ، تصحيح روبن لوي ـ مطبعة دار الفنون ـ كمبردج (١٩٣٧ / ١٣٥٦) .

ابن بطوطة ، شرف الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي (٧٧٩ هـ = ١٣٧٧ م) .

٥ ـ « رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » (جزءان) . المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

ابن البيطار ، عبد الله بن احمد (القرن السادس الهجري) .
٦ ـ « الجامع لمفردات الادوية والاغذية » (٤ أجزاء) بولاق ١٨٧٤ / ١٢٩١) .
ابن تيمية ، شيخ الاسلام ، ابو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم (٧٢٨ هـ = ١٣٢٧ م) .
٧ ـ « منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية » (جزءان) تحقيق د . محمد رشاد سالم ، مطبعة المدني بمصر (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .
ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد (٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م) .
٨ ـ « المنتظم في تاريخ الملوك والامم » (٦ اجزاء من ٥ ـ ١٠) .
طبعة حيدر اباد الدكن ـ الطبعة الاولى (١٩٣٨ / ١٣٥٧) .
٩ ـ « الاذكياء » المطبعة الميمنيه ، القاهرة (١٣٠٦ / ١٨٨٨) .
١٠ ـ « تلبيس ابليس ، نقد العلم والعلماء » المطبعة المنيرية بمصر .
١١ ـ « صيد الخاطر » تصحيح عبد السلام خضير ـ مطبعة خضير بمصر .
١٢ ـ « اخبار الظراف والمتماجنين » تعليق محمد بحر العلوم ، ط٢ ، مطبعة الغرى الحديثة في النجف (١٩٦٧ / ١٣٨٣) .
١٣ ـ « اخبار الحمقى والمغفلين » جمع علي الخاقاني مطبعة البصري والبيان ـ بغداد .
ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية عمر الهاشمي البغدادي (٢٤٥ هـ = ٨٥٩ م)
١٤ ـ « المحبر » تصحيح ايلزي ليختن سينزر ، مطبعة دار المعارف

العثمانية ، حيدر اباد الدكن (١٩٤٢ / ١٣٦١) .

ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (٤٥٦ هـ = ١٠٦٣ م) .

١٥ ـ « المحلى » (١١ جزء) ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مطبعة النهضة . .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م) .

١٦ ـ « مقدمة ابن خلدون » دار احياء التراث ، بيروت .

ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن ابراهيم بن ابي بكر الشافعي البرمكي (٦٨١ هـ = ١٢٨١ م)

١٧ ـ «وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان» (٦ أجزاء) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر (١٩٤٨ / ١٣٦٧) .

ابن الزبير ، القاضي الرشيد ، (القرن الخامس الهجري) .

١٨ ـ « كتاب الذخائر والتحف » تحقيق د . محمد حميد الله ، مطبعة حكومة الكويت (١٩٥٩ / ١٣٧٩ .

ابن الساعي ، تاج الدين علي بن انجب (٦٧٤ هـ = ١٢٧٥ م) .

١٩ ـ « نساء الخلفاء المسمى جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء » .

تحقيق . مصطفى جو دار ، المعارف ، القاهرة .

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م) .

٢٠ ـ « الفخري في الاداب السلطانية والدولة الاسلامية » مطبعة محمد علي صبيح بمصر (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .

ابن طيفور ، ابو الفضل احمد بن طاهر الكاتب (٢٨٠ هـ = ٨٩٣ م) .

٢١ ـ « بغداد في تاريخ الخلافة العباسية » مكتبة المثنى ببغداد

(١٩٦٨ / ١٣٨٨) .
ابن عبد ربه ، ابو عمر شهاب الدين احمد بن محمد المرواني الاندلسي (٣٢٨ هـ = ٩٣٩ م) .

٢٢ ـ « العقد الفريد » (٧ أجزاء) شرح وتصحيح احمد امين وجماعته ط٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر (١٩٤٨ / ١٣٧٠) .

ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (١٠٨٩ هـ = ١٦٧٨ م) .

٢٣ ـ « شذرات الذهب في اخبار من ذهب » (٨ أجزاء) ، مكتبة القدسي بالقاهرة (١٩٣١ / ١٣٥٠) .

ابن قتيبة الدينورى ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م) .

٢٤ ـ « الامامة والسياسة » مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ط٢ ، (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م) .

٢٥ ـ « البداية والنهاية في التاريخ » (١٤ جزء) ، مطبعة السعادة بمصر (١٩٣٢ / ١٣٥١) .

ابن المعمار ، ابوعبد الله محمد بن ابي المكارم الحنبلي (٦٤٢ هـ = ١٢٤٤) .

٢٦ ـ « كتاب الفتوة » تحقيق د . مصطفى جواد وزملائه ، مطبعة شفيق ببغداد (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .

ابن منظور ، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الخزرجي (٧١١ هـ = ١٣١١ م) .

٢٧ ـ « لسان العرب » (١٥ مجلد) دار صادر ودار بيروت (١٩٥٥ / ١٣٧٥) ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحق (٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م) .

٢٨ ـ « كتاب الفهرست » القاهرة ، مطبعة الاستقامة .

ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب (٢١٨ هـ = ٨٣٣ م) .

٢٩ ـ « كتاب السيرة النبوية » (٤ أجزاء) ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، ط٢ ، (١٩٥٥ / ١٣٧٥) .

ابو العتاهية ، ابو اسحق اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان (٢١٠ هـ = ٨٥٢ م) .

٣٠ ـ « ديوان ابي العتاهية » دار صادر ودار بيروت (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

ابو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغري بردى الاتابكي (٨٧٤ هـ = ١٤٦٩) .

٣١ ـ « النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة » (١٢ جزءا) دار الكتب بمصر (١٩٥٦ / ١٣٧٦) .

ابو المطهر الازدى ، محمد بن احمد (عاش في القرن الرابع الهجري) .

٣٢ ـ « حكاية ابي القاسم البغدادي » نشر ادم متز ـ مطبعة كرل ونتر ـ هيدلبرج (١٩٠٢ / ١٣٢٠) .

ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (١٩٢ هـ = ٨٠٧ م) .

٣٣ ـ « كتاب الخراج » القاهرة ، المطبعة السلفية ، ط٢ (١٩٣٣ / ١٣٥٢) .

الاشعري ، ابو الحسن علي بن اسماعيل (٣٣٠ هـ = ٩٤١ م) .

٣٤ ـ « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين » (جزءان) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، ط١ (١٩٥٤ / ١٣٧٤) .

الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان (٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م) .

٣٥ ـ « كتاب الاغاني » (٢٠ جزءً) ، بيروت ، دار الفكر للجميع عن طبعة بولاق الاصلية (١٩٧٠ / ١٣٩٠) .

الامدي ، سيف الدين ابو الحسن علي بن ابي علي بن محمد (٦٣١ هـ = ١٢٣٣) .

٣٦ ـ « الاحكام في اصول الاحكام » (٤ أجزاء) نشر محمد البيلاوي ، مطبعة المعارف بمصر (١٩١٤ / ١٣٣٢) .

البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزيه (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م) .

٣٧ ـ « صحيح البخارى » (٤ أجزاء) مصر ، مطبعة البهية ، ط٢ ، (١٩٢٤ / ١٣٤٣) .

البخارى : عبد العزيز احمد بن محمد (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) .

٣٨ ـ « كشف الاسرار على اصول الامام فخر الاسلام علي بن محمد

البزدوي » طبع حسن حلمي الريزوي سنة (١٣٠٧ / ١٨٨٩) .
بديع الزمان ، ابو الفضل احمد بن الحسين بديع الزمان الهمداني (٣٩٨ هـ = ١٠٠٧ م) .

٣٩ ـ « مقامات الهمداني » شرح محمد عبده ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ط٤ ، (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

البغدادي ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الاسفرائيني التميمي (٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م) .

٤٠ ـ البزدوي : علي بن محمد (٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م) .

« اصول الفقه » هامش كتاب كشف الاسرار ، طبع سنة (١٣٠٧ / ١٨٨٩) .

٤١ ـ « الفرق بين الفرق » تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ، مطبعة المدني .

٤٢ ـ « كتاب اصول الدين » استانبول ، مطبعة الدولة ، ط١ ، (١٩٢٨ / ١٣٤٧) .

البلخي ، ابو زيد احمد بن سهل وينسب حقيقة الى مطهر بن طاهر المقدسي (٣٢٢ هـ = ٩٤٤ م) .

٤٣ ـ « كتاب البدء والتاريخ » (٦ أجزاء) شالون ، مطبعة برطرند (١٩١٦ / ١٣٣٥) .

البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد (٤٤٠ / ١٠٤٨) .

٤٤ ـ «الآثار الباقية عن القرون الخالية» ليبزك ١٣٤٢ هـ/١٩٢٣ م

البيهقي ، ابراهيم بن محمد (٤٧٠ هـ = ١٠٧٧) .

٤٥ ـ « المحاسن والمساوىء » بيروت ، دار صادر ودار بيروت (١٩٦٠ / ١٣٨٠) .

التنوخي ، القاضي ابو علي المحسن بن علي بن محمد ابن ابي الفهم (٣٨٤ هـ = ٩٩٤ م) .

٤٦ ـ « نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة » (٤ أجزاء) ، تحقيق عبود الشالجي بيروت ، دار صادر (١٩٧١ / ١٣٩١) .

٤٧ ـ « الفرج بعد الشدة » (جزءان) الصنادقية بجوار الازهر (١٩٣٨ / ١٣٥٧) .

التوحيدي ، ابو حيان (٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م) .

٤٨ ـ « الذخائر والبصائر » (٣ أجزاء) ، تحقيق د . ابراهيم الكيلاني ، مكتبة اطلس ومطبعة الانشاء ، دمشق (١٩٦٦ / ١٣٨٦) .

٤٩ ـ « الامتاع والمؤانسة » (٣ أجزاء) تصحيح احمد امين واحمد الزين ، مطبعة التأليف والنشر والترجمة بالقاهرة (١٩٤٢ / ١٣٦١) .

٥٠ ـ « المقابسات » تحقيق حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية بمصر ، ط ١ ، (١٩٢٩ / ١٣٤٨) .

٥١ ـ « الهوامل والشوامل » نشر احمد امين واحمد صقر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (١٩٥١ / ١٣٧١) .

٥٢ ـ « رسالة الصداقة والصديق » تحقيق د . ابراهيم الكيلاني ، دار

الفكر بدمشق (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك النيسابورى (٤٢٩ هـ = ١٠٣٧ م) .

٥٣ ـ « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » مطبعة المدني بالقاهرة (١٩٦٥ / ١٣٨٥) .

٥٤ ـ « يتيمة الدهر » (٤ أجزاء) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي بالقاهرة .

٥٥ ـ « خاص الخاص » منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (١٩٦٦ / ١٣٨٦) .

٥٦ ـ « لطائف المعارف » تحقيق ابراهيم الابيارى وحسن كامل الصيرفي ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي (١٩٦٠ / ١٣٨٠) .

الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥ هـ = ٨٦٨) .

٥٧ ـ « رسائل الجاحظ » (جزءان) تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

« رسائل الجاحظ » نشر حسن السندوبي ، مطبعة الرحمانية بالقاهرة (١٩٣٣ / ١٣٥٢) .

« ثلاث رسائل للجاحظ » المطبعة السلفية بمصر ، ط٢ ، (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .

« مجموعة رسائل الجاحظ » نشر محمد افندي ساسي ، مطبعة التقدم بمصر

١٩٠٦ / ١٣٢٤) .

٥٨ ـ « كتاب مفاخرة الجواري والغلمان » تحقيق شارل بلا ، دار المكشوف بلبنان (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

٥٩ ـ « البخلاء » تحقيق طه الحاجرى ، دار المعارف بمصر .

٦٠ ـ « البيان والتبيين » (٣ أجزاء) ، دار الطباعة بالقاهرة (١٢٩٠ / ١٨٧٣) . والتعاونية ببيروت (١٩٦٨ / ١٣٨٨) .

٦١ ـ « الحيوان » (٧ أجزاء) تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى الحلبي بمصر (١٩٤٠ / ١٣٣٩) وطبعة القاهرة (١٩٠٧ / ١٣٢٥) .

٦٢ ـ « التاج في اخلاق الملوك » تحقيق احمد زكي ـ المطبعة الاميرية بالقاهرة ، ط١ ، (١٩١٤ / ١٣٣٣) .

الجهشيارى ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس (٣٣١ هـ = ٩٤٢ م) .

٦٣ ـ « نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب » تحقيق ميخائيل عواد ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

الجويني ، امام الحرمين ، ابو المعالي عبد الملك (٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م) .

٦٤ ـ « كتاب الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد » تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم ، مطبعة السعادة بمصر (١٩٥٠ / ١٣٧٠) .

الحريري البصري ، ابو محمد القاسم بن علي بن عثمان (٥١٦ هـ = ١١٢٢ م) .

٦٥ ـ « مقامات الحريري » المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م) .

٦٦ ـ « تاريخ بغداد ومدينة السلام » (١٤ جزءً) . مطبعة السعادة بالقاهرة (١٩٣١ / ١٣٥٠) .

٦٧ ـ « كتاب الفقيه والمتفقه » تصحيح اسماعيل الانصاري ، دار احياء السنة النبوية ، القاهرة ١٩٧٥ .

الخفاجي ، شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر المصري الشافعي (١٠٦٩ هـ ١٦٥، م) .

٦٨ ـ « شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل » مطبعة السعادة بمصر (١٩٠٧ / ١٣٢٥) .

الخوارزمي ، الامام : ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف (٣٨٣ هـ = ٩٩٣ م) .

٦٩ ـ « مفاتيح العلوم » ، نشر ادارة الطباعة المنيرية ، مطبعة الشرق بمصر ط١ ، (١٩٢٣ / ١٣٤٢) .

الخياط ، ابو الحسين عبد الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان المعتزلي (اواخر القرن الثالث الهجري) .

٧٠ ـ « كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد » تحقيق د . نيبرج ، دار الكتب المصرية (١٩٢٥ / ١٣٤٤) .

الذهبي ، الحافظ : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز

(٤٧٨ هـ = ١٣٤٧ م) .

٧١ - « دول الاسلام » (جزءان) حيدر اباد الدكن ، ط٢ ، (١٩٤٥ / ١٣٦٥) .

٧٢ - « العبر في خبر من غبر » (٤ أجزاء) تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة حكومة الكويت (١٩٦١ / ١٣٨١) .

الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (القرن السابع الهجري) .

٧٣ - « مختار الصحاح » المطبعة الاميرية ببولاق ، ط٤ (١٩٣٨ / ١٣٥٧) .

الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (٣٤٠ هـ = ٩٥١ م) .

٧٤ - « امالي الزجاجي » تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة ، ط١ ، (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .

السري الرفاء ، ابو الحسن السرى احمد الكندي الموصلي (٣٦٠ هـ = ٩٧٠ م) .

٧٥ - « ديوان السرى الرفاء » سعيد الديوه جي ، مطبعة القدس والسعادة بمصر (١٩٣٦ / ١٣٥٥) .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر الشافعي (٩١١ هـ = ١٥٠٥) .

٧٦ - « تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين » تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني بالقاهرة ، ط٢ (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

٧٧ ـ « الجامع الصغير في احاديث البشير النذير » مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر (١٩٥٤ / ١٣٧٣) .

الشافعي ، ابو عبدالله محمد بن ادريس (٢٠٤ هـ = ٨٢٠ م) .

٧٨ ـ « رسالة في اصول الفقه » مطبعة بمصر ، ط١ (١٩٠٣ / ١٣٢١) .

الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن احمد الاشعري (٥٤٨ هـ = ١١٥٣ م) .

٧٩ ـ « الملل والنحل » (جزءان) تخريج محمد بن فتح الله بدران ، طبعة الانجلو المصرية ، مطبعة مخيمر بمصر ، ط٢ (١٩٥٦ / ١٣٧٥) وطبعة الخانجي بمصر في (٣) اجزاء (١٩٠٣ / ١٣٢١) .

الشيزري : عبد الرحمن بن نصر (٥٨٩ هـ = ١١٩٣ م) .

٨٠ ـ « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » نشر الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والنشر بالقاهرة (١٩٤٦ / ١٣٦٦) .

الصابي ، ابو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون (٤٤٨ هـ = ١٠٥٦ م) .

٨١ ـ « الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء والكتاب » تحقيق عبد الستار احمد فراج ، مطبعة البابي الحلبي وشركاؤه بمصر (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .

٨٢ ـ « رسوم دار الخلافة » تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ببغداد (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ = ٩٢٢ م) .

٨٣ ـ « تاريخ الملوك والرسل (١٠ أجزاء) ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر (١٩٦٨ / ١٣٨٨) .

العسقلاني : الامام ، الحافظ احمد بن حجر (٨٥٢ = ١٤٤٨) .

٨٤ ـ « بلوغ المرام في ادلة الاحكام » تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتاب العربي بمصر (١٩٥٤ / ١٣٧٤) .

الغزالي ، حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد (٥٠٥ = ١١١١ م) .

٨٥ ـ « فضائح الباطنية » تحقيق د . عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

الفيروز ابادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب الصديقي الشيرازي (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م) .

٨٦ ـ (القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة) (٤ أجزاء) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط١ (١٩٥٢ / ١٣٧٢) .

القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم (٣٥٦ هـ = ٩٦٦ م) .

٨٧ ـ « الامالي » مطبعة بولاق الاميرية بمصر (١٩٠٤ / ١٣٢٢) .

القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف الشيباني (٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م) .

٨٨ ـ القرشي : يحيى بن ادم (٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) « كتاب الخراج »

تصحيح احمد محمد شاكر ، السلفية بمصر ، ط٢ سنة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م .

٨٩ ـ « تاريخ الحكماء » ليبزج (١٩٠٣ / ١٣٢١) اعادت طبعه مكتبة المثنى .

٩٠ ـ القلقشندي : ابو العباس احمد بن علي (٨٢١ / ١٤١٨) « صبح الاعشى » في صناعة الانشا القاهرة بلا .

القمي ، سعد بن عبدالله بن ابي خلفٌ الاشعري (٣٠١ هـ = ١٩١٣ م) .

٩١ ـ « كتاب المقالات والفرق » تصحيح د . محمد جواد مشكور ، مطبعة حيدري بطهران (١٩٦٣ / ١٣٨٣) .

الكلبي ، ابو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد المعروف بذى النسبين دحية والحسين (٦٣٣ هـ = ١٢٣٤ م) .

٩٢ ـ « كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس » تصحيح عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ببغداد (١٩٤٦ / ١٣٦٦) .

مؤلف مجهول

٩٣ ـ « العيون والحدائق في اخبار الحقائق » نشر دى غويه ، ليدن (١٨٦٩ / ١٢٨٦) اعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد .

الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م) .

٩٤ ـ « الاحكام السلطانية والولايات الدينية » مطبعة مصطفى البابي

الحلبي واولاده بمصر ، ط١ (١٩٦٠ / ١٣٨٠) .

المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (٣٤٦ هـ = ٩٥٧ م) .

٩٥ ـ « مروج الذهب ومعادن الجوهر » (٤ أجزاء) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .

٩٦ ـ « التنبيه والاشراف » دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ م / ١٣٨٨ هـ .

مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م) .

٩٧ ـ « تجارب الامم وتعاقب الهمم جـ٦ فيه حوادث (١٩٨ ـ ٢٥١ هـ) طبعة النيل بمصر ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م ، باعتناء دى غويه ، ليدن (١٨٦٩ / ١٢٨٦) اعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد .

٩٨ ـ المقدسي : شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد المعروف بالبشاري « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » نشر دي غويه ليدن ١٣٢٤ .

٩٩ ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار .

النوبختي ، ابو محمد الحسن بن موسى (٣١٠ هـ = ٩٢٢ م) .

١٠٠ ـ « كتاب فرق الشيعة » تصحيح ابراهيم الزين ، دار الفكر بيروت ، مطبعة حداد .

الهمداني ، محمد بن عبدالملك (٥٢١ هـ = ١١٢٧ م) .

١٠١ ـ « تكملة تاريخ الطبرى » تحقيق البرت يوسف ، بيروت ، ج١ ،

ط١ ، المطبعة الكاثوليكية (١٩٥٩ / ١٣٧٩ .

الوشاء ، ابو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى (٣٢٥ هـ = ٩٣٦ م) .

١٠٢ ـ « الموشي او الظرف والظرفاء » تحقيق كمال مصطفى ، مطبعة الاعتماد بمصر (١٩٥٣ / ١٣٧٣) .

وكيع ، محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦ هـ = ٩١٨ م) .

١٠٣ ـ « اخبار القضاة » (٣ أجزاء) تصحيح عبد العزيز مصطفى المراغي ، ط١ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة (٩٤٧ / ١٣٦٧) .

ياقوت الحموى ، شهاب الدين ابو عبدالله (٦٢٦ هـ = ١٢٢٨ م) .

١٠٤ ـ « معجم الادباء : ارشاد الاريب في معرفة الاديب » (٧ أجزاء ، تصحيح د . س مرجليوث ، مطبعة هندية بالموسكي بمصر (١٩٢٧ / ١٣٤٦) .

١٠٥ ـ « معجم البلدان » (٥ أجزاء) ، دار بيروت وصادر في لبنان (١٩٥٧ / ١٣٧٦) .

اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (٢٨٢ هـ = ٨٩٥ م) .

١٠٦ ـ « تاريخ اليعقوبي » (جزءان) دار صادر وبيروت في لبنان (١٩٦٠ / ١٣٨٠) .

١٠٧ ـ « كتاب البلدان » المطبعة الحيدرية في النجف ، ط٣ (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

المراجع الحديثة :

ابوزهرة ، الشيخ محمد

١٠٨ ـ « الامام الصادق » ، مصر ، مطبعة احمد علي مخمير .

ابو زيد ، احمد محمد (الدكتور) .

١٠٩ ـ « سيكولوجية الرأي العام ورسالته الديمقراطية » القاهرة ، دار الهنا للطباعة (١٩٦٨ / ١٣٨٨) .

امين ، احمد

١١٠ ـ « فجر الاسلام » مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ، ط٧ (١٩٥٥ / ١٣٧٥) .

١١١ ـ « ضحى الاسلام » (٣ أجزاء) مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، (١٩٥٦ / ١٣٧٦) .

١١٢ ـ « ظهر الاسلام » (٣ اجزاء) القاهرة ، مطبعة خلف (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .

باتون : ولتر ملفيل .

١١٣ ـ « احمد بن حنبل والمحنة » ترجمة عبد العزيز عبد الحق ، دار الهلال ١٩٥٨ / ١٩٧٨) .

بدوى : عبد الرحمن (المترجم) .

١١٤ ـ « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » دراسة لكبار المستشرقين في القاهرة (١٩٤٠ / ١٣٥٩) وبمضمنها مقال لنالينو في اصل

اشتقاق كلمة المعتزلة او القدرية .

بهنسي ، محمد عبد الرؤوف .

١١٥ ـ « الرأي العام في الاسلام » مصر ، دار الجيل (١٩٦٦ / ١٣٨٦) .

التهامي ، مختار (الدكتور) .

١١٦ ـ « الرأي العام والحرب النفسية » دار المعارف بمصر ، ط١ (١٩٦٧ / ١٣٨٧) .

جردنيباوم ، جوستاف ١ . فون .

١١٧ ـ « حضارة الاسلام » ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ، دار مصر للطباعة (١٩٦٧ / ١٣٨٦) .

١١٨ ـ « شعراء عباسيون » ترجمة د . محمد يوسف نجم ، منشورات دار الحياة وفرنكلين ، بيروت (١٩٥٩ / ١٣٧٩) .

جواد علي (الدكتور) .

١١٩ ـ « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (٨ اجزاء) ، دار العلم للملايين ، بيروت ط١ ، (١٩٧١ / ١٣٩٠) .

جوزى ، بندلي .

١٢٠ ـ « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، دار الروائع ، مطبعة الجهاد (بيروت) .

جولد تسيهر ، اجناس .

١٢١ ـ « العقيدة والشريعة في الاسلام » ترجمة محمد يوسف موسى وجماعته ، دار الكتاب العربي بمصر ، ط٢ (١٩٥٩ / ١٣٧٩) .

جيوم ، الفرد .

١٢٢ ـ « الاسلام » ترجمة محمد مصطفى هداره ود . شوقي السكرى ، مطبعة لجنة البيان العربي بمصر ، ط١ (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .

حتي ، فيليب .

١٢٣ ـ « تاريخ العرب المطول » (٣ أجزاء) ترجمة ادور جرجي وجبرائيل جبور ، دار الكشاف ببيروت ، ط٢ ، (١٩٥٢ / ١٣٧٢) .

حسن ، حسن ابراهيم (الدكتور) .

١٢٤ ـ « تاريخ الاسلام السياسي » (٤ اجزاء) مطبعة لجنة التأليف والترجمه والنشر ، ط٦ (١٩٦١ / ١٣٨١) .

١٢٥ ـ « النظم الاسلامية » بالاشتراك مع علي ابراهيم حسن ، مطبعة السنة المحمدية ، ط٣ (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .

حسين ، طه (الدكتور) .

١٢٦ ـ « الفتنة الكبرى » دار المعارف بمصر (١٩٥٩ / ١٣٧٩) .

الحسني ، هاشم معروف .

١٢٧ ـ « تاريخ الفقه الجعفري » دار النشر للجامعين ، بيروت .

الحصان ، عبد الرزاق .

١٢٨ ـ « الحسبة » مطبعة التفيض . بغداد (١٩٤٦ / ١٣٦٦) .

الحيدري ، علي نقي .

١٢٩ ـ « اصول الاستنباط ، مطبعة الرابطة ، بغداد (١٩٥٩ / ١٣٧٩) .

خضر ، سعد الدين .

١٣٠ ـ « الرأي العام وقوى التحرك » مطابع الجمهورية ، الموصل ، ط١ (١٩٦٨ / ١٣٨٨) .

الخضري ، الشيخ : محمد .

١٣١ ـ « تاريخ التشريع الاسلامي » مطبعة الاستقامة بمصر ، ط٧ (١٩٦٥ / ١٣٨٥) .

١٣٢ ـ « محاضرات تاريخ الامم الاسلامية » (جزءان) مطبعة الاستقامة بمصر ، ط٧ (١٩٥٦ / ١٣٧٦) .

١٣٣ ـ « تاريخ الدول العباسية » مطبعة الاستقامة بمصر ، ط ٨ (١٩٥٣ / ١٣٧٣) .

الدباغ ، سالم .

١٣٤ ـ « ادب المعدمين في كتب الاقدمين » مطبعة اللواء ببغداد (١٩٧١ / ١٣٩١) .

دجور جفتش ، جوفان .

١٣٥ ـ « الرأي العام في النظام الاشتراكي » ترجمة د . صادق الاسود ، بغداد (١٩٧٠ / ١٣٩٠) .

الدوري ، عبد العزيز (الدكتور) .

١٣٦ ـ « تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري » مطبعة المعارف بغداد (١٩٤٨ / ١٣٦٨) .

دوزى ، رينهارت .

١٣٧ ـ « معجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب » ترجمة د . اكرم فاضل ، بغداد ، دار الحرية للطباعة (١٩٧١ / ١٣٩١) .

الدومي ، احمد عبد الجواد .

١٣٨ ـ « احمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا » المكتبة التجارية الكبرى ، ط١ (١٩٦٠ / ١٣٨٠) .

ذياب فؤاد .

١٣٩ ـ « الرأي العام وطرق قياسه » مطابع الدار القومية ، القاهرة (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .

رحمة الله ، مليحة (الدكتورة) .

١٤٠ ـ « الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة » رسالة دكتوراه مطبوعة ، مطبعة الزهراء ، بغداد (١٩٧٠ / ١٣٩٠) .

الريس ، محمد ضياء الدين (الدكتور) .

١٤١ ـ « الخراج في الدولة الاسلامية ، نهضة مصر ، ط١ (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

١٤٢ ـ النظريات السياسية الاسلامية) مطبعة الرسالة ، ط٣ (١٩٦٠ / ١٣٨٠) .

زيدان ، جرجي .

١٤٣ ـ « تاريخ التمدن الاسلامي » (٥ اجزاء) ، دار الهلال (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .

السامر ، فيصل جرىء (الدكتور) .

١٤٤ ـ « ثورة الزنج » دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ (١٩٧١ / ١٣٩١) .

١٤٥ ـ « الدولة الحمدانية » الجزء الاول ، مطبعة الايمان ، بغداد ، ط١ (١٩٧٠ / ١٣٩٠) .

سبروت ، و . ج . هـ .

١٤٦ ـ « علم النفس الاجتماعي » ترجمة حافظ الجمالي ، مطبعة جامعة دمشق ، ط١ (١٩٦٠ / ١٣٨٠) .

سوفي ، الفريد .

١٤٧ ـ « الرأي العام » ترجمة كسروان شدياق ، مطابع عويدات ، بيروت ، ط١ (١٩٦٦ / ١٣٨٦) .

شلتوت ، الشيخ : محمود

١٤٨ ـ « الاسلام عقيدة وشريعة » دار القلم بمصر ، ط٢ (١٩٦٤ / ١٣٨٤) الشيبي ، كامل مصطفى (الدكتور) .

١٤٩ ـ « الصلة بين التصوف والتشيع » (جزءان) ، مطبعة الزهراء (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

صالح ، احمد عباس .

١٥٠ ـ « اليمين واليسار في الاسلام » المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت (١٩٧٢ / ١٣٩٢) .

الصالح ، صبحي (الدكتور) .

١٥١ ـ « النظم الاسلامية » دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ (١٩٦٥ / ١٣٨٥) .

الصعيدي ، الشيخ : عبد المتعال .

١٥٢ ـ حسين ، صدام « رئيس الجمهورية العراقية » « حول كتابة التاريخ » نص الحديث في الاجتماع الموسع لمكتب الاعلام القومي بتاريخ ١ / ١٢ / ١٩٧٧ .

١٥٣ ـ « في ميدان الاجتهاد » دار الميراث بمصر ، منشورات جمعية الثقافة الاسلامية .

١٥٤ ـ « السياسة الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين » دار الفكر العربي ط١ (١٩٦٢ / ١٣٨٢) .

طلس ، محمد اسعد (الدكتور) .

١٥٥ ـ « عصر الازدهار » مطبعة الاندلس ، ط١ ، بيروت (١٩٦٥ / ١٣٨٠) .

١٥٦ ـ « عصر الانبثاق » مطبعة الاندلس ، ط١ ، بيروت (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

عبد الباقي ، محمد فؤاد .

١٥٧ ـ « معجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » مطابع الشعب بالقاهرة (١٩٥٨ / ١٣٧٨) .

عبد الرزاق ، الشيخ : علي .

١٥٨ ـ « الاسلام واصول الحكم » مطبعة مصر ، ط٢ (١٩٢٥ / ١٣٤٤) .

١٥٩ ـ « الاجماع في الشريعة الاسلامية » دار الفكر العربي بمصر ١٩٤٧ / ١٣٦٧) .

عبد الرزاق ، الشيخ : مصطفى .

١٦٠ ـ « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » مطبعة نهضة مصر ، ط١ (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

عبد القادر ، حسنين (الدكتور) .

١٦١ ـ الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة » مطبعة الرسالة ، ط١ ، (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

العزيز ، حسين قاسم (المترجم) .

١٦٢ ـ « المجلة التاريخية » بغداد ، مطبعة الجامعة ، العدد الثاني ١٩٧٢ ويضمنها بحث « حول تاريخ مدينة بغداد » للمستشرق السوفيتي اوتار

فارلاموفيج .

العسلي ، خالد (الدكتور) .

١٦٣ ـ « جهم بن صفوان » رسالة ماجستير مطبوعة ، بغداد ، مطبعة الارشاد (١٩٦٥ / ١٣٨٥) .

العطوي ، احمد علي .

١٦٤ ـ « ارض السواد » بغداد ، مطبعة الاتحاد (١٩٥٥ / ١٣٧٥) .

العمري ، احمد سويلم (الدكتور) .

١٦٥ ـ « الرأي العام والدعاية » الدار القومية للطباعة بالقاهرة .

عيسى ، محمد طلعت (الدكتور) .

١٦٦ ـ « الشائعات وكيف تواجهها » القاهرة ، ط١ (١٩٦٤ / ١٣٨٤) .

فتح الله : جرجيس (المترجم) .

١٦٧ ـ « تراث الاسلام » (جزءان) المطبعة العصرية بالموصل (١٩٥٤ / ١٣٧٤) وبضمنها بحث (القانون والمجتمع) لدافيد . دى . سانتلانا .

فلوتن ، فان .

١٦٨ ـ « السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية » ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، القاهرة (١٩٣٣ / ١٣٥٢) .

الفندى ، محمد ثابت ورفاقه (المترجمون) .

١٦٩ ـ « دائرة المعارف الاسلامية » المجموعة العربية ، ط١ (١٩٣٣ / ١٣٥٢) .

فهد ، بدري محمد .

١٧٠ ـ « العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري » رسالة ماجستير مطبوعة مطبعة الارشاد ، بغداد (١٩٦٧ / ١٣٨٧) .

القرغولي ، جهادية .

١٧١ ـ « الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في سامراء » رسالة ماجستير مطبوعة ، مطبعة دار البصري ، بغداد (١٩٦٧ / ١٣٨٧) .

لي سترينج ، جاي .

١٧٢ ـ « بلدان الخلافة الشرقية » ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ببغداد (١٩٥٤ / ١٣٧٤) .

١٧٣ ـ مالك انتاج المستشرقين دار الارشاد بيروت ١٩٦٩ .

متز ، ادم .

١٧٤ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » (جزءان) تعريب عبد الهادي ابو ريده ، القاهرة (١٩٤٧ / ١٣٦٧) .

المظفر ، الشيخ : محمد رضا .

١٧٥ ـ « عقائد الامامية » دار النعمان للطباعة (١٩٦٠ / ١٣٨٠) .

المنجد ، صلاح الدين (الدكتور) .

١٧٦ ـ « الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس » دار الكشاف ، بيروت .

١٧٧ ـ « الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي » دار الحياة ، بيروت (١٩٥٧ / ١٣٧٧) .

ناصيف ، منصور علي .

١٧٨ ـ « التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول » (٥ أجزاء) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر (١٩٣٥ / ١٣٥٤) .

ولهاوزن ، يوليوس .

١٧٩ ـ « الدولة العربية وسقوطها » ترجمة د . يوسف القس ، دمشق مطبعة الجامعة السورية (١٩٥٦ / ١٣٧٦) .

المراجع الافرنجية :

١٦٩- Grenville : G. S. P. Freeman

'muslim and Christian Calendars (London, Oxford University Press 1963

ترجمة الى العربية د . حسام الآلوسي ، مطبعة الجمهورية ، بغداد (١٩٧٠ م - ١٣٨٩ هـ)

١٧٠- Dozy : R. P.A.

"Supplement Aux Dictionnaires Arabes'

(Leyde, Brill, 1927)

١٧١- Doob, Leonard. W.

'Public Opininon and Propaganda' (Cresst. Press, 1946)

١٧٢- Bogardus : Emory. S.

'The making of Public Opini on' (1951)

١٧٣- Al big : William

'Public Opinion ' (Mc Graw — Hill , 1956)

Introduction

This research includes the study of the 3 rd century A. H. (9th A. D.)that began with the reign of the Caliphate Al — Ma' mun and Ended with the reign of Al — Muktafi Billah (198 — 295At./ 813 — 907 A.D.) if is social study for

a new subject that is neglected by the modern researchers, but the historical, literary and juristical books of the ancient writers contained much of the century events.

The research involves five chapters. I set the first chapter a part to study what is meant by the 'Public Opinion'. I exposed the different opinions and definitions put forward by the foreign and Arab ideologists. Isought for its origin which extended in the Pre — Islamic Arabic Society and developed during the different Islamic ages, until it became an influencial phenomena in the 3rd century A. H. incidents. The' Public Opinion' was represented by some common expressions at that time, such as : agree .ment, analogy, nation, Community, the application of discretion to a legal decision, the cultivation and the laws of those who had come before. That is what I spoke about in details throughout this chapter in a juristical study.

As for the second chapter, it is restricted to the study of the nature of the Abbaside society during the 3rd cenruty A. H. This is achieved by exposing the characteristics of this century and the brief mentioning of some of the outside

aspects of the Islamic society throughout the different ages. Further more,I studied the social structure which is enbo-died in two dissimilar classes; regarding property and authority, So in addition to the Private class which included the caliph his attendants, his officials ; and officers which usurped all the privilages, there was the public class which included the great majority of people who suffered starvation and nakedness; so they damned the carruption of affairs. Between those two classes, there existed those who lived on the private Class and took up literature as a craft.

The third Chapter represents the backbone on which the research depends. I studied the reasons why the (Public Opinion) had grumbled during that century. There were many different reasons, such as : high prices, rarity of articles and the delay of the troops suppliants and their riots. All the above reasons led to weaken the Abbaside Caliphate and led to the murder of many Caliphs like the murder of Al — Muataz Billah by the Turkish Princes who became authoritative in the different posts of the state. This caused the grumbling of Baghdad and Sammara inhabitants in addition

to their grumbling as a result of the bad affairs, the corruption of the administrative system, the lack of peace, the taxes and the illegal ways by which they were collected and many other factors that were being revealed all through the research.

An important factor resulted in the Public grumbling was the riots and crisis which was represented by the conflict between Al—Amin and Ma' mun and was developed into a national conflict between the Arabs and Al—Mawali, Al—Zinj and Karmathians revolutions, the unplanned, public movements as those of Al— Shuttar Al— Ayya'ren and the opponent movements of Shiah and Khawarij in addition to the religious and idiological conflicts which tore the unity of the Muslims into sects and parties.

The fourth Chapter is concerned with the Islamic Public Opinion attitude towards the official institutions, such as : Al— Caliphate and A—Qada'. The attitude which was remarkable with its bitter criticism, whether in Poetry, fiction or proverbs, reflected to us the bad conditions of those institutions. The Caliphate which was, the highest religious and

official authority in the Abbaside State became so weak that the Caliph became a Play— toy in the hands of the Turkish princes. As for Al— Qada' it lost its dignity because their de-(Cisianswere) not according to the law.

What distinguished the Islamic Public opinion during the 3rd century A. H. was the grumbling at some times and the revolution in another. This called for the existence of centres and places where the grumblers met to express their opinions, such as: mosques, prisons, markets, holy— places and discussion — meetings and this what spoke about in details in the fifth Chapter which constitutes the last chapter of this research.

المحتويات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد(٤٤٠) لسنة ١٩٨٧

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

الراي العام في القرن الثالث الهجري

الراي العام كثيراً مايفسر احداث الماضي، كما ان سلوك الانسان في حاضره ومستقبله يفسره ماضي حياته، ولكن هذا لايعني ان الماضي يشكل العامل الوحيد المؤثر في تكوين الراي العام، بل ان هناك مؤثرات خارجية وعوامل اخرى حددها (سبروت) بالحوادث الجديدة، وتغير شروط الحياة، وتغير السلوك، والشخصيات البارزة، وهذا يعني ان الراي العام ينبت في ظروف ووقت معينين، وقد يستمر متوارثاً مع شئ من التحوير والتطوير والتبدل شأنه في ذلك شأن الحياة الانسانية.

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٨٧

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

السعر : ثلاثة دنانير